﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾

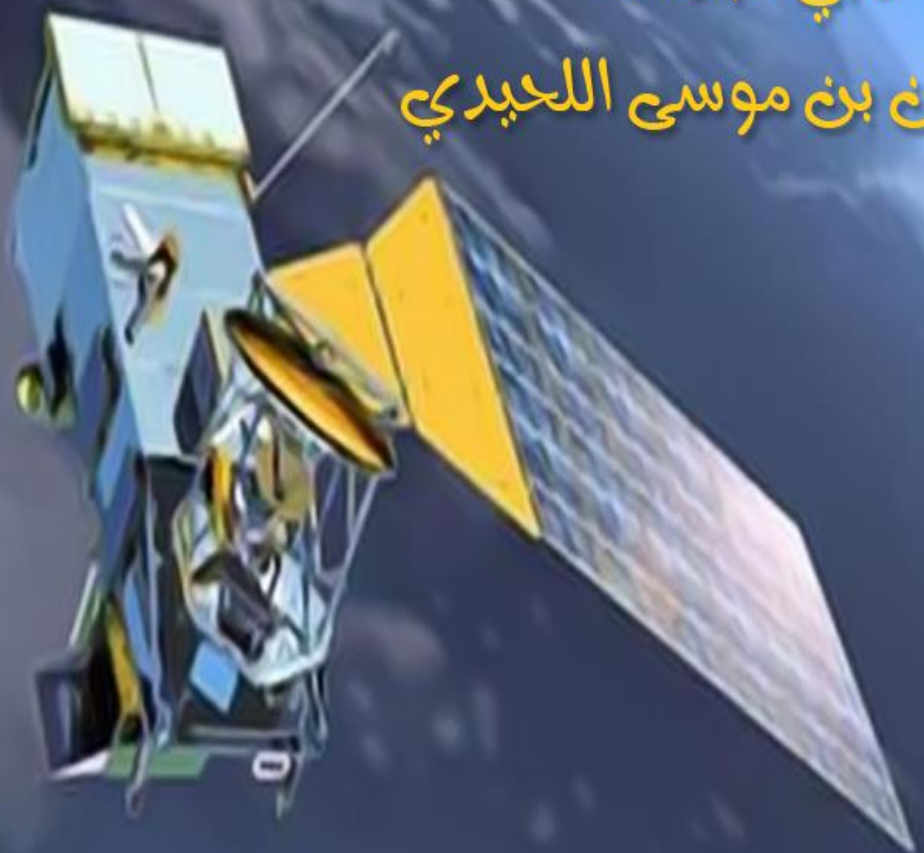

لأبي عبد الله

الحسين بن موسى اللحيدي

مقدمة الكتاب

الحمد لله على فضله وإحسانه بزيادته لي من نوره وهداه ، وصلى الله وسلم على اكرم خلقه واقدمهم وجودا وأرفعهم شأنا في علاه نبينا مُحَمَّد ، وعلى آل بيته وأصحابه الكرام ، وبعد :

قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ، فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾ فذلك مجيء له في آخر أيام الدنيا لا بعد ما يبعث البشر من الموت جميعا كما هو باعتقاد العامة وإلا للزم منه أن الإله الحق لا يقضي بين آخر الخلق جيل الأشرار كما كانت سنته في كل أمة يبعث لها رسول لينذرهم ويبشرهم فلا يفصل فيهم بين الحق والباطل ويتركهم هملا بلا حساب ولا فصل ، مثل ما عاب على معبوداتهم الباطلة من دونه عز وجل ، أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك ولا أن تخبر بالغيب كيف يكون ، ولا أن تقضي بشيء بينهم كما هو يقدر يفعل ذلك ، فقال : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

ومن المحتوم أن يكون هذا القضاء وهم بالدنيا فآلهة الباطل لما كانت تعبد بالدنيا نسب انعدام القضاء لها لأن محل ذلك وهم في الدنيا ، وإلا بعد نهاية الدنيا فليس هناك مكان ولا زمان المقارنة بالقضاء ما بين الإله الحق وآلهة الباطل جميعها من يقدر يفعل ذلك ، فهناك له الانفراد بذلك المطلق ، أما قبل وهم في الدنيا فلا بد من اثبات عجزها في ذلك وانتفاء نصرتها لهم في ذلك

القضاء ، وأن ينظروا ويتيقنوا هل ستخلصهم من يد الله القوية عز وجل التي ستمتد فيهم ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ، فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ ، وفي سورة الروم يقول فيهم على التعيين : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ويقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ، وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . قيدها بالأرض اشارة لتحقق التأويل الذي سأقرره في هذا الكتاب والخروج نسبة للنداء باسم المهدي لإعلان الفصل والكشف عن ارادته عز وجل : ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ ، كذلك الصحبة للتأكيد على أن زمان تحقق ذلك وهم بالدنيا ، فلن يصحبه إلا من كان له وليا فيقربه لذاك الضباب فوق المدينة المنورة من أعلى جبل أحد المقدس الذي سيحل عليه كما قال النبي ارميا عليه الصلاة والسلام في ذلك : ﴿ وَيَكُونُ قَائِدُهُمْ مِنْهُمْ ، وَيَخْرُجُ حَاكِمُهُمْ مِنْ وَسَطِهِمْ فَأَسْتَدْنِيهِ فَيَدْنُو مِنِّي ، إِذْ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنِّي مِنْ نَفْسِهِ ، وَتَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً ﴾ . وفي زبور داود عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ وليفرح جميع المعتصمين بك ولترنموا إلى الأبد وأنت مُظللهم وليبتهج بك الذين يحبون اسمك ﴾ ، وهذا مطابق لقوله عز وجل : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ ، وإذا تواطأ القرآن والزبور على معنى فإلى ذلك المنتهى ، فكيف وتواتر النبوءات يدل على ذلك كما سيمر معنا بطول هذا الكتاب وعرضه ، كقول النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ رُقَبَاؤُكِ قَدْ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ مَعاً وَشَدَوْا بِفَرَحٍ ، لأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ عِيَاناً رُجُوعَ

الرَّبِّ ﴾ ، أو قول النبي زكريا ﷺ : ﴿ وَيُرَى الرَّبُّ فَوْقَهُمْ ... وَيُخَلِّصُهُمُ الرَّبُّ إِلهُهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ كَقَطِيعٍ شَعْبَهُ ، بَلْ كَحِجَارَةِ التَّاجِ مَرْفُوعَةً عَلَى أَرْضِهِ ﴾ ، وفي الزبور : ﴿ أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ ، لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ ... رَأَتْ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ خَلاَصَ إِلهِنَا ﴾ ، وعلى لسان النبي حزقيال عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ وَأَتَجَلَّى بِقَدَاسَتِي بَيْنَكُمْ عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ الأُمَمِ ﴾ ، وكل هذا مما يدل ويؤكد على تحقق التأويل أنه آخر الزمان لخلاص المؤمنين به كما وعد بذلك ، صورة مكبرة على مستوى العالم والكون كله شبه ما كان عليه المشهد أيام موسى وبني اسرائيل ، فكان خلاص اعجازي وسيكون نظيره وأقوى على مشهد ومرأى من العالم أجمع ، وصدق من أقسم بأن ما كان في بني اسرائيل إلا وهو كائن مثله في هذه الأمة .

قال عز وجل : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، ﴿ قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .

وقال على لسان نبيه اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ أسمعونا المستقبلات ، بينوا ما سيأتي فيما بعد فنعلم أنكم آلهة ﴾ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ، إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ، وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ، الآية الأخيرة روى جماعة من أهل الحديث ما

يفيد أن تأويلها حين يقف الخلائق بين يدي الله عز وجل وقيل يؤتى هناك بملك الموت فيذبح أمامهم وحينها تكون الحسرة ، وهذا كذب وخلط نقلوا به التأويل من أن يكون وهم بالدنيا فرحلوه لذاك الوقت خوضا على كلام الله تعالى ومواعيده بالكذب والجهل ، وأبين الكذب في ذلك يتضح من نص كلام الله عز وجل بتلك الآية لقوله (وهم في غفلة) و (وهم لا يؤمنون) وفي ذاك الموقف تنتفي عنهم الغفلة بالكلية ويمتنع عدم الإيمان بالمرة ، ولما كان ما قيل في ذلك منهم محض كذب وافتراء لزم على قولهم كل هذا التناقض والاضطراب ، وهذا من حيث كلام الله تعالى نفسه ، أما من حيث ما يدعونه على نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفي الوقوف على اضطراب ذلك ممن نسبه لرسول الله أيضا ففي تبويب البخاري رحمه الله تعالى في التفسير باب : (وأنذرهم يوم الحسرة) ، قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويأهل النار خلود فلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة . وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ، وهم لا يؤمنون . رواه عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه .

وفي صحيح مسلم : ثم قرأ رسول الله ﷺ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون . وأشار بيده إلى الدنيا . ثم قال مسلم : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة . ثم ذكر بمعنى حديث أبي معاوية غير أنه قال : فذلك قوله عز وجل ولم يقل ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر أيضا وأشار بيده إلى الدنيا اهـ . أي هذا تفسيرا من أحد الرواة

ولو كان من رسول الله ﷺ لاتفقوا عليه ، هذا معنى ما قاله مسلم تعليقا هنا ، وهذا يقع منهم كثيرا يخلطون تفاسيرهم واسقاطهم لبعض الأخبار على آيات من كتاب الله تعالى ، ثم يأتي من يجمع كل ذلك ويجعله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان كذبا .

والحق أن هذا القضاء وهم بالدنيا وعد الله عز وجل بأن يفعل ذلك وقد تواترت النبوءات الكثيرة على هذا المعنى وما مجيء الأشهاد وقيامهم في ذلك إلا وهم بالدنيا ، وهناك سيكون الأمر على الكفرة حسرة عظيمة وخسرانهم المبين أكيد ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ ، وعلى لسان نبيه اشعيا عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ لاَ يُخَالِفُ التَّوْفِيقُ أَيَّ سِلاَحٍ صُنِعَ لِمُهَاجَمَتِكِ ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَتَّهِمُكِ أَمَامَ الْقَضَاءِ تُفْحِمِينَهُ ، لأَنَّ هَذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ ، وَبِرُّهُمُ الَّذِي أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ويقول أيضا : ﴿ أَمَّا مَنْ يَلُوذُ بِي فَإِنَّهُ يَرِثُ الأَرْضَ وَيَمْلِكُ جَبَلَ قُدْسِي ﴾ .

وكما قدر الله عز وجل ارثا للمؤمنين كذلك قدر ارثا للكافرين كما قال أيوب عليه الصلاة والسلام : ﴿ تَفْنَى مُدَّخَرَاتُ بَيْتِهِ وَتَجْتَرِفُ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ ، هَذَا هُوَ الْمَصِيرُ الَّذِي يُعِدُّهُ اللهُ للأَشْرَارِ ، وَالْمِيرَاثُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ لَهُمْ ﴾ . والأحمق هو الذي يعتقد أن الله تعالى لن يفصل بمجاميع الأشرار آخر الزمان وأنه سيتركهم هملا إلى انقضاء الدنيا ثم لا يحاسبهم إلا لما يبعثوا من موتهم ، أما قبل ذلك فلن يفصل بينهم ولن يوقف شرورهم كما كان يفعل ذلك مع كل أمثالهم من قبل ، وهذا كذب من الاعتقاد وباطل يناقض حكمة الله تعالى ومقدرته على كل المجرمين وبكل الأجيال ، وما صنفت هذا الكتاب إلا لنقض تلك الفرية

على الله عز وجل وابطال هذا الاعتقاد الزائف الكاذب ونفيه من ديوان المسلمين .

وسأذكر هنا جملة من النبوءات عن أنبياء بني اسرائيل تحدد متى يكون وقت هذا القضاء ليتضح معنى تأويل ذلك لكل من كان يجهله :

النبي ملاخي عليه الصلاة والسلام : ﴿ انْظُرُوا ، هَا يَوْمُ الْقَضَاءِ مُقْبِلٌ ، لاَهِبٌ كَتَنُّورٍ يَكُونُ فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَفَاعِلِي الإِثْمِ عُصَافَةً ، فَيُحْرِقُهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ وَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعاً ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ . أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي فَتُشْرِقُ عَلَيْكُمْ شَمْسُ الْبِرِّ حَامِلَةً فِي أَجْنِحَتِهَا الشِّفَاءَ فَتَنْطَلِقُونَ مُتَوَاثِبِينَ كَعُجُولِ الْمَعْلَفِ ، وَتَطَأُونَ الأَشْرَارَ ، إِذْ يَكُونُونَ رَمَاداً تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أُجْرِي فِيهِ أَعْمَالِي ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ ﴾ .

ويقول فيه صفنيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ اجْتَمِعِي ، احْتَشِدِي أَيَّتُهَا الأُمَّةُ الْوَقِحَةُ . قَبْلَ أَنْ يَجِينَ الْقَضَاءُ ، فَيُطَوِّحُ بِكِ كَالْعُصَافَةِ أَمَامَ الرِّيحِ ، قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِكِ غَضَبُ الرَّبِّ الْمَاحِقُ ، قَبْلَ أَنْ يَنْصَبَّ عَلَيْكِ سَخَطُ الرَّبِّ . الْتَمِسُوا الرَّبَّ يَا وُدَعَاءَ الأَرْضِ الرَّاضِخِينَ لِحُكْمِهِ ، اطْلُبُوا الْبِرَّ وَالتَّوَاضُعَ لَعَلَّكُمْ تَجِدُونَ مَلاَذاً فِي يَوْمِ سَخَطِ الرَّبِّ . وَيْلٌ لَكُمْ يَاأَهْلَ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، أُمَّةَ الْكِرِيتِيِّينَ ، إِنَّ قَضَاءَ الرَّبِّ مُنْصَبٌّ عَلَيْكُمْ ﴾ .

وكان لما أرى نبيه دانيال عليه الصلاة والسلام عن تلميحات في هذا القضاء ، فقال النبي : ﴿ سمعت ولم أفهم فقلت : يا سيدي ما آخر هذه ؟ فقال : اذهب يا دانيال فإن الأقوال مُغلقةٌ ومختومةٌ إلى وقت الانقضاء ﴾ . ولو كان ذلك من الأمر ما بعد الحياة الدنيا لما قال النبي ذلك ولما اجيب بأنه أمر مختوم ، لأن

ذلك من أمر الله عز وجل بالدنيا لهذا هو مختوم مكنون ولا يأتيهم إلا بغتة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون .

وقد سبق لي من كتابي الأول (وجوب الاعتزال) أن قررت هذا المعنى وقلت هناك : قال سبحانه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون . فتول عنهم حتى حين . وأبصرهم فسوف يبصرون . أفبعذابنا يستعجلون . فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المُنذَرين . وتول عنهم حتى حين . وأبصر فسوف يبصرون ﴾ سبقت لإدريس وإلياس وعيسى وغيرهم من أوليائه الصالحين ، وإن غداً لناظره لقريب ، الغد الذي يكشف فيه الكذب وينتهي عنده التلاعب بالنبوءات وإفساد معناها ، وهذا اليوم سمي بالقضاء في قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ﴾ وقوله : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم ﴾ .

وجاء هذا المعنى مصرحاً به على لسان اشعيا فقال : ﴿ مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يفعل قائلاً : رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي . داع من المشرق الكاسر . من أرض بعيدة رجل مشورتي ، قد تكلمت فأجريه قضيت فأفعله ﴾ . فانظر كيف نص على أن بعثه من المشرق هو الكلمة والقضاء ، ونص على أنه أخبر بهذا منذ البدء ، واعداً بأن يفعل هذا وواصفاً بأن في ذلك مسرته ، فافرحي يا أمة الرحمة وأبشري برب الرسل ، والله لن تضيع كلمة الله ولن يُخزى عباده اهـ .

ويقول حزقيال عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَتُصْرَعُ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ ، لأَنِّي قَضَيْتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ ، وَأَصُبُّ نَاراً عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى حُلَفَائِهِ السَّاكِنِينَ بِأَمَانٍ فِي الأَرْضِ السَّاحِلِيَّةِ ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ ﴾ .

ولما كان هذا من شأنهم وهم بالدنيا وعظ نبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يشك فيه ، ولو كان هذا من شأن الله عز وجل معهم بعد انقضاء الحياة الدنيا لما قال له ما قال وحذره من الشك فيه ، لأن النبي ﷺ لا يمكن ينهى عن الشك في ذلك بمعنى يضيق صدره منه ، لكن بخصوص رجعته ليشهد عليهم ووعد الله تعالى أن يريه بعض ما وعدهم في ذلك فنعم قد يكون من ذلك لهذا وعظه تعالى بأن لا يشك في ذلك ولا يرتاب ، فقال له تبارك وتعالى في هذا الخصوص التالي : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾.

﴿ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ ، فالرب تعالى بالدنيا إنما يأتي بالغمام ويحل بالمكان الذي يشاء ليثبت وجوده من خلال الغمام كما فعل ذلك في زمان موسى صلوات ربي وسلامه عليه وبني اسرائيل بعد اخراجهم من مصر لجزيرة العرب ، وكما حصل مع سليمان ﷺ لما بنى الهيكل وأدخل تابوت عهد الرب هناك ، لهذا ترونه في كتابه المجيد لا يذكر الغمام في مجيئه لما يكون ذلك خارج حدود الحياة الدنيا : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ، وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ ، وهكذا لما يكون المجيئ في الآخرة بعد الحياة الدنيا لا يذكر أن مجيئه بظلل من الغمام ، بل يأتي مع الملائكة متمثلا بصورته التي خلق آدم على شبهها ، مثل ما يراه

الإنسان بمنامه فهناك سيتمكنون من رؤية مثاله وكأنهم بمنام لا حقيقة ، لكنهم في واقع الأمر هم بالحقيقة في حضرة الإله الحق وبغير هذا لا يمكنهم مشاهدته قط ، والبشر عند الله تعالى سواءٌ مناما أو يقظه فيكلمهم متى شاء وكيف يشاء ، وأما في الحياة الدنيا فلا يأتي أي جمع إلا بستر من الغمام كما فعل بزمان موسى والنبي سليمان عليه الصلاة والسلام ، وبالفصول التالية سيأتي مزيد ذكر أدلة هذا الاعتقاد العظيم إن شاء الله عز وجل ، وسأنقل هناك بعضا من تلك النصوص الدالة على ذلك الغشيان للغمام فوقهم غير ما نقلت قبل ، لكن هنا سأستوفي شيئا من النقل عن الأنبياء في تعيين القضاء وذكر بعضا من أبرز علامات تحققه غير ما ذكرت قبل .

قال سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ الناس الأشرار لا يفطنون للقضاء والذين يلتمسون الرب يفطنون لكل شيء ﴾ . وقال : ﴿ فيتعقبهم القضاء وروح مقدرتك يذريهم ، لكن رتبت كل شيء بمقدار وعدد ووزن ﴾ .

ويقول اشعيا عليه الصلاة والسلام في ذلك : ﴿ في ذلك اليوم يكون غضن الرب بهاءً ومجدا ، وأنقيهم بروح القضاء وبروح الإحراق ﴾ .

وفي الزبور على لسان داود عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ من السماء أسمعت الحكم ففزعت الأرض وصمتت عندما قام الله للقضاء ليخلص ودعاء الأرض ﴾ .

وعند أيوب عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ من جهة القوة يقول هاأنذا ومن جهة القضاء يقول من يحاكمني ﴾ .

أما حزقيال النبي فيقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ هُوَذَا شَرٌّ قَدْ أَقْبَلَ ، شَرٌّ لاَ مَثِيلَ لَهُ . قَدْ أَزِفَتِ النَّهَايَةُ قَدْ أَزِفَتِ النَّهَايَةُ . انْتَبَهَتْ لَكِ ، وَهَا هِيَ مُقْبِلَةٌ . قَدْ حَلَّ بِكَ الْقَضَاءُ يَا سَاكِنَ الأَرْضِ وَأَزِفَ الْمَوْعِدُ ، اقْتَرَبَ يَوْمُ الاضْطِرَابِ .. هَا هُوَ الْيَوْمُ قَدْ أَقْبَلَ قَدْ أَزِفَ الْقَضَاءُ وَأَزْهَرَ الظُّلْمُ وَأَفْرَخَتِ الْكِبْرِيَاءُ ، انْتَصَبَ الْجَوْرُ وَصَارَ عَصاً لِلشَّرِّ ، لِذَلِكَ يَفْنَى الظَّالِمُونَ وَتَفْنَى ثَرْوَتُهُمْ وَضَجِيجُهُمْ وَلاَ مَنْ يَنُوحُ عَلَيْهِمْ . قَدْ حَانَ الْمَوْعِدُ وَاقْتَرَبَ الْيَوْمُ ، فَلاَ يَفْرَحَنَّ الْمُشْتَرِي وَلاَ يَحْزَنَنَّ الْبَائِعُ ، لأَنَّ الْغَضَبَ مُنْصَبٌّ عَلَى جُمْهُورِهِمْ بِأَسْرِهِ ، فَالْبَائِعُ لَنْ يَسْتَرِدَّ مَا بَاعَهُ مَهْمَا طَالَ بِهِ الْعُمْرُ لأَنَّ قَضَاءَ اللهِ يَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ جُمْهُورِهِمْ وَلَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ ، وَلَيْسَ فِي وُسْعِ الشِّرِّيرِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِحَيَاتِهِ . قَدْ نَفَخُوا فِي الْبُوقِ وَأَعَدُّوا كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَنْ يَذْهَبُ لِحَوْضِ الْقِتَالِ ، لأَنَّ غَضَبِي مُنْصَبٌّ عَلَى جُمْهُورِهِمْ ﴾ .

وجهلا منهم قد فهموا من موافقة النبي ﷺ لما قاله النبي حزقيال هنا عليهما الصلاة والسلام في معنى القضاء بأن لا يفرح المشتري ويحزن البائع ، وأن لن يسترد البائع ما باعه ، فيما قال : " ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها". رواه البخاري رحمه الله تعالى

فظنوا أن ذلك لموت يقع بهم وليس كذلك بل للذهول من قيام الساعة حتى ينصرف كل امرئ عن الشأن الذي كان فيه ، فلا يأكل الإنسان لقيمته التي رفعها ولا يشرب لبنه الذي نوى يشربه ، وأصرح ما فيه قوله : (فلا يتبايعانه ولا يطويانه) . دليل على الذهول الشديد جراء ذلك وعدم الفائدة من اتمام تلك الصفقات حين ذاك لما وقع من أمر كل لا يدري ما مصيره وانشغلوا جدا بما حصل ، وهو ما تفيده نبوءة حزقيال عليه الصلاة والسلام المذكورة ،

ويوافقهم على ذلك النبي اشعيا كذلك عليه الصلاة والسلام فيقول : ﴿ هُوَذَا الرَّبُّ يُخْلِي الأَرْضَ وَيُفْرِغُهَا وَيَقْلِبُ وَجْهَهَا وَيُبَدِّدُ سُكَّانَهَا وَكَمَا يَكُونُ الشَّعْبُ هكَذَا الْكَاهِنُ كَمَا الْعَبْدُ هكَذَا سَيِّدُهُ كَمَا الأَمَةُ هكَذَا سَيِّدَتُهَا كَمَا الشَّارِي هكَذَا الْبَائِعُ كَمَا الْمُقْرِضُ هكَذَا الْمُقْتَرِضُ وَكَمَا الدَّائِنُ هكَذَا الْمَدْيُونُ . تُفْرَغُ الأَرْضُ إِفْرَاغًا وَتُنْهَبُ نَهْبًا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ بِهذَا الْقَوْلِ . نَاحَتْ ذَبُلَتِ الأَرْضُ حَزِنَتْ ذَبُلَتِ الْمَسْكُونَةُ حَزِنَ مُرْتَفِعُو شَعْبِ الأَرْضِ وَالأَرْضُ تَدَنَّسَتْ تَحْتَ سُكَّانِهَا لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا الشَّرَائِعَ ، غَيَّرُوا الْفَرِيضَةَ ، نَكَثُوا الْعَهْدَ الأَبَدِيَّ لِذلِكَ لَعْنَةٌ أَكَلَتِ الأَرْضَ وَعُوقِبَ السَّاكِنُونَ فِيهَا لِذلِكَ احْتَرَقَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَبَقِيَ أُنَاسٌ قَلاَئِلُ . نَاحَ الْمِسْطَارُ ، ذَبُلَتِ الْكَرْمَةُ ، أَنَّ كُلُّ مَسْرُورِي الْقُلُوبِ بَطَلَ فَرَحُ الدُّفُوفِ انْقَطَعَ ضَجِيجُ الْمُبْتَهِجِينَ ، بَطَلَ فَرَحُ الْعُودِ ، لاَ يَشْرَبُونَ خَمْرًا بِالْغِنَاءِ. يَكُونُ الْمُسْكِرُ مُرًّا لِشَارِبِيهِ دمِّرَتْ قَرْيَةُ الْخَرَابِ صُرَاخٌ عَلَى الْخَمْرِ فِي الأَزِقَّةِ غَرَبَ كُلُّ فَرَحٍ انْتَفَى سُرُورُ الأَرْضِ اَلْبَاقِي فِي الْمَدِينَةِ خَرَابٌ ، وَضُرِبَ الْبَابُ رَدْمًا.

إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فِي وَسَطِ الأَرْضِ بَيْنَ الشُّعُوبِ كَنُفَاضَةِ زَيْتُونَةٍ، كَالْخُصَاصَةِ إِذِ انْتَهَى الْقِطَافُ . هُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ وَيَتَرَنَّمُونَ لأَجْلِ عَظَمَةِ الرَّبِّ يُصَوِّتُونَ مِنَ الْبَحْرِ ، لِذلِكَ فِي الْمَشَارِقِ مَجِّدُوا الرَّبَّ فِي جَزَائِرِ الْبَحْرِ مَجِّدُوا اسْمَ الرَّبِّ مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ سَمِعْنَا تَرْنِيمَةً : « مَجْدًا لِلْبَارِّ ».

عَلَيْكَ رُعْبٌ وَحُفْرَةٌ وَفَخٌّ يَا سَاكِنَ الأَرْضِ وَيَكُونُ أَنَّ الْهَارِبَ مِنْ صَوْتِ الرُّعْبِ يَسْقُطُ فِي الْحُفْرَةِ ، وَالصَّاعِدَ مِنْ وَسَطِ الْحُفْرَةِ يُؤْخَذُ بِالْفَخِّ ، لأَنَّ مَيَازِيبَ مِنَ الْعَلاَءِ انْفَتَحَتْ ، وَأُسُسَ الأَرْضِ تَزَلْزَلَتْ ، اِنْسَحَقَتِ الأَرْضُ انْسِحَاقًا تَشَقَّقَتِ الأَرْضُ تَشَقُّقًا ، تَزَعْزَعَتِ الأَرْضُ تَزَعْزُعًا ، تَرَنَّحَتِ الأَرْضُ تَرَنُّحًا كَالسَّكْرَانِ ، وَتَدَلْدَلَتْ كَالْعِرْزَالِ ، وَثَقُلَ عَلَيْهَا ذَنْبُهَا، فَسَقَطَتْ وَلاَ تَعُودُ تَقُومُ .

وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يُطَالِبُ جُنْدَ الْعَلاَءِ فِي الْعَلاَءِ ، وَمُلُوكَ الأَرْضِ عَلَى الأَرْضِ وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ .. وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ ، لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِهِ فِي أُورُشَلِيمَ ، وَقُدَّامَ شُيُوخِهِ مَجْدٌ ﴾ .

وجند العلاء هنا يعني به أقمار أولئك الكفرة ، فعند قيامه ليحاسب الأرض وينزل ليحل بالمدينة المقدسة ينزل الله عز وجل تلك الأقمار ، لأنه الأعلى ومن الباطل أن تعلو غمامته أي مصنوعات بشرية ، بل حتى الشمس والقمر بالمكان الذي سيحل عليه تبارك وتعالى بالمدينة لن يكون هناك حاجة للشمس ولا القمر ، لأن مجد الله يتجلى فوقهم وهناك يرى ، فما حاجتهم للشمس والقمر والرب حاضر وسطهم هناك ؟!

قال النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ مِنْ أَجْلِهَا لاَ أَسْكُتُ ، ولاَ أَهْدَأُ حَتَّى يَخْرُجَ بِرُّهَا كَضِيَاءٍ وَخَلاَصُهَا كَمِصْبَاحٍ يَتَّقِدُ فَتَرَى الأُمَمُ بِرَّكِ ، وَكُلُّ الْمُلُوكِ مَجْدَكِ ، وَتُسَمَّيْنَ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ وَتَكُونِينَ إِكْلِيلَ جَمَالٍ بِيَدِ الرَّبِّ ، وَتَاجًا مَلِكِيًّا بِكَفِّ إِلهِكِ لاَ يُقَالُ بَعْدُ لَكِ : مَهْجُورَةٌ وَلاَ يُقَالُ بَعْدُ لأَرْضِكِ : «مُوحَشَةٌ» لأَنَّ الرَّبَّ يُسَرُّ بِكِ ، وَأَرْضُكِ تَصِيرُ ذَاتَ بَعْلٍ . لأَنَّهُ كَمَا يَتَزَوَّجُ الشَّابُّ عَذْرَاءَ ، يَتَزَوَّجُكِ بَنُوكِ وَكَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بِكِ إِلهُكِ ، عَلَى أَسْوَارِكِ أَقَمْتُ حُرَّاسًا لاَ يَسْكُتُونَ كُلَّ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ . يَا ذَاكِرِي الرَّبِّ لاَ تَسْكُتُوا ، وَلاَ تَدَعُوهُ يَسْكُتُ ، حَتَّى يُثَبِّتَ وَيَجْعَلَهَا تَسْبِيحَةً فِي الأَرْضِ . اُعْبُرُوا ، اعْبُرُوا بِالأَبْوَابِ هَيِّئُوا طَرِيقَ الشَّعْبِ أَعِدُّوا أَعِدُّوا السَّبِيلَ نَقُّوهُ مِنَ الْحِجَارَةِ ، ارْفَعُوا الرَّايَةَ لِلشَّعْبِ هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَخْبَرَ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ ، قُولُوا : هُوَذَا مُخَلِّصُكِ آتٍ هَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَجِزَاؤُهُ أَمَامَهُ وَيُسَمُّونَهُمْ : شَعْبًا مُقَدَّسًا ، مَفْدِيِّي الرَّبِّ وَأَنْتِ تُسَمَّيْنَ : الْمَطْلُوبَةَ ، الْمَدِينَةَ غَيْرَ الْمَهْجُورَةِ ﴾ .

وقال في مجدها عليه الصلاة والسلام : ﴿ قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ أَمَّا

عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ .. وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ . لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ . لاَ يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكِ ، وَلاَ خَرَابٌ أَوْ سَحْقٌ فِي تُخُومِكِ ، بَلْ تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ : خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ : تَسْبِيحًا . لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا ، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ لاَ تَغِيبُ بَعْدُ شَمْسُكِ ، وَقَمَرُكِ لاَ يَنْقُصُ ، لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا ، وَتُكْمَلُ أَيَّامُ نَوْحِكِ وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ إِلَى الأَبَدِ يَرِثُونَ الأَرْضَ ، غُصْنُ غَرْسِي عَمَلُ يَدَيَّ لأَتَمَجَّدَ اَلصَّغِيرُ يَصِيرُ أَلْفًا وَالْحَقِيرُ أُمَّةً قَوِيَّةً أَنَا الرَّبُّ فِي وَقْتِهِ أُسْرِعُ بِهِ ﴾ .

وقال في مجدها عند زكريا : ﴿ وَأَنَا ، يَقُولُ الرَّبُّ ، أَكُونُ لَهَا سُورَ نَارٍ مِنْ حَوْلِهَا ، وَأَكُونُ مَجْدًا فِي وَسَطِهَا .. تَرَنَّمِي وَافْرَحِي لأَنِّي هأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ يَقُولُ الرَّبُّ ﴾ .

إنه المجد العظيم حين يأتي الله عز وجل ليحاكم الأمم والشعوب : ﴿ لذلك يعرف شعبي اسمي في ذلك اليوم لأني أنا المتكلم هآءنذا حاضرٌ ﴾ . " اشعيا عليه الصلاة والسلام "

وحزقيال :﴿ وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد ، ويكون مسكني فوقهم ﴾.
﴿ وَيَسْكُنُونَ فِيهَا آمِنِينَ وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَيَغْرِسُونَ كُرُومًا ، وَيَسْكُنُونَ فِي أَمْنٍ عِنْدَمَا أُجْرِي أَحْكَامًا عَلَى جَمِيعِ مُبْغِضِيهِمْ مِنْ حَوْلِهِمْ ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ ﴾ .

ويقول عز وجل في ذلك : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴾ ، ﴿ فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ ، سمى ذلك قضاء وأن القضاء هو يوم الآزفة .

ويقول تعالى في زبور داود عليه الصلاة والسلام : ﴿ قد تورط الأمم في الهوة التي عملوها وفي الشبكة التي أخفوها نشبت أرجلهم ، قد عرف الرب وأمضى القضاء وفي عمل يديه اصطيد المنافق اَلأَشْرَارُ يَرْجِعُونَ إِلَى الْهَاوِيَةِ كُلُّ الأُمَمِ النَّاسِينَ اللهَ . قُمْ يَا رَبُّ لاَ يَعْتَزَّ الإِنْسَانُ لِتُحَاكَمِ الأُمَمُ قُدَّامَكَ يَا رَبُّ اجْعَلْ عَلَيْهِمْ رُعْبًا لِيَعْلَمَ الأُمَمُ أَنَّهُمْ بَشَرٌ ﴾ .

وعلى لسان سليمان عليه الصلاة والسلام بين أن ذلك لا يأتيهم إلا بغتة كما في القرآن والكثير من النبوءات ، فيقول : ﴿ لأَنَّ الإِنْسَانَ أَيْضًا لاَ يَعْرِفُ وَقْتَهُ ، كَالأَسْمَاكِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِشَبَكَةٍ مُهْلِكَةٍ ، وَكَالْعَصَافِيرِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِالشَّرَكِ ، كَذلِكَ تُقْتَنَصُ بَنُو الْبَشَرِ فِي وَقْتِ شَرّ، إِذْ يَقَعُ عَلَيْهِمْ بَغْتَةً ﴾ . ومعلوم أن بكل القرآن الوعيد بقيام الساعة والعذاب أن ذلك لا يأتيهم إلا بغتة ، وقد اتحد الوحي على الإخبار عن ذلك .

وعلى لسان موسى صلوات ربي وسلامه عليه قال في هذا القضاء أيضا : ﴿ إذا سننت سيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي أرد نعمة على أضدادي وأجازي مبغضي ، أسكرُ سهامي بدم ويأكل سيفي لحما ﴾ .

وعلى لسان نبيه ارميا عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا الجبار بجبروته ولا الغني بغناه ، بل لهذا ليفتخرن المفتخر ، بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا في الأرض ، لأني بهذه أسرُّ يقول الرب . ها أيام تأتي يقول الرب : وأعاقب كل مختون وأغلف ﴾ . وفي هذا علامة من العلامات

الدالة في تعيين المهدي ، أن الله عز وجل يعرفه معنى القضاء وكيف سيفعله الله عز وجل ويفعل رحمته للمؤمنين آخر الزمان ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ، قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً ، عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾ . يعلمه القضاء والرسول هنا هو المهدي ، ومن ذكر بصيغة الجمع هم تلاميذه الذين أمروا بالخروج لجزيرة العرب للبشارة والنذارة بأمره.

ويقول نبي لله تعالى اشعيا : ﴿ قريب بري قد برز خلاصي وذراعاي يقضيان للشعوب ، إياي ترجو الجزائر وتنتظر ذراعي ، خلاصي إلى الأبد يكون وبري لا ينقصُ ﴾ .

وهكذا لما كان كل عمل الله تعالى للبر كانت دعوته لمهديه ورسوله وخليفته بالبر فقال على لسان اشعيا النبي : ﴿ أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ، فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ ﴾ وقال : ﴿ أقطري أيتها السماوات من فوق ، ولتمطر الغيومُ الصديق ، لتنفتح الأرض وليثمر الخلاص ، ولينبت البِرّ ﴾ وفي الزبور قال : ﴿ أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ ، أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ ﴾ .

فهذا طريق الحق لكن الكل يجهل حقيقته : ﴿ يَجْهَلُونَ طَرِيقَ الرَّبِّ وَقَضَاءَ إِلَهِهِمْ ﴾ ، قاله النبي ارميا عليه الصلاة والسلام ، مثل ما قاله سليمان عليه الصلاة والسلام وذكرته قبل : ﴿ الناس الأشرار لا يفطنون للقضاء والذين يلتمسون

الرب يفطنون لكل شيء ﴾ ، وبالفعل ها هو القضاء قد حل بهم من غير أن يفطنوا لذلك ، وماذا ينتظرون بعد ؟! ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ ، وأنا قلت هنا ماذا ينتظرون ، لكن الله تعالى قال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ، وهذا تأكيد على أن الأمر سينظر عيانا وهو ما أكد بالأنبياء وسيأتي نقل شيئا من ذلك.

وما أجمل وأعجب ما قاله عز وجل على لسان نبيه داود عليه الصلاة والسلام في هذا : ﴿ إن المنافق بحسب تشامُخِ أنفه وجميع أفكاره أنه لا إله ، وتنجَحُ مساعيه في كل حين ، ترتفعُ أحكامك عنه ويستخف بجميع أعدآئه . قال في قلبه إني لا أتزعزعُ ، من جيل إلى جيل لا بأس علي ، فمه مملؤٌ لعنة ومكرا وظلما وتحت لسانه ضررٌ وإثم .. قال في قلبه إن الله قد نسي ، حجب وجهه فلا ينظرُ البتة . قم أيها الرب الإله وارفع يدك ولا تنس البائسين . لماذا استهان المنافقُ بالله وقال في قلبه إنك لا تُطالب ﴾ .

إذا لا بد من القضاء وأن يحكم الله تعالى فيهم بعدله حتى يعلم الجميع بأن هناك إلها ديانا وربا يحكم بالحق والعدل ويبطل الشر ، ويبطل أحكام كل طاغوت وتذهب أحكام كل برلماناتهم للجحيم ، فلا أحكام الأفراد ولا أحكام جماعات الشعوب كذلك ، فكلهم باطل في باطل ، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ولمن الحكم والقضاء .

ويقول النبي ارميا عليه الصلاة والسلام : ﴿ لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُ مُجَازَاةٍ وَهُوَ حَتْماً يُجَاسِبُهَا ﴾ . مع قوله : ﴿ لَنْ يَرْتَدَّ غَضَبُ الرَّبِّ الْمُحْتَدِمُ حَتَّى يُنْجِزَ وَيُنَفِّذَ مَقَاصِدَ

فِكْرِهِ ، وَهَذَا مَا سَتَفْهَمُونَهُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ ﴾ . وربط ذلك بآخر الأيام مع هيجان الأنواء ، وهو الحاصل اليوم من غير أن يفهم ذلك إلا المهدي ومن آمن معه .

وقال كذلك : ﴿ لَقَدْ عَاقَبْتَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَجَّعُوا ، أَهْلَكْتَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ أَبَوْا التَّقْوِيمَ صَلَّبُوا وُجُوهَهُمْ أَكْثَرَ مِنَ الصَّخْرِ ، وَرَفَضُوا التَّوْبَةَ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّمَا هُمْ مَسَاكِينُ حَمْقَى ، يَجْهَلُونَ طَرِيقَ الرَّبِّ وَقَضَاءَ إِلَهِهِمْ ﴾ .

وقال في الزبور داود عليه الصلاة والسلام وما أكثر ما فصل عن الميراث في ذاك الزبور وعن حكم الله تعالى فيهم ونزول القضاء الذي كتب ، فيقول : ﴿ اللهم فاحكم عليهم وليسقطوا في مؤامراتهم ولكثرة معاصيهم أقصهم فإنهم قد تمردوا عليك ، وليفرح جميع المعتصمين بك وليرنموا إلى الأبد وأنت مُظللهم وليبتهج بك الذين يحبون اسمك ، فإنك أنت تبارك الصديق يا ربُّ وتكتنفُهُ برضاك مثل الترس ﴾ .

وعلى لسان مهديه وخليفته ورسوله قال في الزبور : ﴿ قم يا رب بغضبك وارتفع عند حنق مُضايقي وتنبه لي إنك أمرت بالقضاء ، فلتحط بك جماعةُ الأُمم وَعُدْ فَوقها إلى الأَعالي . إن الرب يدين الشعوب فاحكم لي يا رب بحسب عدلي وعلى نحو سلامتي ، لينقض شر المنافقين فتُرفِعَ الصديق ﴾ .

وهنا يرجع بنا الزبور لمعنى مجيء الرب عز وجل كما وعد بالغمام للقضاء على وفق ما ذكرت قبل من كتاب الله القرآن المجيد ، قوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ ، فقوله في الزبور : ﴿ وليفرح جميع المعتصمين بك وليرنموا إلى الأبد وأنت مُظللهم وليبتهج بك الذين يحبون اسمك ﴾ ، وقوله : ﴿ فلتحط بك جماعةُ الأُمم وَعُدْ فَوقها إلى الأَعالي ﴾ .

يأتلف على هذا المعنى وتحقق هذا الوعد وأن حلول الرب على الأرض يجب أن يكون على مقدس تقديسا معنويا كخيمة العهد في زمان موسى ، أو في الهيكل الذي بناه سليمان النبي ﷺ ، أو أن يكون ذلك على مكان مشرف كجبل أو تل ، كما حصل مع الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد الله عز وجل تكليمه ، أو كما حصل مع موسى صلوات ربي وسلامه عليه ، أو المسيح وتلاميذه حين كلمهم من فوق ذاك الجبل ، أو كما سيحصل مع المهدي خليفة الله تعالى ورسوله من فوق جبل أحد ، ويتقدس ذاك المكان حتما ، وإن عدم حلوله جلا وعلا بمكان مقدس تقديسا معنويا حتما لا يكون حلول الرب إلا بمكان عال مشرف كجبل أو تلة ، وقد ورد خبر أن نزوله سيكون على مرتفع عنه ﷺ أيضا فقال : إن الله تعالى إذا جمع الأولين والآخرين يوم القيامة جاء الرب إلى المؤمنين فوقف عليهم على كور ـ قالوا لعقبة ما الكور ؟ ، قال : المكانُ المرتفع ـ فيقول : هل تعرفون ربكم ؟ ، قالوا : إن عرفنا نفسه عرفناه ، فيتجلى لهم ضاحكا في وجوههم فيخرون له سجدا * .

وهذا يفسر شغف يهود اليوم لاسترجاع ما يكذبون ويدعون قدسيته تهيأة منهم لحلول الرب المرتقب كما كان الحال في زمان موسى عليه الصلاة والسلام ، فهم موقنون بتحقق تأويل ذلك ويتصنعون للتمهيد له بكل رغبة وتشوق لكن بافتراء الكذب على الله عز وجل ورسله ، وهيهات أن ينقلب الكذب لصدق والباطل لحق ، انما حلوله سيكون بمدينة المصطفى ﷺ وحتى جغرافيا العالم الذي خلقه الله تعالى تكذب زعم اليهودية اليوم الباطل في ذلك .

---

* قال الذهبي في كتابه " العلو" حديث حسن أخرجه ابن خزيمة في كتابه " التوحيد " عن الفلاس عن الحنفي وعنده على (كوم) اهـ . ورواه ابن أبي عاصم والدارقطني في كتابه " الرؤية " .

أقول : ولن يكون ذلك إلا مع غشيان الضباب ، وذلك مما تواتر به النقل عن أنبياء بني إسرائيل وجاء القرآن بتصديقه والتأكيد عليه كما في الآية المذكورة قبل ، وقد تفضل الله عز وجل على بني إسرائيل بذلك الغمام

وعده من نعمه عليهم واصطفائه :﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . ولعظم شأنه ذكر مرتين في القرآن في سورة البقرة وسورة الأعراف : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ .

وبالمثل ذكر ذلك مرتين أيضا بما يخص هذه الأمة مرة في سورة البقرة : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ ، وفي سورة الفرقان قال عنه : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ .

ومما لا شك فيه أن هذا من المثاني التي تقشعر منها جلود الذين آمنوا ثم تلين جلودهم لذكر الله عز وجل .

فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ : ﴿ لاَ تَخَافُوا ، لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا . فَوَقَفَ الشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الضَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللهُ ﴾ . وقال لهم أيضا : ﴿ هذِهِ الْكَلِمَاتُ كَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ جَمَاعَتِكُمْ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَالسَّحَابِ وَالضَّبَابِ ، وَكَتَبَهَا عَلَى لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ وَأَعْطَانِي إِيَّاهَا ﴾ .

وهذا بخصوص الماضي أما عن المستقبل فاقرأوا ماذا قالت الأنبياء ولنبدأ بالزبور ، قال هناك : ﴿ هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ ، أَعْطُوا عِزًّا للهِ . عَلَيهم جَلاَلُهُ وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ ، مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اَللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ ﴾ ، وقال : ﴿ طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ .. جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ حَوْلَهُ ، مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ ﴾ ، وقال أيضا فيه : ﴿ السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ ، الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ ﴾ .

أما نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام فيقول : ﴿ فَقُلْتَ: كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ ؟ هَلْ مِنْ وَرَاءِ الضَّبَابِ يَقْضِي ؟ السَّحَابُ سِتْرٌ لَهُ فَلاَ يُرَى ﴾ . وهذا يقينا أنه بالدنيا لأن على أصول أهل السنة والحديث وجوب اعتقاد مجيء الرب منظورا يوم القيامة كيف يشاء ، وهنا النبي عليه الصلاة والسلام ينفي معاينته وهذا متفق مع أصل من أصول دعوتنا المباركة على ما أقرره هنا ولله الحمد .

أقول : يجب أن يكون لله عز وجل هذا المقام العظيم لأنه أولى الشهداء سيكون ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ، قبل شهادة العصا والتابوت ولوحي العهد ، نعم ستكون للتابوت وما فيه شهادة عليهم صرح بذلك لهم موسى عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿ خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ .

وقبل شهادة كل نبي وصديق وولي ممن اختارهم الله عز وجل لهذا المقام العظيم مقام الشهادة على كل الأمم حين يقوم الله تعالى للقضاء شاهدا على كل الناس ممن يعاصرون ذلك الموقف العظيم : ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم

ومن عنده علم الكتاب ﴾ ، قرن تعالى مع شهادته في ذلك شهادة من عنده علم الكتاب ويدخل في هذا المهدي وكل من كتبه الله تعالى لذلك المقام من الأنبياء وعلى رأسهم المصطفى ﷺ فهو سيعود لتحقيق تلك الشهادة منه عليهم على ما قدر الله عز وجل ، ويقول النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام في هذا الخصوص:﴿ اِجْتَمِعُوا يَا كُلَّ الأُمَمِ مَعًا وَلْتَلْتَئِمِ الْقَبَائِلُ ، مَنْ مِنْهُمْ يُخْبِرُ بِهذَا وَيُعْلِمُنَا بِالأَوَّلِيَّاتِ ؟ لِيُقَدِّمُوا شُهُودَهُمْ وَيَتَبَرَّرُوا ، أَوْ لِيَسْمَعُوا فَيَقُولُوا : صِدْقٌ . أَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ ﴾ وشاهده من القرآن المجيد في قوله عز وجل:﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ ، ومن الشهداء المهدي خليفة الله تعالى ورسوله فهو من سيبعثه الله عز وجل زمن الزلازل والفتن : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ، إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ ولقول النبي اشعيا : ﴿ أَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ ﴾ ، ولقوله عز وجل أيضا : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ ، ولقوله في زبور داود عليه الصلاة والسلام : ﴿ معه أمانتي ورحمتي وباسمي قرنهُ يرتفع ، فأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه ، يدعوني إلهي وصخرةُ خلاصي ، وأنا أجعله بكرا عليا فوق ملوك الأرض ، إلى الأبد أحفظ له رحمتي ويبقى له عهدي أكيدا .. مثل القمر يكون راسخا إلى الأبد وشاهدا في الغيوم أمينا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ، ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ . لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ

وَالأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، جمعهم والأشهاد من الأنبياء والصديقين والأولياء .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء ﴾ ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ، يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .

وهو المقام الذي طلبه تلاميذ المسيح عليهم الصلاة والسلام قال عنهم في ذلك الله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ، إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ . وحين سأل أحد تلاميذ المسيح بقوله : تركنا كل شيء لنتبعك فما مصيرنا ؟ ، قال : إنكم لتجلسون يوم الدينونة بجانبي لتشهدوا على أسباط اسرائيل الاثني عشر اهـ .

وقال في ذلك صريحا ما يلي : ثم رفع يديه إلى الرب وصلى قائلا : ﴿ أيها الرب إلهنا إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحاق إله آبائنا ، ارحم من أعطيتني وخلصهم من العالم لا أقول خذهم من العالم لأنه من الضروري أن يشهدوا على الذين يفسدون انجيلي ولكن أضرع إليك أن تحفظهم من الشرير حتى يحضروا معي يوم الدينونة يشهدوا على

العالم وعلى بيت إسرائيل الذي أفسد عهدك .. إيها الرب الإله إلعن إلى الأبد كل من يفسد انجيلي الذي أعطيتني عندما يكتبون أني ابنك ، لأني أنا الطين والتراب خادم خدمك ولم أحسب نفسي قط خادما صالحا لك . أيها الرب الجواد والغني في الرحمة امنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين ﴾ .

وهنا أيضا يتأكد على لسان المسيح عليه الصلاة والسلام أن مكان وزمان تحقيق الشهادة هنا في العالم في الدنيا لأن النبي يقول بكل صراحة (لا أقول خذهم من العالم) ، ولو كان الإشهاد المراد به هنا بعد البعث من الموت للخلق كافة لما قال النبي هذا القول ، ومع قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، يتضح الأمر على التمام إذ بان أنهم في جملة شهود وليسوا لوحدهم ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ ، ﴿ ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ ، فالمقام كما ترون واسع وليس هو مقصورٌ على تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام وسيمر معنا عن المسيح اختيار الله عز وجل ليهودي فريسي ليس بنبي أنه اختير ليكون من الشهداء ، مثل ما تم اختيار النبي دانيال عليه الصلاة والسلام ليكون من الشهداء قال له ذلك ملاك بمنامه : ﴿ وأنت اذهب إلى الانقضاء وستستريح وتقوم في قُرعتك إلى انقضاء الأيام ﴾ ، ونظيره ما كتب على نبي الله تعالى ايليا عليه الصلاة والسلام إذ يقول كاتب الاسفار وتأريخ بني اسرائيل عن هذا النبي ما يلي : " وقد اكتتبه الرب لأقضية تجري في أوقاتها " .

وهذا دليل على أنهم في بني إسرائيل مدركون لهذه الحقيقة جيدا وهي مما كتموا عن الناس ، أو حرفوه ، بل يذهب هذا الكاتب للزعم على بعث اثني عشر نبيا فيقول حين سرد مناقب الأنبياء وبلغ ذكر نبي الله تعالى حزقيال عليه الصلاة والسلام فقال : " ورأى حزقيال رؤيا المجد التي أراه إياها بمركبة الكروبين ، أنذر

الاعداء بالمطر ووعد المستقيمين في طرقهم بالإحسان ، لتزهر عظام الأنبياء الاثني عشر من مكانها فإنهم عزو وافتدوا بإيمان الرجاء " . وقد فضحهم الله عز وجل في هذا حين قال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ، وإلا من أين علم بذلك هذا الكاتب ممن اتخذوا شهداء ؟

ومما قاله النبي دانيال عليه الصلاة والسلام في هذا الخصوص أيضا : ﴿ وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ ، الْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ ﴾ .

تمعنوا بأن لو كان الأمر عام لكل البشر لما اقتصره على (كثيرون) و (الفاهمون) ، ويريد بالفاهمون من اعلمه الله تعالى بحقيقة هذا الوعد والوعيد قطعا ، والكلام خاص هنا وليس هو من باب العام وليس مجاله ، ووقعت قرعة للنبي نفسه في ذلك الرجوع كما هو ثابت من كلامه نفسه عما رأى في منامه ، وسيأتي مزيد تفصيل لكل ما مر ذكره في هذه المقدمة بالفصول التالية إن شاء الله تعالى .

وكل نبي اكتتب لهذه الشهادة أخذ الله عز وجل عليه إن جائه نبي الله تعالى المصطفى ﷺ أن ينصره ، وهذا أيضا فيه ما يفيد أن هذا المقام الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له هو مما يكون في الدنيا لا بعد انقضائها ، فهي محل النصرة والتأييد وتحقيق المواعيد ، وما بعد الموت والبعث العام للبشر فليس هو مقاما للنصرة ولا التأييد ، بل هناك الحساب والعذاب الأبدي ، أما في الدنيا فمقام الشهادة ومقام النصرة هناك وذلك الذي عناه تعالى بقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ

اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، اقامهم شهودا على ذلك وسيكون شاهدا عليهم هو بنفسه تبارك وتعالى ، وكان رده تعالى على من اعتقد امتناع بعث هؤلاء الأشهاد بقوله : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ، لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ ، إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

فهل ترون مقام الحشر وجمع الناس كافة بين يدي الله عز وجل مقام تبيين !؟

أو أنكم ترون بعث الموتى مما يخفى على الكثير من الناس ؟!

ونظيره في قوله تبارك وتعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ، فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

أو ترون مقامهم يوم ذاك بين يديه حفاة عراة يمكنهم فيه كيده ؟!

والله ما يمكن يطلب منهم هذا حينئذ ، لكنهم لما لا زالوا بدنياهم ولعلهم يطمعون بذلك فوبخهم بهذا القول وكبتهم بإثبات عجزهم بعد أن يطلب منهم كيده بحال اخفى أحد منهم ذلك في صدره اماني .

وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾. وهو وعد ضربه الله عز وجل للأنبياء المنتخبين لهذا المقام الرفيع في قوله : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ، وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ، قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاء الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ، وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ، وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ، فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ .. وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .. وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

كتبــه / أبو عبداللـــه
الحسـين بن موسى اللحيدي
الجمعة 23 شعبان 1433 هـ
المـــوافق 2012/7/13

الفصل الأول

نسبة الطي في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء ﴾
لأقمارهم الصناعية عن وجه السماء

من المعلوم انه في جملة اعتقادات عباد الصليب من المؤمنين بالمسيح ممن يعتقد فيه الألوهية ، أنه آخر الزمان سيرفعهم للسماء وهناك يكون اجتماعهم به ، وأنهم سيورثون السماء والأرض ، وقد أخذ يهذي في ذلك مؤخرا الكثير من دعاة كنائسهم ، خصوصا بعد انتشار القنوات التلفزيونية وتعددها كثير جدا والمخصصة للتبشير بدينهم الباطل وعقائدهم المبنية على الكذب والتلبيس .

والكثير من أولئك هم على يقين تام في وقتنا بقرب تحقق ذلك المعتقد وصرحوا به في أكثر من مناسبة وموقع من تلك القنوات التبشيرية ، واعتبروا لقرب ذلك عدة علامات واستكشافات ، ونحن نوقن بذلك ونؤمن به لكن لا على الوجه الذي زعم هؤلاء الدجاجلة المشركين وعمر ما يكون عباد الصليب الخشبي والحديدي الأقرب لهذا الإيمان الحق والتصديق الحق وذاك الخلاص والتوفيق من الله تعالى ، بل هم أبعد الناس وألعنهم بلعنات الله تعالى التامات عن كل حق نادى به الأنبياء والرسل وعن كل عقيدة بينوها وبشروا الناس بها .

واليوم دعاتهم يصيحون بأن السماء ستورث وسينتقل لها أقذر بشر لعنهم المسيح نفسه عليه الصلاة والسلام وخصهم بتلك اللعنة من دون الناس ، ووصفهم بأخص ما يميزهم عن سائر الخلق بأنهم يدعون أنه ابن الله وأنهم

مؤمنون حقا بكلمات من نجسوا انجيله ولم يفعل ذلك غيرهم ، مستمسكون بذلك للنهاية .

وتعالوا للمهديين ليحدثوكم بالإرث الحقيقي للسماء والذي لم يؤمن به ولم يعرفه سائر الخلق إلا المهدي ومن آمن معه وصدق ببعثه الحق من الله عز وجل ، وتلك من اسرارهم من الله تعالى التي لم يهب العلم بها إلا لهم دون سائر هذه الأمة والخلق ، وسنعلمكم عن ذلك هنا ، قال تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ . ألم يسأل أحد نفسه كيف بدأ الرب تعالى خلق السماوات والأرض ، وما علاقة ذلك بتوريث الأرض للمؤمنين الصالحين ؟

نعم وربي إن التوريثين هنا علاقتهما وثيقة جدا .

أما توريث الأرض للصالحين من عباده فهو مبسوط بالزبور على الخصوص سبق ونص على تفسيره بأكثر من مكان سواء في كتبي ، أو مقالاتي ومقالات بعض الأتباع .

لكن تخصيص الكلام هنا بالنسبة لتوريث السماء وعلاقة ذلك بالأرض لا كما يهذي به عباد الصليب ، فأقول : خلق الله تعالى الأرض والسماء كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ

الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ومن الابتداء افطنوا إلى أن هذه الآيات والتي ذكرت قبلها أساس الشرح هنا وردتا في القرآن في السورة ذاتها سورة " الأنبياء " وذلك بحد ذاته لحكمة جليلة حتى يدرك من يهديه الله تعالى لفرق معنى التأويلين ، ولا أعتقد سيؤمن عاقل أن الله تعالى وفق معنى الآيات الأول ، أنه سيعيد الهيئة كما في الآيات الأخيرة ، لأن ذلك غير معقول ومجاف للحقيقة بالتمام وعليه سيحشر الخلق وسط مياه المحيطات والأنهار والبحار لما تعود الخلقة كما كانت بالأول ، فكيف سيرجع الخلق للأرض ثم الماء يحيط بها بالكامل ؟!

لأنه كان كذلك الخلق الأول ففتق الله عز وجل القادر على كل شيء ما بينهما فكون من البخار السماوات وزوى المياه كما ترون اليوم لمحيطات وأنهار وبحار تنتشر متفرقة على وجه الأرض ثم ضرب الأرض بالجبال الرواسي حتى ما تميد بالناس ، وهو نص هناك بأن يعيد الخلق كما كان ، إذن ليس الذي ذهبوا إليه من التأويل للآيات الأول صحيحا ، بل خطأهم في ذلك يقيني الآن لمن له ذرة من عقل ثم وقف على هذا التفسير المعلن الحق الآن[1] .

فلا يجوز على هذا ضرب كلام الله تعالى بعضه ببعض وتوجيهه ليتضاد بعضه مع بعض ، ثم لا يجوز التوهم على أخبار الله تعالى بالكذب سبحانه ، ولا بالتضاد والتناقض .

[1] يراجع : فصل " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا " من كتابي : (التفسيرات المهدية لبعض آيات من القرآن المجيد الخبرية) .

وهكذا كان بدأ الخلق ، وهناك وعد منه عز وجل أن يعيد السماء كما خلقها أول مرة أي لابتداء الخلق ومراده عز وجل ، أن خلقها سيعاد لا لما قبل الفتق ، بل لما قبل تدنيسها بأقمار أولئك الكفرة للاتصالات والتجسس على الأرض ، فلا إرث رباني للسماء كما وعد إلا بما قيل هنا ، ومن تحمل خلافه تناقض مع الآيات الأخر ولزمه نسبة الكذب لله تعالى أو التناقض والتضاد بين أخباره عز وجل ، سبحانه وتعالى عما يشركون ويجهلون .

وبعد أن تم لهم الارتقاء وبلوغ السماء ونشر أقمارهم الصناعية ومركباتهم الأممية هناك ، سيتم له عز وجل الدور بما تعهد بأن يطوي وجه السماء من كل تلك المصنوعات البشرية فيعيدها لأول خلقه لها خالية من كل ذلك ، وهم اليوم مثلا يرون محطة الفضاء الدولية وهي بالسماء من الأرض تلمع كلمعان أقرب نجم للأرض ، فتلك وأخواتها قطع الله تعالى بأن يزيلها من السماء ويعيد خلقها كما كانت قبل ذلك خالية منها .

أما نجوم السماء التي خلق هو تعالى فتلك باقية باستثناء من ثبت النص بزوالها لزوال الحاجة إليها أما ما عدى ذلك فباقية بقاء العزيز العظيم آمرا خالقا متعهدا كذلك بتوسيع رقعتها وانتشار منظومتها التي لا يحصيها كثرة إلا من خلقها من العدم ، فبدوام تلك دوام الله عز وجل آمرا خالقا وهو القائل بمحكم تنزيله : ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾. أخبر بتوسيع خلقه هناك لا بإنهائه للأبد فتنبه ومن لم يفقه هنا مراده تعالى حتما سيخلط ويدخل بالتقول بجهل على الله تعالى ودوام كونه لا زال خالقا آمرا ناهيا وسيكون كذلك إلى ما لا نهاية ، ولم يوقف عظمته وعظمة صفاته سبحانه على الجنس البشري الذي

قدر تواجدنا الآن بينهم ، فما هم وأرضهم وسمائهم في بحر خلق الله تعالى المترامي إلا كحبة رمل واحدة وسط كل ذلك بل أصغر ، والله أعظم من تقدير وتصور أي مخلوق من مخلوقاته ، سبحانه وتعالى عما يجهل الجاهلون .

أقول : هذا بالنسبة لما صنع أولئك الكفرة ونشروا في سماء الدنيا التي تحيط بأرض الله عز وجل ، أما بالنسبة لما خلق هو عز وجل فقد قال على لسان أحد الأنبياء وهو اشعيا عليه الصلاة والسلام ما يلي : ﴿ ارْفَعُوا عُيُونَكُمْ إِلَى الْعَلاَءِ وَانْظُرُوا ، مَنْ خَلَقَ هَذِهِ ؟ وَمَنْ يُبْرِزُ كَوَاكِبَهَا بِمَجْمُوعَاتٍ وَيَدْعُوهَا بِأَسْمَاءَ ؟ إِنَّ وَاحِدَةً مِنْهَا لاَ تُفْقَدُ لأَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَيْهَا بِعَظَمَةِ قُدْرَتِهِ ، وَلأَنَّهُ شَدِيدُ الْقُوَّةِ ﴾ وفي الزبور : ﴿ سبحيه يا جميع كواكب النور سبحيه يا سماء السماوات ويا أيتها المياه التي فوق السماوات ، لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت ، وثبتها إلى الدهر والأبد ﴾ . فكواكب الله عز وجل ونجومه باقية خالدة لا تزول ولا تطوى أبدا .

وعليه أقول : من توهم على تفسير قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، خلاف ما تقرر هنا ، وأن ذلك يشمل الكون كله وما بدأ الخلق يطلعون عليه من اتساع الكون ومنثور تلك المجرات العظيمة الرهيبة وما رأوه لعله لا يبلغ شيئا يذكر مما لم يروه بعد ، فمن اعتقد تدمير كل ذلك والذهاب به كأنه لم يخلق لهو كاذب قائل بما يجهل حقيقته عقله القاصر ، وإنه ناسب لا محالة لله تعالى العبثية والله منزه عز وجل من العبث ، لا يخلق إلا لحكمة وما لم يكن يراه الخلق من قبل أو بعضه وصار يراه اليوم الناس بما بلغوا من سلطان العلم بإذنه تعالى من كل تلك المجرات ويقينهم اليوم بمدى سعة الكون من فوقهم بحسب ما بلغهم من علم

ورؤية ، ثم هناك من لا زال بجهل يعتقد ان ذلك سيطوى كله بمعنى يفنيه الله تعالى ، فهو كاذب كما قلت وناسب لله عز وجل العبث ، بل هو مكذب لقوله تعالى المذكور قبل : ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، فينسبون له العبثية وتدمير ما خلق ولا زال يوسع فيه مما لم يشاهده أحد من قبل اليوم لمحدودية الرؤية بالعين المجردة ، عكس ما بلغه هؤلاء اليوم من سلطان العلم على ما بلغ الجميع العلم به .

وحتى على تفسير من فسر اعادة الخلق مثل ما بدأه بالنسبة للأرض نفسها وسمائها ، فقولهم نسبته للعبثية هو الحق ما يدل على أن تفسيرهم هذا باطل من القول منزه عنه الرب عز وجل ، لأن أي معنى حق وراء تدميره لخلق الأرض ثم اعادته على المثل الأول فهذه عبثية منزه عنها الله تبارك وتعالى ، وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات هذا أمر آخر ليس هو في ما نحن فيه هنا ، أما اعادة الخلق للأرض والسماء على ما كانت عليه بالابتداء فهذا مختلف وقولهم في تفسيره باطل بل محال كما قلت لاستحالة عودة البشر من قبورهم من وسط المياه بلا يابسة يقفون عليها .

ولا حجة لهم كذلك بدعوى تدميرها ودكها لأن في ذلك خلاف التفسير والتأويل الحق المخالف لما ذهبوا إليه في فهم معنى تلك الآيات ، لأن ذلك مقدمة لتبديل هيئتها لا إعادتها لسابق عهدها الأول ، وهذا أمر مختلف لا مجال لهم لتبرير تفسيرهم الباطل وحمله على هذا ، فالتبديل شيء واعادة خلق الأرض والسماء لما كانت عليه قبل شيء آخر فتنبهوا للفرق هنا .

وهذا بخصوص ما خلق الله سبحانه ، أما ما صنع البشر فانظروا تحت العنوان التالي :

اقتباس

موسكو (رويترز) 2010/10/26

محطة الفضاء الدولية تغير مدارها لتفادي قطعة حطام في الفضاء

صرح مسؤولون بأن قيادة الفضاء الروسية أمرت محطة الفضاء الدولية يوم الثلاثاء بتغيير مدارها قليلا لتجنب الاصطدام بقطعة حطام سابحة في الفضاء مما قد يسبب لها أضرارا جسيمة.

وقال مركز التحكم ان المسؤولين أمروا باطلاق الصواريخ لمدة 180 ثانية في تمام الساعة 1025 بتوقيت جرينتش لابعاد المدار 700 متر . وسيسمح المدار الجديد للجسم غير المحدد بالمرور على بعد 1.5 كيلومتر من المحطة.

وقالت متحدثة باسم مركز التحكم عبر الهاتف " فرصة حدوث تصادم واحد في الالف لكننا رأينا هذا الصباح أن حتى هذه الفرصة تعد كبيرة. "

ويوجد على متن محطة الفضاء الدولية ثلاثة رواد روس وثلاثة أمريكيين في مشروع قيمته 100 مليار دولار تشارك فيه 16 دولة.

وأخلى رواد الفضاء المحطة لفترة قصيرة العام الماضي بسبب خطر تصادم قطعة حطام لا يتعدى طولها سنتيمترا واحدا بالمحطة . ويقول الخبراء ان الاجسام الصغيرة قد تحدث ضررا كبيرا في أي سفينة فضاء لانها تتحرك بسرعة نحو 7.5 كيلومتر في الثانية .

واليوم يتجنبون الإسقاط لأن لأجلهم أمد بعد ، لكنهم حين يبلغون الأجل سيكون ما توعدهم تعالى به : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

تمعنوا كيف جعلها وعدا عليه تبارك وتعالى وجعل ذلك مرهونا بوعده تعالى تمكين عباده الأرض وهو مما بسطه بكتابه الزبور وغيره من أسفار الأنبياء ، فهناك أخبرهم لمن سيكون الملك ولمن ستكون العاقبة .

ومركبات السماء بالوعيد سواء مع كل مركباتهم العظيمة على وجه الأرض ووجه البحار والمحيطات مثل مركباتهم فوق السماء ، كل ذلك مما توعده تبارك وتعالى بالهلاك والخزي ، والعار سيتجلل المركبات كلها ومن صنعها ، ومن دمرت وعطلت مركباته في الأرض فكيف ستبقى له التي في السماء ؟! : ﴿ أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أُزَلْزِلَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَأُطَوِّحَ بِعُرُوشِ مَمَالِكِ الأُمَمِ ، وَأُدَمِّرَ قُوَّتَهَا وَأَقْلِبَ الْمَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَهَا ، فَتَهْوِي الْخُيُولُ وَرُكَّابُهَا وَيَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ حَتْفَهُ بِسَيْفِ صَاحِبِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ أَصْطَفِيكَ يَا عَبْدِي ، وَأَجْعَلُكَ كَخَاتَمٍ فِي إِصْبَعِي لأَنِّي اخْتَرْتُكَ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ ﴾ " حجي عليه الصلاة والسلام "

اقتباس

واشنطن (رويترز)2009/2/12

تصادم بين قمر اصطناعي امريكي واخر روسي في الفضاء

قال متحدث عسكري امريكي يوم الاربعاء ان قمرا اصطناعيا امريكيا للاتصالات اصطدم بقمر اصطناعي روسي في أول حادث تصادم من نوعه في الفضاء .

واضاف اللفتنانت كولونيل لس كودليك المتحدث باسم القيادة الاستراتيجية الامريكية ان التصادم وقع بين قمر اصطناعي مملوك لشركة ايريديوم ساتلايت ال. ال.سي. وقمر اصطناعي روسي للاتصالات توقف عن العمل.

وقال كودليك " نعتقد ان هذه هي المرة الاولى التي يصطدم فيها قمران اصطناعيان في مدار حول الارض. "

واضاف ان التصادم وقع في مدار على ارتفاع يبلغ حوالي 780 كيلومترا وهو ارتفاع تستخدمه في الغالب الاقمار الاصطناعية التي ترصد الاحوال الجوية او تحمل معدات للاتصالات الهاتفية.

ومضى قائلا " انه مدار مهم جدا للكثير من الاقمار الاصطناعية ".

وقال كودليك ان المحطة الفضائية الدولية تطير على ارتفاع أقل وهي تمثل الاولوية رقم واحد للقيادة الاستراتيجية في محاولة منع حوادث التصادم .

وقال النبي هوشع عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلاَ أُخَلِّصُهُمْ بِقَوْسٍ وَبِسَيْفٍ وَبِحَرْبٍ وَبِخَيْل وَبِفُرْسَانٍ ... وَأَكْسِرُ الْقَوْسَ وَالسَّيْفَ وَالْحَرْبَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ .

ويقول عاموس النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَمَاسِكُ الْقَوْسِ لاَ يَثْبُتُ ، وَسَرِيعُ الرِّجْلَيْنِ لاَ يَنْجُو، وَرَاكِبُ الْخَيْلِ لاَ يُنَجِّي نَفْسَهُ ﴾ .

ويقول أيوب عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَفِرُّ مِنْ سِلاَحٍ حَدِيدٍ تَخْرِقُهُ قَوْسُ نُحَاسٍ ﴾ .

وعند زكريا عليه الصلاة والسلام : ﴿ عَلَى الرُّعَاةِ اشْتَعَلَ غَضَبِي فَعَاقَبْتُ الأَعْتِدَةَ ، لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ تَعَهَّدَ قَطِيعَهُ ، وَجَعَلَهُمْ كَفَرَسِ جَلاَلِهِ فِي الْقِتَالِ ﴾ .

وحتى الطائرات التي كانت توصف على ألسنة رسله من قبل بوحوش السماء ، كل ذلك مما توعد تبارك وتعالى بتحطيمه : ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ، وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ، أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ . ونسبهم كلهم للظلام ، وقطع بالوعيد على انتصار أصحاب النور ، إنها المعركة الخالدة ما بين اتباع الظلام واتباع النور ، أتباع الرب الحق تعالى

وتبارك واتباع الشيطان المارد الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب الخزي والعار والنار .

وعلى هذا لا يستثنى من ذلك مركبة سماوية ولا أرضية ولا بحرية ، وكل ذلك من أجل ماذا ؟

من أجل المصطفى الخاتم وتمكينه في وسط أعدائه ليقيم الحق ويجري العدل ويزيل الباطل وكل الأكاذيب ، ويفرح الأتقياء من وسط الشعوب ، وتبتهج القلوب الصالحة كلها في كل مكان ، ويتم التمهيد لعودة الأنبياء ، وعلى وفقه يقول النبي اشعيا صلوات ربي وسلامه عليه ما يلي : ﴿ ها أَنَا قَدْ جَعَلْتُهُ شَاهِداً لِلشُّعُوبِ زَعِيماً وَقَائِداً لِلأُمَمِ ، انْظُرْ ، إِنَّكَ تَدْعُو أُمَماً لاَ تَعْرِفُهَا ، وَتَسْعَى إِلَيْكَ أُمَمٌ لَمْ تَعْرِفْكَ ، بِفَضْلِ الرَّبِّ إِلهِكَ ، وَمِنْ أَجْلِه .. لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكَ ﴾ .

وفي الزبور قال عنه : ﴿ معه أمانتي ورحمتي و باسمي قرنهُ يرتفع ، فأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه ، يدعوني إلهي وصخرةُ خلاصي ، وأنا أجعله بكرا عليا فوق ملوك الأرض ، إلى الأبد أحفظ له رحمتي ويبقى له عهدي أكيدا .. مثل القمر يكون راسخا إلى الأبد وشاهدا في الغيوم أمينا ﴾ ، وعلى لسان اشعيا عليه الصلاة والسلام قال عنه أيضا : ﴿ قَدْ دَعَانِي الرَّبُّ وَأَنَا مَازِلْتُ جَنِيناً ، وَذَكَرَ اسْمِي وَأَنَا مَا بَرِحْتُ فِي رَحِمِ أُمِّي ، جَعَلَ فَمِي كَسَيْفٍ قَاطِعٍ ، وَوَارَانِي فِي ظِلِّ يَدَيْهِ ؛ صَنَعَ مِنِّي سَهْماً مَسْنُوناً وَأَخْفَانِي فِي جَعْبَتِهِ ، وَقَالَ لِي : أَنْتَ عَبْدِي الَّذِي بِهِ أَتَمَجَّدُ .

لَكَمْ هُوَ يَسِيرٌ أَنْ تَكُونَ لِي عَبْداً لِذَلِكَ سَأَجْعَلُكَ نُوراً لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ يَرَاكَ الْمُلُوكُ وَيَنْهَضُونَ ، وَيَسْجُدُ لَكَ الرُّؤَسَاءُ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ الأَمِينِ الَّذِي اصْطَفَاكَ ﴾ .

فهذا ما سيكون لكن الآن وقبل أن يقع ذلك ، بماذا أمر ؟

أمر بقوله على لسان نبيه اشعيا ﷺ : ﴿ ادْخُلُوا إِلَى مَخَادِعِكُمْ ، وَأَوْصِدُوا أَبْوَابَكُمْ خَلْفَكُمْ . تَوَارَوْا قَلِيلاً حَتَّى يَعْبُرَ السَّخَطُ ، وَانْظُرُوا فَإِنَّ الرَّبَّ خَارِجٌ مِنْ مَكَانِهِ لِيُعَاقِبَ سُكَّانَ الأَرْضِ عَلَى آثَامِهِمْ ﴾ . وقال أيضا : ﴿ وَلَيْسَ مَنْ يَفْطَنُ بِأَنَّهُ مِنْ وَجْهِ الشَّرِّ يُضَمُّ الصِّدِّيقُ ﴾ .

ومن أجل هذا كان أمر المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه عند الفتن بأن يعتزل المؤمن لأنه هكذا قدر الله عز وجل وأراد ، فهو الذي سيخرج بذاته تعالى لكثرة الأشرار وعظيم قوتهم وشديد كفرهم وتوافقهم عليه ، فلا يكون قادرا وقاهرا لهم إلا هو تبارك وتعالى بجنده العظيمة ، لهذا كانت حكمته لعباده بالانتظار لحين يمضي المقدر ويعد الله تعالى لأمره بما كتب وشاء من مقادير حتمية الوقوع ، ومنها قلب كل تلك القوى التي يفتخر بها أهلها اليوم وسيأتي يوم تكون وبالا عليهم وخزيا وعارا ، واضحوكة للعقلاء لما يبدي الرب تعالى أمامها قوته الجبارة ، وقد ذاقوا بعضا من ذلك كمثل الذي حصل على اليابان وورطتهم بقواهم النووية هذا غير الدمار شبه الشامل نتيجة ذلك الزلزال وافاضة البحر الغاضب الهادر عليهم ، وما هو آت أكبر وأعظم ، فكم من عاصمة لأولئك الكفرة هي على ساحل بحاره ، فكم أنت ضعيف يا مغرور وتافه أمام قدرة من خلقك .

أما عاصمة عباد الله تعالى فانظروا ماذا قال تعالى عنها على لسان نبيه اشعيا : ﴿ لاَ يُحَالِفُ التَّوْفِيقُ أَيَّ سِلاَحٍ صُنِعَ لِمُهَاجَمَتِكِ ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَتَّهِمُكِ أَمَامَ الْقَضَاءِ تُفْحِمِينَهُ ، لأَنَّ هَذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ ، وَبِرُّهُمُ الَّذِي أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، يَقُولُ الرَّبُّ ﴾ . وإن كان قال الرب تعالى على لسان نبيه اشعيا ما قال في حفظ نجومه وكواكبه التي خلق ، فقد قال كذلك على لسانه في تدمير نجوم وكواكب هؤلاء الكفرة يوم تحقق الوعيد الحق ما يلي : ﴿ لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطًا عَلَى كُلِّ الأُمَمِ ، وَحُمُوًّا عَلَى كُلِّ جَيْشِهِمْ ، قَدْ حَرَّمَهُمْ ، دَفَعَهُمْ إِلَى الذَّبْحِ ، فَقَتْلاَهُمْ تُطْرَحُ ، وَجِيَفُهُمْ تَصْعَدُ نَتَانَتُهَا ، وَتَسِيلُ الْجِبَالُ بِدِمَائِهِمْ.

وَيَفْنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ ، وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ ، وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ ، لأَنَّهُ قَدْ رَوِيَ فِي السَّمَاوَاتِ سَيْفِي ﴾ .

وهذا لفظ نسخة العهد القديم لدى الأرثوثكس ، وحتى نسخة البروتستنت فهي بلفظ " وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ " كما نسخة الأرثوثكس ، أما نسخة الكاثوليك فهي على التوافق مع ما ورد بكتاب الله عز وجل القرآن إذ هناك وردت بهذا اللفظ : ﴿ والسماوات تطوى كدرج ويسقط جندها كافة سقوط الورق من الكرم والسقاط من التين ﴾ ، وفي القرآن كما مر معنا قال تعالى في ذلك : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ ، فانظروا كيف وضوح الأمر وجلائه باقتران الوعيد بإسقاط جند السماء التي هي نجوم وكواكب هؤلاء ببطش سيفه ، واقتران أثر سيفه عز وجل كما على الأرض في السماء كذلك ليوقن المؤمن العاقل هنا بمقصده وأن مراده بهذا الوعيد تواجد الأشرار هؤلاء بمصنوعاتهم هناك ، لا أنه يعني ما خلق هو تبارك وتعالى ، فما خلقه لا سيف عليه إنما سيفه سيسل على هؤلاء الكفرة الملاعين ومصنوعاتهم ولن يتركهم من غير حسيب ولا

رقيب ولا معترض قاهر فوقهم يردعهم ويمنعهم عن التمادي بالغي والعدوان والكفران ، ويقول لهم في يوم : ﴿ وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ، قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

إنها مرحلة حاسمة فاصلة وعلامة لا يداخلها التباس ، حين يبلغون السماء ويضعون تلك النجوم والكواكب هناك ، لكن الناس أكثرها عميت عن الحق وما قاله تعالى في هذا الخصوص ، لقد فصل ذلك تفصيلا لم تغادر كتبه ولا أسفار رسله صغيرة ولا كبيرة من ذلك إلا أحصيت : ﴿ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

ومن مواعيد الله تعالى في ذلك بكتابه القرآن قوله عز وجل التالي : ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ .. يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ ، ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ .. فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ، ﴿ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما

هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ . ويجب أن تتم هزيمتهم من السماء أولا ، فغير معقول أن يهزمهم على الأرض ولهم قوة في السماء ، بل تتم هزيمتهم من الأعلى أولا فلله تبارك وتعالى السمو والعلو ، وقد كان ذلك صريحا في الأنبياء فاقرأوا معنا هنا ما قاله النبي اشعيا كذلك في هذا الشأن : ﴿ كيف سقطت من السماء أيتها الزهرةُ بنتُ الصبح ، كيف قطعت إلى الأرض أيها القاهر الأمم ، قد قلت في قلبك إني أصعد إلى السمآء أرفعُ عرشي فوق كواكب الله ... أصعد فوق أعالي السحب وأكون شبيها بالعلي ﴾ . أو قول نبي الله عوبديا عليه الصلاة والسلام : ﴿ الْقَائِلُ فِي قَلْبِهِ : مَنْ يَهْوِي بِي إِلَى الأَرْضِ ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ تُحَلِّقُ كَالنَّسْرِ وَمَنَازِلُكَ مَبْنِيَّةً بَيْنَ الْكَوَاكِبِ ، فَإِنِّي سَأَهْوِي بِكَ إِلَى الْحَضِيضِ يَقُولُ الرَّبُّ ، يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ آتٍ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ ﴾ .

أما على لسان نبيه عاموس عليه الصلاة والسلام فيتوعدهم بذلك فيقول : ﴿ وَإِنْ صَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ فَمِنْ هُنَاكَ أُنْزِلُهُمْ ﴾ ، وفي نسخة أخرى بلفظ : ﴿ وَإِنْ نَقَبُوا لأَنْفُسِهِمْ مَلْجَأً فِي أَعْمَاقِ الْهَاوِيَةِ فَإِنَّ يَدِي تَطُولُهُمْ هُنَاكَ ، وَإِنِ ارْتَقَوْا إِلَى السَّمَاوَاتِ فَمِنْ هُنَاكَ أُنْزِلُهُمْ ﴾ ، كما القرآن تماما :﴿ فليرتقوا في الأسباب ﴾ . وصعودهم لها اليوم بما ترونه من ارسال المكوك لتجميع مركبتهم الفضائية الأممية وارسال اقمارهم الصناعية الكثيرة جدا ، إنها فيهم أخبار مؤكدة وفعل أوحد مؤكد فما لهم لا يؤمنون بهذا القرآن وتلك النبوءات ويخشون الله تعالى الذي توعدهم ، ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ، فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ . إنهم زنادقة ويقصدون تحدي الله تعالى في ذلك طاعة لإبليس العدو ، وقد أرسلوا في ذلك المعنى أكثر من رسالة معلومة لدينا مصادرها جيدا .

وتمعنوا للوصف الرباني لما هم عليه اليوم بكتابه تعالى الزبور : ﴿ يجعَلُونَ أفواهَهُمْ في السماء وألسنتهم تسعى في الأرض ﴾ ، وهذا صريح في أقمارهم الصناعية وما تبثه من خلال تلك التلفازات واللواقط في كل زاوية من أركان الأرض ، إن الأمر صريح جدا جدا .

ويوعظون بالنهي عن ذلك على لسان نبيه داود عليه الصلاة والسلام ويجعل في ذلك موعدة لهم كما القرآن ، فلم يفد ذلك لتكبرهم وشقاقهم مع الله عز وجل ، فيقول في زبوره ما يلي : ﴿ وَاسْمُكَ قَرِيبٌ ، يُحَدِّثُونَ بِعَجَائِبِكَ لأَنِّي أُعَيِّنُ مِيعَادًا ، أَنَا بِالْمُسْتَقِيمَاتِ أَقْضِي .. قلت للسفهاء لا تسفهوا وللمنافقين لا ترفعوا القرون لا ترفعوا إلى العلاء قرنا ، لاَ تَرْفَعُوا إِلَى الْعُلَى قَرْنَكُمْ .. اللهَ هُوَ الْقَاضِي هذَا يَضَعُهُ وَهذَا يَرْفَعُهُ لأَنَّ فِي يَدِ الرَّبِّ كَأْسًا وَخَمْرُهَا مُخْتَمِرَةٌ مَلآنَةٌ شَرَابًا مَمْزُوجًا وَهُوَ يَسْكُبُ مِنْهَا لكِنْ عَكَرُهَا يَمَصُّهُ يَشْرَبُهُ كُلُّ أَشْرَارِ الأَرْضِ ، وَكُلَّ قُرُونِ الأَشْرَارِ أَعْضِبُ ، قُرُونُ الصِّدِّيقِ تَنْتَصِبُ ﴾ ، ﴿ فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ ، ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، ﴿ لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ .. يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ ، وسبق نقل ما قاله على لسان نبيه عوبديا وعاموس عليهما الصلاة والسلام في وعيد هؤلاء حين يصعدون للسماء .

أما نبي الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام فاقرأوا ماذا قال تعالى على لسانه في هذا الخصوص : ﴿ الشرير يبقى إلى يوم العطب وإلى يوم النقم يُساقون ، فمن الذي يبين له طريقه ومن الذي يكافئه على ما صنع .. فإنه ولو بلغ السماء ارتفاعا ولطمت هامته السحاب ، يهلك إلى الأبد كعذرته فيقول الذين يرونه أين هو ، يطير

كالحلم فلا يوجد ويضمحل كرؤيا الليل ، والعين التي لمحته لا تعود تلمحه ولا يراه مكانه من بعد ﴾ .

ويبقى تقرير الكلام في السر وراء التشبيه بطي السجل للكتب بالقرآن في ذلك النبأ ، وبالكشف عن هذا السر الكشف عن زيادة في القرآن على ما تقرر بتلك النبوءة عند اشعيا عليه الصلاة والسلام ما يدل دلالة قاطعة على أن النبي ﷺ كان يوحى إليه بنبوته ورسالته من الله تعالى لا مثل ما زعم عليه الكفرة عباد الصليب الزنادقة أنه غير ذلك ، وإلا من أين له تلك الزيادة بالبيان والهيمنة على ايضاح معنى تلك النبوءات .

والعجيب أن ذلك الكشف ورد بعد ذكر تلك النبوءة على لسان النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام قريبا بحسب المطبوعات للعهد القديم بين أيديهم الآن ، فكان الخبر هناك عن قدوم ملك أشور لأرض اليهود غازيا ولما حاصرها وجدف بصوته وأصوات عسكره على الرب تعالى وعلى بني إسرائيل وأرسل إليهم قائدا للتفاوض ، فارتبك ملك اليهود وشعبه فصاحوا للرب تعالى باستغاثة ولاذوا بنبي الله تعالى اشعيا صلوات ربي وسلامه عليه ، فطمنهم النبي وخرج ملك اليهود برفقة شخصين وهما : شبنا الكاتب ويواح بن آساف المسجل .

وكان الوحي من الله تعالى ضد ملك أشور بطي ملكه وكتب سجلا بذلك ينقل إليه وبه تفصيل الوعيد ، ولما كان ذلك أثناء ذلك اللقاء وتلك المفاوضات وبوحي من الله تعالى ، وتم ارسال ذلك الكتاب للملك الأشوري بعد أن طوى ذلك الكتاب الكاتب يواح بن آساف المعروف بالمسجل ، كان تشبيه الله تعالى

لمصير طغاة اليوم بما جرى لطاغية الزمان بوقت النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام ، وأن مصيرهم وقوتهم كما بُلِغَ سنحاريب ملك أشور بما طوى كتابه بذلك ، المسجل ابن آساف ، فهذا هو سر التشبيه بطي نجومهم وكواكبهم من السماء كما طوى المسجل هناك على ملك أشور سنحاريب ما أوحى الله تعالى لنبيه اشعيا عليه الصلاة والسلام في شأن سنحاريب ، كتب له هناك بالأمر وانعقد الخبر على هلاكه قطعا ربانيا لا فكاك لمصير سنحاريب منه ، وبالمثل هؤلاء كتب قدرهم والخبر بتحطيم قوتهم وتسلطهم وتملكهم رقاب الناس وخصوصا منهم عباده المؤمنين اليوم ، كسنحاريب ملك أشور لما أراد التعدي على بني إسرائيل في زمانه وكان بوسطهم نبي الله تعالى اشعيا عليه الصلاة والسلام ، وكان ذاك يوما عظيما مشهودا نام من عسكر سنحاريب مائة وثمانون ألفا وما أفاقوا من نومتهم ، وأمهل ملكهم لحين يرجع لدياره وهناك قضي عليه بالهلاك .

وأختم بالقول : لما كان التأويل الحق ما ذكر هنا فتمعنوا معي هنا بسياق تلك الآيات ليفقه من آمن وهدي أكثر : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ . وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ .. إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ، لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ، وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ، افتتح تلك الآيات بهذا السياق عن خبر يأجوج ومأجوج وأمرهم مما يكون آخر الزمان والذي بعده يكون قرب تحقق الوعد الحق ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

ﷺ ، فالوعيد علامة قرب تحققه فتح يأجوج ومأجوج وبتحققه تطوى اقمارهم الصناعية ومحطاتهم الفضائية ، ويكون ذلك إيذانا بتمكين المؤمنين وتوريثهم كل الأرض من أولئك ، وحين ذاك يلف العالم فزع وصفه تعالى بالأكبر ومراده الصيحة والنداء بتمكين خليفة الله تعالى ورسوله وسيؤمر عباد الله تعالى بالذهاب إليه ، ويفزع حينئذ كل الكفرة وكل أهل النفاق إلا من آمن بهذه الدعوة ورجى الله تعالى وهو متوجه إليه بقلب سليم يعلم الله تعالى منه ذلك ، فكل هؤلاء يقبلون ولا يفزعون يومئذ وتبيض وجوههم ، وما عداهم يفزعون وتسود وجوههم .

وهذا هو المفهوم الحق من سياق تلك الآيات ، أما وعيدهم وآلهتهم بجهنم وتبشير المؤمنين بالنجاة من شرها فهو منفصل عما أراد تعالى بذكر يأجوج ومأجوج وطي السماء وتمكين المؤمنين الأرض والفزع من صيحة يومئذ ، فذاك خبر عما يكون بعد يوم القيامة حين يبعث الخلق من التراب ويجد الأشرار قصادهم أبواب جهنم مفتحة ، أما حين تحقق تأويل أمر يأجوج ومأجوج وطي أقمارهم عن السماء ومراكبهم الفضائية وتمكين المؤمنين فهذا مما يكون قبل ذلك وهم بالدنيا ، ولو وقع ذلك بالسياق جميعه ، فمنه منفصل ومنه متصل على ما فصل هنا والله ولي التوفيق والهدى ليس إلا منه عز وجل .

الفصل الثاني

بيان فرق ما بين السماء القديمة والسماوات السبع دونها

كل جاهل سيقف على تفصيل المقال المبسوط في بيان معنى طي السماء في الفصل السابق لن يصدق ، بل سيكفر بما قيل وسيجد وجدانه وقد ارتطم بجدر من الموانع التي حالت بين عقله وفهم ما تقرر في بيان هذا الأصل العظيم من أصول دعوة الحق المباركة في هذا الكتاب .

وفي الفصل هذا سيعزز ما تقرر قبل بما سيزيد الجهلة والكفرة بعدا أكثر وحسرة عاقبتها لذة ستكون بعقول وقلوب الذين يؤمنون بهدى الله تعالى ، ويوقنون به على الدوام .

ومن جهل السابقين واللاحقين في هذا الباب عدم تفريقهم وادراكهم للمعنى الذي تعالى يفرد به في آيات من القرآن اسم " السماء " وفي آيات أخرى يسميها بالجمع " السماوات " .

مثلا لما يقول عز وجل : ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ ﴾ .

أو قوله عز وجل : ﴿ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ﴾ .

الأسباب هي المسافات ما بين الطباق أو السماوات لقوله تبارك وتعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ .. فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ .

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ ، وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ ، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ .

فدعوى التملك والخبر بالارتقاء والنفاذ أو ركوب الطباق كله يقع على السماوات لا يأتي بها على الإفراد قط ، لأن ذلك مما لن يكون بمقدورهم أبدا .

ومثله الطي ، فقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾. بالإفراد خلاف قوله عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، أو قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فهو إن أفرد اسم السماء فلأنه يريد معنى خلاف المعنى حين يخبر عن الجمع ، يفيده قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا ﴾ ، وقوله تبارك وتعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ﴾ ، وقوله عز وجل ﴿ أم لهم ﴾ وحتى قوله ﴿ مَّا تَرَى ﴾ * ، فكل ذلك مما ثبت لهم العلم به ورؤية شيء من تفاصيله ، وادعاء ملكيته كذلك ، مثل ما ثبت لهم تجاوزه والارتقاء لطباقه ، أما في شأن سماء

* توسعت في شرح دلالة الرؤية هنا في فصل (أين التسونامي في القرآن العزيز ؟!) من كتابي في التفسير يراجع هناك .

السماوات فالأمر مختلف لا يصح حصول ذلك لهم على الإطلاق ، فلا معرفة لعدم احاطتهم بها ولا دعوى تملك لأنهم لم يبلغوا إلا طرفها فقط من ناحية الأرض والسماوات السبع المحيطة بها .

والمخالفة في ادراك ذلك ستكون بسبب جهلهم في معرفة الحكمة وراء التفريق في الخطاب الرباني ما بين الإفراد والجمع لاسم السماء .

ولأشرح المعنى من حيث الواقع ايناسا للعاقل ، وإلا الهدى بالقلب والعقل اكتفى بالنقل وجاء الإيضاح والتفسير من الواقع للتأكيد على المعنى وتصديق النقل بالكشف عن حقيقة تأويل كل ذلك ، ولينظر العاقل اليوم من زاوية تحقق التأويل فهذه وحدها كافية ليصل الفاهم للمعنى المقصود من كل هذا البيان والشرح .

فقوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجا ﴾ . فمن يمكنه أن يجادل اليوم إلا من عدم العقل والبصيرة بأن كون القمر والشمس على ما وصف الله عز وجل لا يصح بتاتا على وفق معتقد وافهام الجمهور كافة ، وهذه أقمارهم الصناعية المرسلة تجوب الكون بالأعلى وتصور كل تلك المجرات الهائلة الخلقة والواسعة الانتشار البعيدة كل البعد عن القمر والشمس في مجرتهما فكيف من ثم يكونان في كل تلك المجرات على ما وصف تعالى ناهيكم في سماء السماوات نفسها على سعتها وعظم ما حوت حتى تعد في سعتها مجرة الشمس والقمر لا شيء يذكر كحبة رمل واحدة على ساحل خليج أو محيط ؟!

فالعاقل الفاهم بعد المؤمن المصدق إلا ويوقن أن ذلك الوصف غير صحيح على الإطلاق ، لو كان المعنى ما يذهب له جهلة الجماهير اليوم وقبل في ادراك المعنى من الخبر بالسماوات هنا ، إلا من هدى الله تعالى من نبي أو رسول ، فأولئك فقط هم المهتدون للمعنى هنا العارفون بالفرق ، وسواهم في ظلمات الجهل سنة الله تعالى في الخلق : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

وصدق الكريم العظيم القائل بمحكم التنزيل : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ، فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ، فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . فأنى لهم الإيمان وظلمات الكفر تحيط بالبعض ، وظلمات الجهل بالبعض الآخر .

فالسماوات الطباق اللآتي فيهن القمر نورا والشمس سراجا خلاف ما اعتقد به الجمهور ، فلا سماوات هناك بحسب اعتقادهم الباطل ، بل هي سماء واحدة والسماوات السبع دون تلك السماء وفيهن القمر نورا والشمس سراجا حقا ، وهن ما قال فيهن تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، سواهن سبعا في ابتداء الخلق لأنهن على المعنى الذي لم يدركه الجمهور ، ولما كن تلك السبع على خلاف السماء الواسعة جدا والتي حوت كل تلك المجرات والنجوم والكواكب الهائلة الانتشار التي قال تعالى فيها : ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، ولما أراد التوسيع في الخلق أفرد ، أما

في خبر خلق الأرض والسماء لما كانت دخان بين تسويتها بالعدد واختصاصهما ببعض ، فتلك التي تلاصق الأرض وهي الطباق الملتفة حولها لتكون جوها الخاص بها دون ما حوت السماء الكبرى لها ولغيرها من خلقه الواسع وأفلاكه المنتشرة والتي بدأ البشر يكتشف سعة كل ذلك الآن رويدا رويدا .

فتلك السماوات والطباق هي التي سيصدق عليهم في تجاوزها الأخبار ، أما سماء تلك السماوات فلا يعتقد بصدق تجاوزها والنفاذ منها إلا القوم الذين لا يعقلون ، لعظم تلك السماء التي تحوي كل تلك الأفلاك المكتشفة حتى الآن دعوا عنكم ما لم يكتشفوه بعد ولن يكتشفوه أبدا ، لعظمها قال المسيح عليه الصلاة والسلام بإنجيله في خبرها ما يلي : ﴿ سماء السماوات لا تسعه لأن إلهنا غير محدود ﴾ ، وقبله قال فيها نبي الله تعالى نحميا عليه الصلاة والسلام : ﴿ أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ ، أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا ، وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا ، وَالْبِحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا ، وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا ، وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ ﴾ ، وهذا التفريق الحق ما بين حقيقة السماوات السبع وسماء تلك السماوات ، وعليه لن تجد التناقض لا في القرآن ولا الأنبياء في مسألة الإفراد والجمع لإسم السماء ، ولا يمكن الموائمة بين كل ذلك إلا على أصول هذه الدعوة المباركة وهو ما تم إيضاحه وسيتم إن شاء الله تعالى وفق ما سيذكر في هذا الكتاب .

وعليه يلزم فهم المعنى من قوله تعالى في طي السماء : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُب ﴾ ، على ما تقرر في هذا الكتاب ، لأن سماء السماوات لا تطوى بل توسع ، وإنما تقبض السماوات المحيطة بالأرض وهي

معلومة لديهم بل مسمية كل طبقة منها باسم يطلقونه عليها – أعني مستكشفوا الفضاء – ويدعون في كل طبقة منها ما يعرفون فيها ويقدرون مسافاتها بحسب مبلغهم من العلم ، وهي التي قال فيها تبارك وتعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ، إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ، فانتبهوا كيف أضاف زينة الكواكب للسماء الدنيا على الإفراد ، لأنها خلاف السماوات بل هي التي تحوي السماوات على ما بين الأنبياء وهي التي جعل فيها تلك الزينة لأهل الدنيا .

أما السماوات السبع فهي قرينة بالخلق مع الأرض ، ومثلما خلق السماوات في يومين كما مر معنا قبل هو أيضا خلق الأرض في يومين ، وذلك صريح في القرآن بقوله عز وجل عن السماوات قبل وعن الأرض : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ أتياه ، والسماوات لم تخلق بعد سبعا فخلقهن العزيز القوي بعد ذلك على ما أخبر وأوحى في كل سماء أمرها ، ثم أفرد بالذكر بعد ذلك الخبر عن زينة السماء الدنيا بمصابيح ، ويريد سماء السماوات والمصابيح تلك النجوم ومجموع المجرات التي يشاهدها المستكشفون الآن من خلال ما قدر الله تعالى لهم من وسائل اتصال ووصول للفضاء الخارجي ، وما يشاهدونه من ذاك الكم الهائل من النجوم وتلك السعة في الخلق الرهيبة والتي لا يحصيها عددا ومكانا إلا الله عز

وجل ، كل ذلك مما لم يدخل في جملة الخلق المذكور بالأيام ، ولا تلك السماء هي تلك السماوات ولا هي داخلة في جملتها بل هي سماء السماوات الأعظم والأوسع في الخلق والسابقة في الخلق بما لم يذكر لنا تعالى عنه إلا أنه لن يزال يوسع في ذلك الخلق ولن يبدل ولن يزول .

أما السماوات السبع فهي التي ستبدل لغير الحال التي تشاهد عليه اليوم ، لا تبديل يراد منه ازالة ما يطرأ عليها من فعل المخلوقين كما بين معنى ذلك قبل فيما اختص بسماء السماوات ، بل تبديل يغاير حقيقتها المشاهدة للبشر الآن تتكشف عنه حقائق مختلفة بالمرة عما يشاهد اليوم في الحياة الدنيا ، وكيف لا وهي منازل المؤمنين والتي من خلالها يعرفون درجاتهم في الجنة ، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أتم خلق الأرض وتقديره ما سيجري فيها ثم خلق تلك السماوات السبع بعد أن استوى إليها ، فكيف يكفرون وقد أوجدهم من العدم وهم بحكم الموت لأنه بدأ به فقال : ﴿ كنتم أمواتا فأحياكم ﴾ ، ثم أماتهم بعد ذلك وهم لا زالوا أرواحا بعد ، ثم أحياهم بشرا وسيميتهم بعد ذلك . وأفاد السياق المشترك فيه وصف خلق الأرض والسماوات مع خلق البشر بمختلف مراحلهم بأنهم مرهونون بالوجود لا بالأرض فقط بل والسماوات وأن كل ذلك الخلق مختص بعضه ببعض ، فالسماوات ستنقلب منازل جنان لهم ، والأرض دركات جحيم لبعضهم ، أما ما تحويه سماء السماوات فلا شأن لهم بذلك سوى كون بعض ما فيها زينة لدنياهم فقط ومتى ما زالت الحاجة لتلك الزينة ستزول تلك الزينة ومصادر علم الحساب والتي هي أيضا علامات لتحديد مساراتهم على وجه

الأرض ، أما عدى ذلك فالبقاء للخلق والتوسعة لأن الذي أوجد ذلك كله من قبل البشر وأرضهم وسماواتهم ما أوجده إلا ليبقى تعالى ويدوم إلى ما لا نهاية خالقا آمرا ناهيا ويوجد من خلقه ما يشاء ، ومثل ما خلق الملائكة ومن ثم الشياطين والجن وبعدهم الإنس ، قادر يوجد من الخلق ما يشاء تعالى وبأي مكان وزمان يشاء ، لا نهاية لخلقه ولا لأمره سبحان العزيز الحكيم.

وليست تلك بأول الآيات الجامعة لخلق السماوات والأرض بسياق يتعلق بخلق البشر للعلاقة المباشرة ، بل بغيرها ساق الله تعالى ذكر خلق السماوات والأرض مع خلق منافع للناس للعلاقة والاتصال على أنها آيات لمن يعقل ، ولا يمكن أن يعقل الحقيقة من لا يشاهدها وهي غائبة عنه بالتمام كما هي عليه الحال بالنسبة لاعتقاد الجمهور قديما وحديثا عن حقيقة وجود السماوات السبع ، فهم باعتقاد أن كل ما يشاهدونه ويشاهده اليوم غيرهم من مستكشفة الكفار ما هو إلا للسماء الأولى أما بالنسبة للسماوات غيرها الست فوجودهن بحكم الغيب لم يطلع عليها بشر قط ليس نبي ، وهذا مع كونه غير صحيح وحق فهو خلاف مفهوم تلك الآيات فالله عز وجل أحكم وأعلم ان يطلب التفكر من البشر والاعتبار عليه كآيات له من غير ما يشاهدون حقيقته ولا يطلعون عليه ، وذلك متحد وموافق على التمام مع اعتقاد المهدي في حقيقة وجود تلك السماوات فهي المشاهدة وهي التي يصح بالعلم بها الاعتبار لمن لديه هبة عقل ومزيد هدى من الله تعالى .

وهذا نظير من خالف باعتقاد كون الشمس سراجا في السماوات والقمر نورا فيهن ، مع اعتقادهم بحقيقة وجود السماوات وهذا أبعد ما يكون صدقا

وحقا مع الشمس والقمر ، والحق ببطلان أوهام معتقداتهم المتوارثة ، ومع صدق ما أخبر عنه تعالى بكتبه وعلى ألسنة رسله ، يهم الناس ويبقى الحق حقا لأن مصدره حق والحق لا يتناقض ولا يكذب بخبره .

قال عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . وكل ذلك مما تدرك حقيقته وبمقدور البشر العلم به وادراك كونها آيات لله عز وجل لأنها كلها تنطوي تحت المشاهدة وأحكام الحس لديهم من السماوات للأرض لاختلاف الليل والنهار للفلك التي تجري على وجه البحر ، للسحاب المسخر في السماء وتصريف الرياح ، أما ما كان في تصور عقلية الجماهير عن السماوات الست الباقية فذلك مما لا عبرة بما فيها ما لم يقع تحت حس من يعقل ولا آيات لهم فيما غاب عن مدارك عقولهم ، والجهل ليس من سبل الموقنين قط ، ولا يستحضر الغائب أبدا لا بالإيمان المجرد الصادق ولا بالهلوسات الذهنية ، ولا حتى بنبوءات الحق ما دامت أنباءها لا زالت غيبية ، مثل رؤية النبي تماما ﷺ بالمنام وهذا من صنف الحق فالرائي لم يشاهده على الحقيقة إلا مثال ، فكيف باستحضارات الجهل للحقائق فكلها باطلة ، نظير اعتقادهم كون الشمس سراجا في السماوات السبع والقمر فيهن نورا ، وهم باعتقادهم مع الشمس والقمر والأرض وكل تلك المجرات في السماء الأولى ، فأي تناقض حقيقي مع أخبار القرآن أكثر من هذا التناقض والمجافاة ؟!

لكن الأمر على ما تقرر هنا لا كاستحضار مهلوس لغائب فذاك أمر ، وعالم الحس والمشاهدة آمر آخر وما يخاطب الله عز وجل به عباده إلا وهو الحق لا هلوسة ولا استحضارات مجافية ومناقضة للحس والواقع .

ويبقى ادراك معنى الطي للسماء تلك على ما بين هنا بهذا الكتاب بأن يقوم بكنس أقمارهم الصناعية البشرية التي وضعوها هناك لما بلغوا وتجاوزوا السماوات السبع ، ووعيده بأن يطهر تلك السماء منها ، لهذا قال تعالى عنها : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

فتلك السماء خلاف السماوات السبع ، فالسبع وجب الإيمان والتصديق بتجاوزها من قبلهم بسلطان من الله تعالى ، أما سماء تلك السماوات فلا يمكن هذا ، وهي التي نص تعالى بالمنع من تجاوزها في قوله عز وجل : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، فتلك ظلمات السماء لا يمكنهم الخروج منها ، خلاف الطباق السماوات السبع فاليقين للنقل وللمشاهدة الآن أن ذلك تحقق .

وكذلك نفى عنهم السماع منها فقال عز وجل : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ . أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ * .

* يراجع : الفصل تحت العنوان التالي : " أقسم بالله العظيم أن المخاطب هنا بالقرآن المهدي ومن أدركهم " . من كتابي في التفسير .

فهذه حقيقة المعنى من إفراد الله تعالى لذكر السماء أو خبره عن السماوات بالجمع ، ومن جهل ذلك ولم يهد لمعرفة الحق في الفرق ما بين الإفراد والجمع بكلام الله تعالى وقبله كلام الأنبياء عن السماء ، من بعد هذا البيان فهم بالمنزلة مع أولئك أهل التخرص من أهل الكفر والنفاق ممن سبق الإشارة لما قالوه عن قيام الساعة وتوريث المؤمنين للأرض ، فكلهم على السواء في الجهل بحقائق الإيمان ومعرفة سبل الرحمان عز وجل ، وهم عن ذلك الحق بمعزل مشاهدة وسماع .

واعتبروا كذلك على وفق هذا التأويل الحق كيف يتبين ضعف الإنسان ومدى شدة جهله بربه عز وجل وما خلق تعالى العظيم ، وأنهم كل ما ازدادوا معرفة بظاهر من الحياة الدنيا قربوا لمعرفة مدى شديد جهلهم بربهم وقدرته العظيمة وسعة احاطته بالكون ، وأنهم كل ما كبر بنظرهم الكون ليوقنوا أن الله تعالى أكبر من ذلك حتى ما يسعه شيء كما قال المسيح عليه الصلاة والسلام بإنجيله الحق : ﴿ سماء السماوات لا تسعه لأن إلهنا غير محدود ﴾ .

وأختم هذه الفصل بالكلام على معنى هذه الآية بإيجاز للعلاقة : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ . فالسبع هنا هي التي تقدم الشرح في بيان ما هيتها ، وقد توهم في هذا السياق ابن عباس رضي الله تعالى عنه فحمل المعنى على الانفصال الكلي التام لذكر السماوات السبع فأتى بتخليط بسبب ذلك لحمله الفصـــل على الأرض أيضا فألزم نفسه على وفق ذلك تقرير أن بكل أرض آدم كآدمنا ومصطفى كمحمد عليهما الصلاة والسلام إلى آخر ذلك من شبه الهذيان ، والحق الصحيح أنها طباق أو دركات تتنزل كما طباق

السماء فوق ، كل دركة تختلف في طبيعتها عن التي أسفل منها إلى سبع دركات كما السماوات فوق وجه الأرض سبع طباق ، وهذا ما يريده تعالى بخبره في تلك الآية لا أن الأرض تتعدد لتكون سبع منفصلة ، بل الأرض ذاتها تتكون من دركات .

ومما يثبت بطلان ما تصوره ابن عباس على قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ من القرآن ذاته كما في قوله عز وجل : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ ، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، أفرد الأرض مع جمع السماوات ، ولو كانت الأرض على ما تصور ابن عباس ومن قلده لجمعت هنا كما السماوات ، وهذا دال على الحق الذي تقرر هنا بأنها تلك الدركات وعددها سبع كما أخبر تعالى لا أنها أراضين سبع منفصلة انفصالا تاما كاملا وإلا لم يصح هنا افراد اسمها مع الجمع لاسم السماوات إلا للغاية التي تقرر هنا ولهذا قال عز وجل : ﴿ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ ﴾ ، أي كلها بجميع دركاتها السبع .

وأزيد بالبيان أن تلك الطباق للأرض ما هي إلا أدوارا لجهنم لكل دور منها باب يدخل منه لذلك الدور من الكفرة من قضي عليه يحل بذلك الدور ، لقوله عز وجل في ذلك : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ، ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ ، فتلك هي حقيقة طباق الأرض أو دركاتها ، كما أن لأبواب السماوات حقيقة هي الأخرى ، فمثل ما لجهنم دركات وأبواب يدخل منها الكفرة أعداء الله تعالى ورسله ، كذلك هي الجنة طبقات يعلو بعضها بعضا ولها أبواب كما قال عز وجل عن ذلك : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ، فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ، لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ، هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ ، تبدل السماوات لتكون الجنة درجات ومن خلالها يعلوا بعضهم بعضا حتى يتراءوا من خلالها ويتزاورون ويعلوا من يرفعه تعالى فوق غيره حتى يرى كالنجم في السماء ، ومن دونه كالكوكب من السماء بالنسبة لمن دونه ، وهكذا ، وهذا مما لن يكون إلا بارتفاع بعضهم فوق بعض من خلال تلك السماوات التي تروها الآن يتزاورون الأعلى ينزل للأسفل والعكس ممنوع ، لهذا سيبدلها الله تعالى ويكشف عن أعين الخلق حتى ترى ويدخل كل درجة منها من يستحقها ، ومثل ذلك بالنسبة لجهنم أعاذنا الله تعالى من دخولها ومكابدة شرورها إنه هو السميع العليم الرحيم .

ولو كان بهم ذرة من عقل وايمان هؤلاء الكفرة لذهبوا يبحثون عن المسيح عليه الصلاة والسلام في السماء الثالثة فقد رفع إلى هناك ، بدلا من

بحثهم الضائع الآن عن الحياة في طبقات الكون العليا ، ولن يجدوا شيئا ولن يسمعوا شيئا ، ومن يضلل الله تعالى فما له من هاد .

وحتى من لم يكن على ملة هؤلاء لو بهم تعقل لأدركوا أن الله عز وجل وصف الجنات بما يوافقه هذا المعتقد والتقرير في هذا المقال ، فقد وصف ذلك تعالى وصفا ربانيا متفق على التمام فقال عز وجل : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وهذا عين ما تقرر هنا ولا مزيد ، إلا أنه يتعين التنبيه على أمر هام في هذا الخصوص وهو أن ما ورد في عرض الجنة بعرض السماوات والأرض أو كعرض السماوات والأرض كما في قوله عز وجل هذا من سورة أل عمران ، ورد ما يخالفه في سورة الحديد وهو خطأ من ناسخ المصحف فأفرد في سورة الحديد خلاف ما ورد في سورة آل عمران بالجمع والمراد عدد طباق السماوات ، ولا يمكن أن يكون الخطأ في ذلك إلا من الناسخ فالله عز وجل منزه عن الخطأ في ذلك ، فتارة الجنة عرضها كعرض السماوات هكذا بالجمع ، وتارة السماء فقط ، ولا يحتمل الأمر هنا التأويل والتحريف للجمع فالمسافة بعيدة جدا والكلام كله عن العرض ، فتعين التنبيه على ذلك والتأكيد عليه حتى ما تقرأ بالخطأ على ما وقع به الناسخ [2] وهو ظاهر لا لبس في بيان وجهه ويجب القراءة في ذلك كما في سورة آل عمران [3] .

---

(2) يراجع فصل : " ويحكم أقرأوها هكذا (وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْلَةِ لَظَالِمِينَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ..) " و فصل : " اثبات بطلان رسم المصحف بخلطهم ما بين معنى كلمة رجز ورجس " كامثلة على خطأ نساخ المصحف ، من كتابي في التفسير .

(3) ولمزيد تفصيل حول ذلك يراجع فصل ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ ﴾ من كتابي في التفسير

ومما يدل على المجاورة بين أهل الجنات وأهل الدركات في الجحيم ، كالمجاورة ما بين السماوات والأرض اليوم وغدا حين تبدل السماوات لتكون درجات للجنان ، ودركات جهنم في الأرض لتكون مثوى للظالمين ، قوله عز وجل التالي : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ، فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ، يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ ، بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ، لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ، قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ ، قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ ، وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ، أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ، إِلا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ ، أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّــهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ، إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ . تتصل الجنة بدرجتها الأولى بأول دركات النار من أسفل ، بحكم كون الجحيم بباطن الأرض ودرجات الجنة مما يعلوها ويحيط بها ،

ولهذا ورد الخبر كما قرأتم قبل بما يفيد التجاور والمعاينة من أفراد من الجنة ، لأفراد من أهل النار والعياذ بالله من مصيرهم .

والاطلاع هنا كائن ممن هو فوق لمن هو أسفل منه ، قال في مختار الصحاح : الاطلاع ، من اشرافٍ إلى انحدار اهـ . وبهذا أبين دلالة من قوله تعالى قبل أن الجحيم أسفل من الجنة حتى يطلع أهلها على أهل النار ولو لم تكن

بهذه المجاورة والقرب لما أمكنهم ذلك ، وأبلغ من هذا التعيين في قوله تعالى أين سيجد المرء تعيينا لمكان الجنة بالنسبة للنار ؟

وعلى وفقه سيتم العلم واليقين بأن وجود وتعيين الجنة إنما يترتب على تعيين مكان جهنم وعلى وفقه يتم تعيين مكان الجنة ، فان كان الصحيح بالتعيين للجحيم باطن الارض وغلب المؤمن بذلك التعيين بالحجة يتعين أن يغلب أيضا بتعيين مكان الجنة على الصحيح وأنها فوق الارض تصعد درجاتها للأعلى ، وهكذا هي حقيقة مسألة تعيين الجنة والنار التي حارت بها العقول وطاشت في تعيينها الأفهام والأفئدة .

والمتمعن بأصل اعتقاد المهدي هنا في تعيين مكان الجنة والنار سيرى لا محالة تآلف معاني البراهين كلها على وفقه ومتحدةٌ معه ، عكس ما عليه جماهير الناس فهناك كل الاضطراب والتناقض وعدم العلم واليقين.

إذا هما متلازمتان بالوجود متصلتان بالمكان لا محالة وبغير هذا الاعتقاد والتصور ستضطرب الأفهام بتناقض الأدلة ومعانيها في التعيين والجمع بين كل تلك النصوص ، ولا يمكن يطلع أهل الجنة على أهل النار بغير هذا التعيين ، ومثله بالمناداة كما الاطلاع ذلك في قوله عز وجل : ﴿ ضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ، يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ، فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، يطلعون وينادون وأولئك يسمعون وهذا لن يكون قط الا على أصلنا في إثبات وجود الجحيم

والجنة متجاورتان ، فالسور وجه الارض ولها باب من خلاله الجحيم ومن خارجه الجنة ، بغير هذا الأصل والجمع لا اتفاق ولا صحة لتحقق الاطلاع والمشاهدة والإسماع والسماع كذلك ، فهم قريب يسمعونهم للتجاور ، وهناك قال اطلع فرآه وكل ذلك لتحقق التجاور بالمكان الذي يسمح منه المشاهدة والسماع ، ولا يمكن اثبات التجاور بالمكان إلا على هذا الأصل في الدعوة المهدية المباركة في إثبات التجاور بالوجود للجنة والنار والتعيين لهما بذلك على ما بين هنا.

نسألك ربنا الكريم المنان أن تجعلنا من أهل الجنة السالمين من النار سلاما كاملا محرزا من كل شر من شرورها [4] .

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ، هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ، هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ، وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ، هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ، قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ، قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ . وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ، إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ، قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ، قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ ، ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ .

---

(4) راجع الكلام حول حقيقة جهنم فصل : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ وما يليه من كتابي في التفسير .

وقال تعالى على لسان نبيه داود عليه الصلاة والسلام في كتابه الزبور :

﴿ الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَدِيرُ تَكَلَّمَ ، وَدَعَا الأَرْضَ لِلْمُحَاكَمَةِ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا ، أَشْرَقَ مَجْدُ اللهِ ، يَأْتِي إِلَهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ ، تُحِيطُ بِهِ النَّارُ الآكِلَةُ وَالْعَوَاصِفُ الثَّائِرَةُ ، يُنَادِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْعُلَى ، وَالأَرْضَ أَيْضاً مِنْ تَحْتُ لِكَيْ يَدِينَ ، فَتُذِيعُ السَّمَاوَاتُ عَدْلَهُ لأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّيَّانُ ﴾ . فتلك هي السماوات كما الأرض معنية كما البشر بتلك الحسابات والعذابات ، أما سماء تلك السماوات فبعيدة جدا

عما نحن بصدد الحديث عنه صدقوني ، هذا ولما كانتا بتلك المنزلة من القرب للبشر قال ﷺ في الحديث الصحيح المروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : " الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك " [5] . يعرض بذلك عن مدى قربهما والإضافة لشراك النعل امعانا منه بالوصف وقد قارب أن يكشـــف عـن السر لكن هيهات علمهم بذلك ولم يشأ الله تعالى أن يهديهم لسرها ، فالشراك للمداس وهو الأقرب لباطن الأرض منهم مستقر جهنم ، ومثلها الجنة فأول درجاتها من على سطح الأرض وهم يدوسون عليه قبل وقتها ، وجهنم تحت أقدامهم ولا شعور لهم بذلك .

وكل ما روي عنه ﷺ في تفاصيل الحشر والحساب مما سيجري يوم القيامة بعد أن يبعث البشر من موتهم ليدين الله عز وجل الكل على ما عملوا ، كل ذلك إنما يثبت ما تقرر لبيان هذا الأصل في تعيين مكان الجنة والنار وأن نقطة الفصل تتم من على وجه الأرض فما فوق الجنان وما سفل عنها دركات الجحيم ، حتى أن الخبر عن ضرب الصراط فيوضع على متن جهنم وهي أسفل

(5) البخاري وأحمد

منه فاغرة فمها وذلك بابها الأول ، ولو لم يكن مبدأ دركاتها من على وجه الأرض والناس فوقها لما صح الخبر بتساقطهم فيها يوم الحساب بعد الحشر ، أفاده الخبر المشهور الصحيح التالي لفظه :

" ويضرب جسر جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم " .

ثم الخبر بالإذن للمؤمنين ليخرجوا من سقط في جهنم من المسلمين حتى يطرحونهم على باب الجنة فينبتون على طرف نهر من أنهارها كما ينبت حب الزرع .

كذلك قصة آخر جهنمي ممن سيدخل الجنة ، وكل ذلك يثبت اتصال المكان بطرفي الجنة والنار ، ومن راجع مجموع تلك الأخبار سيوقن ذلك وأنه لا فصل بينهما لا يسع البشر تجاوزه ، حتى يسير آخر جهنمي ليدخل الجنة وللتو هو مصروفا من لهيب النار ودخانها فيطلب يقف عند باب الجنة ثم لا يزال يسأل ربه من قربها ويدنيه حتى يدخلها .

هذا وقبل ذلك بعد ما يجوز الناس الصراط ويسلم منهم من يسلم من السقوط ببطن الجحيم ، يحبسون بعد ذلك للحساب فيما بينهم بالحقوق وهم لا زالوا دون الجنة تجاوزوا النار ، وقد يرجع لها منهم من علق به حق لم يستوفى منه ، وكل ذلك ما قلت دال على اشتراكهما بالمكان والاتصال به اتصالا طبيعيا للبشر وليس اعجازي كالانتقال بالطيران او كانتقال الأرواح من دون

الأجساد ويدل عليه قوله عز وجل :﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ﴾ ، ولم يذكر الانتقال هنا إلا بشكل طبيعي لا اعجازي كانتقال الروح . ونظيره ما مر قبل قوله صلى الله عليه وسلم اثناء عبورهم الجسر من على متن جهنم قال : " فأكون أنا وأمتي أول من يجيز " . قال الأصمعي : جاز الوادي مشى فيه وأجازه قطعه .

وقال النووي : المعنى أكون أنا وأمتي أول من يمضي على الصراط ويقطعه يقول جاز الوادي وأجازه إذا قطعه وخلفه اهـ . وهكذا دل ذلك على انتقال طبيعي للبشر وأجسادهم وليس اعجازيا كما انتقال الروح على ما ذكرت ، ويكون المكان مشترك يتصل به طرفي الجنة والنار ، والانتقال مما هو طبيعي بالنسبة للبشر ، ومجمل الأدلة أفاد معناها على كون ذلك مما يحصل على وجه الأرض يوم تبدل الأرض لغير الأرض التي يعهدها البشر اليوم ، فتكون أكبر حجما مما هي عليه الآن منبسطة لا اعوجاج فيها لكنها تبقى بالأصل هي ذات الأرض التي تحيط بها طباق السماوات السبع والتي ستبدل هي الأخرى لتصبح على خلاف ما هي عليه الآن ، فتتحول تلك لجنان والأرض لنيران بدركاتها السبع والعياذ بالله تعالى من دخولها . ومن الآيات في القرآن الدالة على تعيين مكان الجحيم أنها في الأرض قوله عز وجل في آل فرعون : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعةُ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ . قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : لم يُرد أن ذلك يكون في الآخرة وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في القبور اهـ [6] . ومن المعلوم أن قبورهم ليست إلا في باطن الأرض ومنها يتم عرض أرواحهم على جهنم ما يدل على أن مستقر أرواح الكفار في باطن

---

[6]) تأويل مشكل القرآن

الأرض ، على مقربة من جهنم . هذا والله وحده ولي التوفيق ولا مهدي إلا من هداه الله تعالى .

الفصل الثالث

السماء الأعظم في الخلق أقدم بالإيجاد من السماوات السبع

هذا الأصل في التفريق ما بين حقيقة وجود السماوات السبع ووجود سماء فرد أعظم من تلك السماوات السبع وأنها تحويهم جميعا ، هو أصل متفق عليه في كلام الأنبياء وما روي في أخبارهم ، وللأسف هذا مما يجهل أمره أهل الإسلام وما أكثر ما يجهلون ويخفاهم من حقائق الآخرة والمعاد وحتى بدء الخلق بل أكثر من ذلك أيضا يجهلون في حقيقة وجود الله تعالى وحقيقة ذاته العلية وصفاته المقدسة العظيمة ، يجهلون في ذلك ولهم خلط عليه واضطراب شديد كما سيمر معنا بيان شيء من ذلك إن شاء الله تعالى ، مثل ما مر معنا بيان بعضا من ذلك قبل .

وفي الزبور على لسان نبيه داود عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ سَبِّحِيهِ يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ، سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ، لِتُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ ، وَثَبَّتَهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ ﴾ . أثبت وجود المياه فوق السماوات السبع وأثبت سماء فوق كل ذلك ، بل في موضع آخر من الزبور يصف تلك السماء الجامعة للسماوات السبع بالقديمة فيقول هناك : ﴿ يَا مَمَالِكَ الأَرْضِ غَنُّوا لِلهِ رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ الْقَدِيمَةِ . هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ ﴾ .

لم سمى تلك السماء الجامعة للسماوات السبع ، بالقديمة ؟ يريد بالخلق ، فهي أقدم بالخلق من السماوات السبع والأرض وهذه حقيقة كبرى جهل المسلمين فيها مطبق مركب ترتب عليه خلط شديد على ما كان قاله صلى الله عليه وسلم عن بدء الخلق ، واضطربوا بسببه في إدراك حقيقة ذلك اضطرابا شديدا ، ومما اعتقدوا على وفق خطأهم وضلالهم في ذلك أن ابتداء الخلق إنما كان بخلق السماوات السبع والأرض وأن الله عز وجل لما عمد يخلق الأرض والسماوات السبع لم يكن شيء معه وقتها ، والحق خلاف ما اعتقدوا بل كانت السماء القديمة سماء السماوات قد خلقت من قبل وكان يوم خلق الأرض والسماوات موجودةٌ تلك السماء وما حوت من مجرات .

بل حتى خلق الملائكة كان قد سبق ذلك ولما خلق خلقه الذي قص علينا بالقرآن من تفاصيله ، حين فتق ما بين اليابسة والماء وكان بخار الماء – الدخان – ثم خلق السماوات السبع من ذاك الدخان حول الأرض من بعد ما قدر فيها ما قدر في أربعة أيام ، وكانت تلك الطينة قبل ما تنفخ فيها الروح ، والملائكة قد سبق كل ذلك خلقهم وخلق السماء القديمة .

ولما علم الشيطان بأمر تلك الطينة وما يريد تعالى من وراء ايجادها وايجاد كل ذاك الخلق الجديد وصار ذلك النزاع ، وكان الشيطان في جملة الملائكة في السماء القديمة قبل ما يخلق الله تعالى الأرض والسماوات السبع من حولها ، لهذا لما تدرج الله عز وجل بالخلق وكان له اطلاع حول تلك الإرادة حصل بعد ذلك ما حصل ، وكل ذلك مما سبق خلق آدم وتبع خلق الأرض والسماوات ، ثم هم أتو بجهل بعد كل تلك التفاصيل ولم يفرقوا ما بين وجود السماء القديمة

وما لها من سبق على خلق الأرض والسماوات السبع من حولها ، وأجملوا باعتقاد الأمر ولأنهم لم يفرقوا ويدركوا ويعلموا بهذا التفصيل اختلط عليهم الأمر فلم يفرقوا معنى الخبر حول ذلك الخلق الطارئ وأنه مختص بخلق الأرض والسماوات من حولها دون السماء القديمة وما سبق فيها من خلق ومن ضمن ذلك وجود الملائكة ، فحين نبأهم أنه سيجعل في الأرض خليفة وخلق ما خلق من أمر يمهد لذلك ثم خلق بعد ذلك تلك الطينة من بعد ما خلق قبلها كل ما على وجه الأرض من دواب ونبات ، في ذاك الوقت كان الله تعالى وكان معه خلائقه من الملائكة وغيرهم من أفلاك سماء السماوات القديمة ، وكانت السماء قائمة بأفلاكها ومجراتها قبل خلق الأرض مستقرا لبني البشر .

ثم أنشأ خلق الأرض والسماوات لما أراد وأعلن عن عزمه على إيجاد جنس البشر فاختص بالخلق كوننا هذا لما قصد لذاك الإيجاد من خلق جديد ، أما قبل ذلك فكانت السماء القديمة وكان الملائكة يسبحون بحمده دوما ، لهذا كان يجب عليهم اعتقاد واعتماد جواب النبي ﷺ على سؤال بعضهم عن بدء الخلق بقوله : " كان الله ولم يكن شيء قبله " . لأن جوابه كان بحسب سؤالهم وهم قد سألوه عن مبدأ خلق ما يشاهدون من عالمهم الذي يرونه أمامهم ، فأجابهم عليه الصلاة والسلام بحسب ذلك ، لهذا كان اضطرابهم باختلاف تلك الروايات مع أنها مختلفة المعنى لكن حسب من لا علم له بالفرق أنها بمعنى واحد وهذا باطل غير صحيح ويترتب عليه عدم اعتبار خلق الملائكة السابق على ذلك ولا خلق السماء القديمة السابق هو أيضا على خلق الأرض والسماوات السبع المحيطة بها وما بث في الأرض مما قدر عليه التسخير لبني البشر ، فهذا

العالم المشاهد خلق لإيجاد بني البشر لهذا جعله كله مسخرا لهم حتى السماوات سخرت لهم مستقبلا ليرقوها طبقا عن طبق .

وحتى الشمس والقمر وتلك السيارات سخرت لمنافع بني آدم رغم أنها في الخلق من خارج السماوات السبع ، فكل هذا العالم المشاهد مسخر لهم ولأجلهم خلق .

أما السماء القديمة والملائكة فهم خارج ذكر ذلك الخلق الجديد ، وذكر خلقهم لم يرد بتلك التفاصيل كما أن النبي ﷺ لم يعنهم بجوابه ألبته وعليه لا يصح اعتقاد أن الله تعالى وقت ما خلق الأرض والسماوات لم يكن شيء معه على ما توهموا في ذلك على وفق اختيارهم اللفظ الآخر المتوهم عليه صلى الله عليه وسلم وهو : " كان الله ولم يكن شيء غيره " .

فهذا باطل مخالف لقصص القرآن في خلق الأرض والسماوات ، فهو لم يذكر بذلك التفصيل إلا خلق الأرض والسماوات من بعد ما كانتا رتقا ففتقهما وأوجد منهما ما ذكر ولا يجوز اعتقاد معنى جوابه عليه الصلاة والسلام إلا وفق ذلك التفصيل من كلام الله عز وجل سواء في القرآن أو ما أوثر عند أهل الكتاب ، وكانت السماء القديمة وما حوت سابقة بالخلق عليهما ، فكيف يصح الاعتقاد وقتها بأن الله عز وجل كان ولم يكن شيء معه ؟!

بل كانت السماء العظيمة التي حوت كل ذلك الخلق معه ، وكانت الملائكة تسبح بحمده تعالى ومن ضمنهم اللعين الشيطان ، والخلق المجاب عنه من كلام

المصطفى ﷺ هو الذي كان مختصا بالبشر لم يختص بهم سواه ولم يقتصر الإله الحق بالخلق عليهم ولا على عالمهم ، وهذا ما لم يدركه أحد ويستوعب حقيقته الكثير .

ومما ترتب على اعتقادهم الباطل هذا أن الله عز وجل لم يكن يخلق وكان معطلا ولا زال كذلك إلى أن شاء يخلق آدم وذريته فصار بذلك خالقا بعد أن لم يكن كذلك ، أما قبل ذلك فكان معطلا عن الخلق لا يصنع شيئا وذلك لازم فهمهم الكاذب على الله تعالى ورسوله ، وماذا يكون عمر الجنس البشري مع أزلية الله تعالى وسرمديته السابقة مثل بقائه تعالى خالقا آمرا إلى ما لا نهاية ؟

ماذا يكون حقا عمر الجنس البشري مع دوام الله تعالى من غير ابتداء ، حتى يعتقد بجهل تعطيل كونه خالقا موجدا لمخلوقات من مخلوقاته من العدم لا يعلمها إلا هو تبارك وتعالى ، فتوقف عظمته وجلاله على ذاك الجنس مع دوام وجوده وعدم بداية له سبحانه وتعالى عما يجهلون .

ولا يقاس هذا الاعتقاد الباطل المتوهم على الله تعالى ورسله بما عليه أتباع الحق المهديين من الاعتقاد المنزه لله عز وجل والمعظم لدوام وجوده وقدرته على الخلق ودوام الأمر ، أبدا لا يقاس هذا على ذاك من تصورات العقول البشرية الناقصة وتحكمات أذهانهم العبثية على النقل كما سيمر معنا وقفات معه مع الرواية عن أبي رزين عنه وكيع بن عدس .

لا يحكم عليه وفق نقص مداركهم وضعف احاطة علمهم ، بل يطلق ذلك بما يليق لله تعالى ويحكم عليه وفق علم الله عز وجل لا علم البشر وتخرصاتهم ، فلا يصلح بتاتا اعتبار نقطة الفصل في ذلك نقطة وجود تلك الطينة وما خلق لها من حولها ، بل ترهن حقيقة ابتداء الخلق والاعتقاد فيها بدوام وجود الله عز وجل تبارك وتعالى فلا يجوز تحديد ذلك بما يسع أي مخلوق العلم به كابتداء خلق آدم وما يحيط به من عالم الدنيا ، وتلك مسألة حار بها العقلاء من قبل وخاضوا في تقريرها جهلا بقيل وقال ، وهي من أشد ما استمسك به المبطلون على ابن تيمية رحمه الله تعالى وكان فيما كان فيه خير ممن خالفه وشنع عليه وأسموها عليه اعتقاد (دوام تسلسل الحوادث) ، يريدون تنقصه بذلك وهو المنزه لله عز وجل بما اعتقد ، يأخذون عليه بعض اطلاق كلام ليس من الإنصاف يتهم بلازمه وهو لم يلتزمه بسائر ما قاله في كتبه من مثل قوله في (بيان تلبيس الجهمية) : كما لم يتقدم ابتداء خلق السماوات والأرض العدم المطلق اهـ .

لأنه قال قبل ذلك بحال التسليم بوجود شيء من خلقه حين خلق السماوات والأرض معه : لم يكن في ذلك دليل على قول الدهرية بقدم ما ادعوا قدمه ، ولا بأن مادة السماوات والأرض ليستا مبتدعتين ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه بابتداء الخلق الذي يعيده اهـ .

وهذا تصريح محكم من كلامه ليس من الإنصاف الزامه بخلافه أطلق فيه ما لا يعني خلاف قوله هذا ، ويأتي جواب المهدية هذا بتجريد هذا الأصل للرد على الجميع وفيه تأييدا لما قرر ابن تيمية في ذلك من الحق ولو لم يقصد تقرير عين ما قُرر هنا والذهاب لاعتقاده ، لأنه لم يكن بمقدوره ذلك لكنه أصاب

المعنى ولو لم يسلك ذات الطريق إلا بما يخص ذكر العرش فقد صرح وقصد بكلامه استثناء خلقه مما خلق تعالى في الأيام الستة ، وهذا حق ومثله الغمام والماء الذي كان عليه العرش وغير ذلك مثل وجود سماء السماوات بل وجود الأرض ذاتها وحولها الماء لأن الله عز وجل خلق السماوات والأرض من بعد ما كان وجودهما بالأصل ملتصقان وحين قصد لخلقهما فتق ما بينهما ولم يفد اخباره عن خلقهما في ستة أيام أنه بدأهما من عدم بل أفاد اخباره أنه فتق ما بينهما فكونهما على الطريقة التي أخبر عز وجل ، وكل ذلك مما يدل على بطلان اعتقاد من اعتقد أن الله تعالى لما خلق السماوات السبع والأرض لم يكن شيء غيره أو معه ، على ما اختار البعض على حديث عمران رضي الله تعالى عنه في الصحيح وغيره ، وعلى ما اختار ابن تيمية نفسه وهما على حديث أبي رزين كما سيمر معنا مناقشة ذلك باستفاضة بخصوص ذاك الحديث ، فقد ثبت من قوله رحمه الله تعالى ترجيحه على رواية وكيع بن عدس أن الله عز وجل قبل ما يخلق السماوات والأرض لم يكن معه شيء وهذا يعيدنا لتقرير أن ليس من الإنصاف الزامه باعتقاد ثبت منه القول بخلافه مثل هذا الاختيار منه على معنى حديث وكيع بن عدس ، قرر ذلك في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) ، وهو خلاف ما رجحه على الرواية الصحيحة كما ذكر ذلك عنه شارح البخاري ابن حجر على ما سيمر معنا قريبا ، فاختياره على حديث وكيع بن عدس أن ليس معه شيء يضاد ما نسب له من اعتقاد التسلسل في الحوادث كما هو ظاهر ويمنع صحة نسبة ما قاله ابن حجر إليه رحمه الله تعالى ، وأكثر من تصريحه بنفي وجود الزمان أزلي وأنه مقارن لوجود الله تعالى ، وهذا مما ينفي عنه تلك التهمة نفيا قاطعا إلا من كابر عليه وجحد ذلك المعنى مما قاله هذا الشيخ .

ويظهر من اعتقاده لي أن الرواية التي نص فيها على خلق العرش اختار عليها أن ليس مع الله تعالى شيء وقتها وهذا بين البطلان وسأقرر نقضه إن شاء الله تعالى كما سأبين تهافت ما رجح به رحمه الله تعالى ما اختار بخصوص تلك الرواية . وحين أورد في شرح الخبر الصحيح حديث عمران وليس فيه خلق العرش بل السماوات والأرض رجح أنه كان معه غيره ويريد بذلك وجود العرش والماء .

فاختياره على حديث وكيع بن عدس لا يسلم له وهو اختيار باطل كما هو مبين على أصل اعتقادنا هنا ، فالعرش حين خلقه الله تعالى لم يخلقه وليس معه غيره وقتها ، بل سماء السماوات وما حوت كان كل ذلك مما خلق قبل خلقه تعالى للعرش وغير العرش مما تلاه بالخلق على ما فصل لنا .

والحق أن الأرض والسماوات والقلم والعرش كذلك ، فكل ذلك مما اختص بوجود جنس البشر فذكر ابتداء خلق كل ذلك لا يدل على عدم خلق غيره قبله ، وهم يعلمون بكون العرش محمول وذو ابضاع حتى ذكر أن له قوائم ، وبما أنه مخلوق فهو محدود ، وسيقف موسى عليه الصلاة والسلام بجانبه وهو آخذ بقائمة من قوائمه ، وسيقف على يمينه وشماله الأنبياء الأطهار والصديقون الأخيار ، وذلك مما يدل على أنه محدود محمول يقف من حوله الملائكة والأنبياء والأولياء محدقون : ﴿ وترى الملائكة حآفين من حول العرش ﴾ ، ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ﴾ .

وابن تيمية نفسه ممن يعتقد في العرش اجلاس النبي ﷺ عليه مع الله عز وجل يوم العرض – على تناقض منه في ذلك ففي رده على الرافضي حاول التملص من هذا الاعتقاد المثبت عند علماء من السلف – ، وكل ذلك مما يدل على اختصاصه ببني البشر وما خلق لهم بهذا الكون ويتعلق بهم خاصة ، حتى أنه في يوم العرض تأتي به الملائكة تحمله ويعرض عليه الخلق والرحمان عز وجل مستويا عليه ، كما استوى عليه من قبل بعد أن أنهى خلق السماوات والأرض وما فيهن .

قال ابن حجر شارح صحيح البخاري : قوله (كان الله ولم يكن شيء قبله) تقدم في بدء الخلق بلفظ : (ولم يكن شيء غيره) . وفي رواية أبي معاوية كان الله قبل كل شيء وهو بمعنى كان الله ولا شيء معه وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب ، وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية ، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها ، مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه على التي في بدء الخلق لا العكس ، والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق اهـ .

قلت : بطلان معنى رواية (كان الله ولا شيء معه) ، على اعتبار ذلك حين خلق السماوات والأرض كما هو اعتقادهم وفق حديث عمران وكذلك حديث أبي رزين لأن حديث أبي رزين عبث بعض الرواة بألفاظه وتوه بعضهم مدلولاته من أن تكون صريحة ليعتريها الغموض وحتى يقرروا على وفق ذلك اعتقاداتهم التي اقتنعوا بها ، وقد جاء من طرق التصريح بالسؤال أنه عن خلق السماوات والأرض ، مثل ما هو الحال بحديث عمران .

فبطلان ما ذهبوا إليه على الحديثين مما أُثبتت أدلته في هذا التعقيب ، فعدم علمهم بحقيقة أزلية الله تعالى وعدم علمهم ببداية لخلقه ليس بحجة على ابن تيمية فيما نسب إليه من باب اللازم ، لكن الحجة كل الحجة بعد هذا البيان على من خالفه أنهم في اعتقاد نسبة التعطيل لله عز وجل عن الخلق إلى أن أوجد هذا العالم البشري وما حف به من المسخرات لوجوده ، وأن نسبة التعطيل لله تعالى لخلقه وأمره لازمة بحق لما اعتقدوا من كذب وباطل وحتى ابن تيمية الذي شنعوا عليه هو معهم في ذلك وفق اختياره على حديث أبي رزين ، ويكفي في شناعة ذلك أن حد له حدا ابتدأ منه الخلق والأمر وهو ما قص ذكره وتوهموا عليه أنه البداية المجردة لأن يخلق الله عز وجل من بعد ما لم يكن يخلق قبل ذلك على وفق فهمهم للجمع بين دلالة الخبرين ، فكان لا زال في عماء ليس فوقه شيء ولا تحته شيء أي ليس معه بالوجود شيء بحسب تصورهم ولأجل ذلك تم تحريف تلك الرواية من بعضهم وعبثوا بالزيادة فيها ، فصار المعنى باعتقادهم ليوجد آدم وبني جنسه ويخلق لوجودهم السماوات والأرض فصار من بعد ما لم يكن يخلق ويأمر خالقا آمرا ، وهل أكثر من هذا الاعتقاد اعتقادا ينسب فيه لله سبحانه وتعالى التعطيل ؟!

أبدا ليس لذلك نظير ، وهي فضيحة كبرى لعقولهم وأفهامهم أن يجعلوه تعالى غير خالق ولا آمر ثم يحدون له بوجود تلك الطينة الخلق والأمر وابتداء القدرة على ذلك ، إنها شنيعة نعلن براءتنا منها .

والحق البين لنا والظاهرة أدلته لعقولنا هو اعتقاد أن الله عز وجل كان لا زال خالقا وهو أوسع وأكبر من السماء القديمة سماء السماوات وما حوت ولا

يعلم تفاصيل خلقه في ذلك إلا هو تعالى ولا كيف ابتداء ذلك ، واي شيء عمر آدم وذريته بالنسبة لسرمدية وجوده تبارك وتعالى حتى يرهن خلقه تعالى ويوقفه على وجود الجنس البشري ؟!

بل رهنوا خلق الملائكة بل كل شيء بخلق السماوات السبع والأرض لما أراد خلق آدم من تلك الطينة ، وهذا الاعتقاد من أبطل الباطل وأكذب الكذبات على الله تعالى ورسله ، ويترتب عليه ما قرر هنا من تعطيل لله تعالى عن الخلق حتى قصد لإيجاد آدم وخلق ما يتعلق به وبذريته من سماوات وأرض وعليه رووا عنه ﷺ ما يحسبونه جار على اعتقادهم الكاذب ذاك وهو قوله : " وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض " . (البخاري)

وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو قوله : " أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء " .

وعلق ابن حجر شارح صحيح البخاري على لفظ الخبر قوله : " كان عرشه على الماء ثم خلق القلم فقال : اكتب ما هو كائن ، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن " . صرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش اهـ .

قلت : بعد عدم ذكره لخلق الماء والعرش مع ذكره لخلق السماوات والأرض والقلم كما أحب يوهم شارح البخاري بما قاله هنا من بعد ما علق على مختلف الألفاظ التالية :

كان ولم يكن شيء غيره .
وكان ولم يكن شيء قبله .
ولم يكن شيء معه .

ثم قال : والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى اهـ .

هكذا قال وهو خطأ فالاختلاف بينها اختلاف تضاد لا يتفق معناها مع بعض حسب ما بينت ونقضت على اعتقادهم الباطل الكاذب على غيب الله عز وجل فقد كان معه ، وأما لم يكن شيء قبله فحق لأنه الأول سبحانه ، لكن وقت خلقه للأرض والسماوات كان هناك سماء السماوات وخلق الملائكة سابق على ذلك أيضا والماء والعرش ، بل حتى الأرض والماء كان يغطيها ، خلقها سابق على ذلك التفصيل المذكور بالخلق الجديد ، وعليه لا يتفق هذا مع معنى لفظة (غيره) ولا (معه) ، على ما أثبت أكثرهم هذا عقيدة لابتداء الخلق المذكور أنه ابتداء كونه تعالى صار خالقا مبدعا بعد أن لم يكن كذلك .

كذلك كان وجود العرش فوق ذاك الماء سابق هو أيضا بحسب الرواية ذاتها ، ما يدل على بطلان النقل عنه بتلك اللفظتين (غيره) و (معه) ، وحتما هو قال بأحد تلك الكلمات دون غيرها لأن المجلس كان واحدا ولم يثبت تعدد القصة ما اقتضى القول بالكلمة التي وافق معناها الحق ولم يناقض معنى الخبر نفسه .

ومما يدل على أن الكلام عن بدء الخلق مقصور على خلق السماوات السبع والأرض وأن التفصيل لذاك الخلق مختصا به دون غيره وأن ما كتب من مقادير إنما اختصاصه بمصائر بني آدم لا مصير ما خلق الله تعالى من الابتداء للانتهاء بل يختص ذلك ببني آدم لا غير ، وأن ذلك مما اتفق عليه بالذكر في القرآن وبما أثر عند أهل الكتاب ، وأن الخبر عن ابتداء خلق الله تعالى بالعموم شيء ، وعن ابتداء خلق عالمنا المشاهد هذا شيئا آخر لهذا اقتصر التفصيل على ذكر خلق الأرض أولا ثم السماوات السبع ، واتفق على ذكر ذلك وتفصيل أمره القرآن وما بين يدي أهل الكتاب من ذكر ، وأن المراد بذلك الذكر والتفصيل إعلام البشر عما يشاهدون من عالمهم كيف كان ابتداء خلقه وليس المراد إعلامهم بما وراء ذلك لأنه ليس مما يعنيهم العلم به بتاتا ولا بمقدورهم العلم به والإحاطة بتفاصيله ، ولم يشأ الرب عز وجل تفصيل ذلك لهم بل هو من العلم الذي آثر به نفسه دون البشر ، وعليه يرد في القرآن قوله تعالى عن هذا الخلق ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ، وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ، وكل ذلك لأنه مما يقع تحت إمكانهم العلم به ، عكس ما لا يمكنهم العلم به بحال مما يغيب عن حواسهم مشاهدته من خلق فلم يقص عليهم ذكره لا جملة ولا تفصيلا ، إنما تم ابلاغهم عما يشاهدون ويمكنهم العلم بأحواله وتفاصيل خلقه .

وأقول أيضا ولا أصرح في ذلك من قوله عز وجل : ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ . سيعلمون لأنه مشاهد لهم هذا الخلق وبمقدورهم

الاطلاع على حقيقته وتفاصيله وأي شيء أكثر من أنهم سيرقون طباق السماوات من فوقهم ؟!

وقد بلغوا وهم الآن يجوبون الفضاء يسبحون في تلك الظلمات وما هم بخارجين منها ، بل نقبوا في باطن الأرض حتى بلغوا الهاوية من تحتهم وهم يبحثون عن النفط ، على ما صرح به عن أحد الأنبياء *.

خلاف ما لا يمكنهم مشاهدته والعلم بحقيقة أمره بأي حال ، ولأجل ذلك قص عليهم بداية خلقه وتم اعلامهم بتفاصيله حتى يعلموا عن الله تعالى قدرته وإحاطته بما خلق عز وجل في السماء والأرض .

قال أبو المعالي في هذه الآية : هذا نص صريح في أنه إنما خلق هذه الأشياء ليعرف بها ويعبد ، واللام في ﴿ لتعلموا ﴾ ليست لام علة وإنما هي لام صيرورة وتكون غاية ، أي : ليعلموا اهـ .

هكذا قال في وجهها ، ورجح ابن تيمية رحمه الله تعالى أنها : لام العلة ، وهي عاقبة قادرٌ على وجودها وعالم بها ومريد لها اهـ .

قلت : وما لم يكن مشاهد لهم لم يكن بمقدورهم العلم بحقيقته ، عكس عالمهم الذي يشاهدون فبمقدورهم العلم بحقيقته وأكثر ما هو محققٌ ذلك لهم

* بين ذلك تحت فصل ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ من كتابي في التفسير .

اليوم ، بفضل ما آتاهم المولى عز وجل من سلطان العلم ، لهذا تحققت تلك العلة للخلق فتم علمهم وصدق فيهم ما أخبر عز وجـل وعليه أتت كل

تلك الكلمات منه تبارك وتعالى التي سبق وأشرت لها ﴿ أولم ير ﴾ و ﴿ ألم تروا ﴾ و ﴿ أفلم ينظروا ﴾ * ، فتحقق علمهم من كل ذلك .

هذا وما سيأتي نقله بإيجاز ذكر تفاصيل ابتداء خلق عالمنا عند أهل الكتاب ، وحتى لو توهم أهل الكتاب كما أهل الإسلام والقرآن على أن ما لديهم من ذكر حول ذلك إنما هو في مبدأ خلق كل ما أوجد الله تعالى وأنه ليس مختصا بهذه الأرض والسماوات من حولها وحدها دون ما فوقها إلى سماء السماوات ، فهم على ذلك بالحال سواء من الجهل والضلال في اعتقاد ذلك ، وقيل هناك : ﴿ فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً ، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ . وَقَالَ اللهُ : « لِيَكُنْ نُورٌ » ، فَكَانَ نُورٌ ، وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا ، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا .

وَقَالَ اللهُ : « لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ . وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ ». فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ .

وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً . وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا . وَقَالَ اللهُ : « لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ ». وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا ، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا .

* توسعت في شرح دلالة الرؤية هنا في فصل (أين التسونامي في القرآن العزيز ؟!) من كتابي في التفسير يراجع هناك .

وَقَالَ اللهُ : « لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا ، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ ». فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ.

وَقَالَ اللهُ : « لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ . وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ : النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ ، وَالنُّجُومَ وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ.

وَقَالَ اللهُ : « لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ ». فَخَلَقَ اللهُ كُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا ، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: « أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ ».

وَقَالَ اللهُ : « لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا ». فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا ، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا ، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا.

وَقَالَ اللهُ : « نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ ». وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ : « أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ ».

وَقَالَ اللهُ: « إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمْرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا.

وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا ».

فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا فَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ ﴾ .

وهذا متفق مع ما ورد بالقرآن تماما حتى بعدد الأيام ففي القرآن يقول عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وعندهم أنه فرغ باليوم السابع والمعنى سواء ، بعد السادس أنهى خلقه سبحانه ثم استوى على العرش ، عرشه الذي كان على الماء قبل ما يخلق ذاك الخلق : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ﴾ ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ ، ﴿ اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾،﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا ﴾ ، ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ

دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . وهكذا كان اتفاق الذكر على ذلك التفصيل سواء في القرآن أو العهد القديم عند أهل الكتاب .

والماء صريح في عرف الأنبياء كما أفاده النص المذكور قبل من سفر التكوين : ﴿ لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ . وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ .. وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً ﴾ . ومن الزبور : ﴿ وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ﴾ .

وبحسب ما علمنا فوق السماوات السبع حول الأرض فضاء وظلمة لكن بحسب تلك النصوص يطلق على ذلك ماء أيضا والإنجيل الصحيح الحق هو الآخر مصرح بهذا المعنى لقوله هناك : ﴿ قولوا لي لماذا لا يمكن الحجر أن يستقر على سطح الماء مع أن الأرض برمتها مستقرة على سطح الماء ؟ ﴾ اهـ [7] . ونحن نعلم بيقين أن الأرض إنما هي مستقرة بأمر ربها في الهواء ، لكن عرف الأنبياء أطلق على ذلك ماء كما مر معنا بتلك النصوص ، وإن كان مراد مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام كما القرآن بكون عرش الرحمان عز وجل كان على الماء ماء الأرض المحيط بها قبل ما يخلق السماوات السبع لما كانت لا زالت دخان ، أو أن مقصودة ما عناه المسيح وتلك النصوص ذلك الفضاء ، فبكل حال المراد اختصاص العرش بخلق أرضنا وسماواتها السبع وذاك العرش مما ستأتي به الملائكة تحمله يوم العرض والحساب فوجوده هناك لا يعني إحاطة حسية بل معنوية وسعته للسماوات والأرض والكرسي بسعة علم الله تعالى لكل خلقه وقدرته على كل ما سواه ، وكم ضل السلف ومن خالفهم في تقرير حقيقة وجوده

(7) ومما روي عنه ﷺ من طريق العباس : ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء وسماء . رواه احمد وابن ماجة وأبو داود والدارمي والترمذي وحسنه .

ووجود المستوي عليه تعالى هناك وقتها ، حتى تناقضوا واضطربوا بشدة هم ومن خالفهم في تقرير حقيقة وجوده كذلك ووجود من سيستوي عليــه

أيضا مثل ما استوى عليه سابقا ، وذلك يوم العرض العظيم حين يأتي كما قال المسيح صلوات ربي وسلامه عليه : (ليدين العالم) . وقد ثبت بنص الانجيل الصحيح ذكر المسيح للعرش باسم الكرسي ، ويسميه كرسي يوم الدينونة ، هكذا .

وحقيقة وجود الله عز وجل وعرشه هناك بالأول وبالأخير سواء ، فلم كل هذا الاضطراب والتناقض والجدال لم ؟!

وصدق نبي الله تعالى سليمان فيما قال : ﴿ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ ﴾ .

ومن ثم قوله في الزبور : ﴿ سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَات ﴾ . فكل هذا دال على أن ما تم من تعيين السماوات الطباق في هذا المقال وغيره من أصول الدعوة المباركة أنه حق ، فهذه الطباق حول الأرض يعلوها الفضاء وتلك الظلمة التي هي بعرف الأنبياء ماء ، وما وراء ذلك إلا سماء السماوات التي هي السقف المحفوظ وما دونها الماء الذي يعلو تلك السماوات السبع حسب ما تقرر في زبور داود عليه الصلاة والسلام . أما على لسان المصطفى ﷺ فقد ورد في الرواية عنه ما هو أشد في تعيين ما فوق السماوات السبع أنه الماء ، إذ جمع ما بين الهواء وقيل الغمام هناك وأشد من ذلك على اعتقادهم ، بأن جُعل ذلك فوق الله عز وجل بذاته في عقيدتهم وهم يرفضونه أشد الرفض لكن روي ، والحديث أصله مروي عند جماعة من أئمة

الحديث وصححه الكثير منهم وذكروه مبسوطا في الكثير من كتب العقيدة بينهم ، وجاء في ذلك الخصوص عن وكيع بن عدس عن أبي رزين قال : قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ ، قال : كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء . هذا لفظ ابن ماجة كما في مقدمة كتابه ، باب – خلق عرشه على الماء . عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين .

وفيه وكيع بن عدس هكذا رجح الترمذي اسمه وحسن حديثه هذا وحكى مع روايته في سننه عن يزيد بن هارون مفسرا معنى العماء : أي ليس معه شيء . هكذا قال وتقرير الكلام في بطلان هذا الاعتقاد مر معنا .

وقد تكلم بعضهم في ابن عدس هذا لكن اتفق جماعة على رواية هذا الخبر عنه وعد من أحاديث الاعتقاد لديهم منهم ابن ماجة كما مر وابن حنبل والترمذي .

وقوله لرسول الله ﷺ : قبل أن يخلق خلقه . مراده هذا الكون المشاهد بالنسبة لهم نظير ما عناه وفد أهل اليمن حين سألوه عن مثله في قولهم : جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟

أي أول مبدأ هذه الخليقة التي نرى من حولنا ، وكان جوابه على ذلك كما في البخاري وغيره : (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء) اهـ .

فقوله عليه الصلاة والسلام : " لم يكن شيء قبله " . أصلٌ ، فكل ما خلق الله من خلق كان وجوده تعالى سابق على خلقه ذاك أيا كان ومتى كان ، لكن الكلام في تعيين أي الخلق هو المعني بتلك الأخبار التفصيلية ؟

ومعنى كتابته للمقادير في الذكر أي ذكر ذلك الخلق الجديد وتفاصيل أمره من الابتداء للنهاية إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ولم يرد كتابة كل شيء سوى الله عز وجل مما خلق أبدا ، بل هم يحملونه على ذلك لأصلهم الباطل الذي فصل الكلام هنا حوله ، وإنما كتابة المقادير للوجود المتعلق بجنس البشر الجديد والذي سيخلقه في منظومة الكون السابقة عليه ، وما سيختص به من أرض وسماوات حول الأرض .

والذي يهم الكلام والوقوف عنده هنا مما ورد بذلك الخبر قوله : (ما تحته هواء وما فوقه هواء) اهـ .

وهذا متضمن تقريرهم ما يهدم تأصيلهم السابق الدعوى على رسول الله ﷺ قوله عن الله عز وجل أن (لم يكن شيء غيره) ولا (معه) حين قصد لخلق السماوات والأرض ، والتصريح هنا أنه كان معه هواء وذلك بالاتفاق من خلق الله بل هو من عناصر المكان والأصل عندهم أن الله عز وجل منزه من أن يحد ذاته مكان على ما تقرر من كلام المسيح صلوات ربي وسلامه عليه المنقول قبل : ﴿ سماء السماوات لا تسعه لأن إلهنا غير محدود ﴾ .

وقال سليمان عليه الصلاة والسلام : ﴿ لأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُهُ ﴾ .

لكن هؤلاء يروون بخلاف ذلك ما يروون ، من غير تفسير لذلك عليه يتفقون وحول معناه يجتمعون ، فيبقون بالتناقض رواية الشيء واقرار نقيضه بمكان آخر كما سيتضح ذلك من الوقوف مع رواية وكيع بن عدس وما اختلفوا عليه من ألفاظ وتفسيرات .

أقول : وزيد في الإثبات هنا كما في رواية وكيع بن عدس ، أن ذلك فوق الله عز وجل مثل ما أنه تحته ، وعليه لم يكتف بنص الرواية عن أبي رزين عنه ﷺ في ذكر ابتداء الخلق أن جعلوا معه غيره مع أنهم يعتقدون خلاف ذلك ، بل زيد أن جعل من خلقه ما هو فوقه سبحانه ، وهذا من اضطرابهم وتناقضهم وجهلهم على الله تعالى إذ يمررون ما لا يفقهون وعلى اضطراب منهم من ينقص بالرواية ومنهم من يزيد ولهذا يمرونها لأنهم لم يفقهوها بل جهلوا ما دلت عليه ، ويحجر بعضهم على نفسه بأن لا يفسرها أو يحاول معرفة معنى الرواية وما قد يتناقض معه .

ولما يثبت عجزهم عن الإدراك يمرونها على تناقض واضطراب ليستريحوا ويريحوا برأيهم وحقيقة الأمر معكوسة فتقيد عليهم آخرا منكوسة يتكشف من خلالها عليهم فساد بعض تلك الأصول من اعتقاداتهم التي كانوا ولا زالوا يحسبوها على منتهى الهدى والحق في الإثبات ، والحق أن الحق والصدق والعدل وراء ما اتفقوا عليه وإن اتفق على ذلك من اتفق منهم ، وقد حان الوقت

ليستدرك عليهم ويكشف عن شدة اضطرابهم وعظيم تناقضهم في ذلك مثل ما هو من عقيدتهم في ابتداء الخلق ، لعقيدتهم في إثبات وجود العلي العظيم بصفاته المقدسة ، فيدعون تنزيهه ثم هم يجعلون فوقه الهواء أو الغمام ليتناقض ذلك مع دعواهم الإثبات مع التنزيه ، ويصبح الأنبياء لما ينقل عنهم أنه لا تسعه تعالى سماء السماوات كما مر معنا قبل وأن هذا القول والاعتقاد ليس هو متضمنا تنزيها للجليل الكريم العظيم المتعال ، بل المنزه من يعتقد أن فوق ذاته العلية هواء أو غمام ثم هم لا يهتدون لتفسيره الحق الصحيح ويخلطون عليه أشد الخلط سواء لمن أثبت أو نفى ، وهذا جره عليهم التخليط في الأفهام والالتباس في النقل من بعد العبث فيه ثم ترك الترجيح لعقول قصر فهمها قصورا شديدا عن إدراك ما يقوله تعالى عن ذاته ويقوله أنبياء الله عز وجل ، فيجمع بعضهم باعتقادهم ما بين المتناقضات ولا شعور لهم ، ثم يجدون من يقلدهم ويسلك مسلكهم رغم ما فيه ، بل يجدون من يزهو خلفهم ليبارك ذلك ويحسب أن كل من خالفهم في ما هم عليه أنه ضل عن سواء السبيل يقينا .

ونجد شارح ابن ماجة السندي وهو من المتأخرين ذكر أن : كثيرا من العلماء عد هذا من حديث الصفات فنؤمن به ونكل علمه إلى عالمه . وما فيما تحته هواء نافية لا موصولة وكذا قوله وما فوقه اهـ .

قلت : لا يفيد هذا التحريف لأكثر من وجه :

الوجه الأول : لما تقرر في زبور داود التأكيد على وجود الماء فوق السماوات ما دون سماء السماوات ، فنفي الهواء هكذا من فوق السماوات أو

الماء مع اتفاق تلك النصوص النبوية على وجود سماء تحوي السماوات وكل ما خلق أسفل منها ، يمنع ذلك التحريف بدعوى النافية لا الموصولة ، لأنك وإن ادعيت نفي الماء أو الهواء من فوق السماوات تبقى الحاجة لنفي وجود سماء السماوات بالدليل النقلي الشرعي حتى يصح اعتقادهم المبني على تصورهم أن لا شيء من الخلق كان موجودا مع الله عز وجل حين خلق الأرض والسماوات السبع وقبل ذلك العرش ، وهذا مما لا يمكنهم إيجاد دليله بحال من حيث النقل ، وقد تم على تقرير ثبوت خلافه النقل المتواتر عن الأنبياء قديما ، على ما هو مثبت فيه النقل بنص مقالي هذا كما مر معنا وسيمر قريبا بعضا من ذلك .

بل ماذا أقول : فما أحوجهم للدليل الشرعي على عدم سبق خلق الله تعالى للشمس والقمر وسائر الكواكب تلك زينة السماء الدنيا ، قبل خلقه للعرش والماء وتلك السماوات وما أحاطت به مما نرى من كوكب الأرض وكل ما خلق على وجهها .

وعدم ذكر خلق كل ذلك كاف للدلالة على أنه مما سبق في الخلق كل ما فصل ذكره المولى عز وجل ، وخلاف ذلك بالإثبات لا يمكنهم بحال فتبطل على هذا التقرير دعوى من اعتقد أن الله تعالى حين خلق العرش على الماء لم يكن شيء معه من مخلوقاته ، بل كانت سماء السماوات وما حوت من نجوم وكواكب كالشمس والقمر سابقة بالخلق ، إلا ما بين تعالى تفصيل خلقه لنا مما يتعلق بعالمنا المشهود .

الوجه الثاني : لما ثبت في الصحيح عند سؤال وفد اليمن قولهم : (لنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟) ، فقال : " كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض " اهـ . (البخاري)

فهذه الرواية الصحيحة أثبت فيها وجود الماء أدنى منه وعليه العرش ونص على بدء الخلق بالسماوات والأرض ، في حين أن في رواية وكيع بن عدس ذكر البداءة بخلق العرش إلا أنه صار على الماء المنفي بزعمهم وجود الهواء وضمنا الماء معه بالتأكيد ، والرواية لم تنص على خلق الماء قبل خلق العرش ، بل قدم ذكر خلق العرش لكن صار بعد ذلك العرش على الماء فاتضح ترك ذكر خلق الماء قبل خلق العرش لأنه كان موجود قبل كما هو ظاهر من تمام نص الرواية تلك لعدم ذكر خلقه للماء وقت خلق العرش ومن ثم خلق السماوات والأرض ، وفي هذا أبين برهان على خطأ اقحام (ما) ، على الرواية لتكون نافية بتصورهم ، إلا أن تكون ثابتة بأصل الرواية لكنها ليس على ما ادعى البعض أنها نافية .

وبكل حال ثبت على وفق مفهوم الروايتين أن تحت العرش ماء وهو من خلق الله تعالى ما يدل على أن النفي لوجود خلق أسفل منه باطل ومن باب أولى معه ، وعليه يلزم أن النفي عما فوقه وفق رواية وكيع بن عدس باطل هو أيضا بما أن الحديث ورد فيه ذكر الفوقية والتحتية فثبوت بطلان النفي عن التحتية يلزم منه بطلانه عن الفوقية فالمساق واحد بالمعنى فانتفائه من وجه يلزم انتفائه كذلك من الوجه الآخر .

وهناك بدعواهم النافية يقطعون بها على عدم وجود الهواء من فوقه ومن أسفل منه وهم يرون العرش أول ما خلق حسب رواية عدس قد سبقه وجود الماء إلا أن رواية عدس أهملت ذكره وما ذلك إلا لأنه كان مخلوقا من قبل فخلق عليه العرش .

وكذلك في الرواية الصحيحة حديث عمران التي خلط عليها من خلط ممن أثبت خلاف قوله (ولم يكن قبله) إذ نفي وجود شيء معه حين خلق السماوات والأرض مناقض لما ثبت في نص الرواية الصحيحة نفسها من ذكر وجود العرش على الماء حين خلق السماوات والأرض ، واثبات قوله على الحديث بالنفي أن يكون معه وقتها مخلوق مناقض لصريح ما ورد فيها ، فكان بحسب تلك الرواية صحيحة الإسناد الجواب بالبداءة بخلق السماوات والأرض وذكر العرش والماء من غير النص على خلقهم بالجواب ، إنما نص على خلق السماوات والأرض وعليه كان القول الحق الصحيح أن سؤالهم فهم من قبله على ابتداء ما يشاهدون من هذا الكون لهذا لم ينص على خلق العرش والماء بل نص على خلق السماوات والأرض جوابا لما سألوا عنه ، وهو عين ما تقرر بالقرآن في قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ﴾ . كما في سورة الأعراف ويونس والرعد والفرقان والسجدة قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .

وفي كل ذلك ينص على خلقه للسماوات والأرض مع مجرد الخبر أن عرشه على الماء ، كما في نص الحديث الصحيح الذي فيه جواب النبي صلى الله عليه

وسلم عن أول الخلق المنظور للعين البشرية ، أو أن يخبر تعالى مع خلق السماوات والأرض عن استواءه بعد ذلك الخلق على العرش ، ولم يرد بنص تلك الآيات ولا بغيرها ذكر خلق الماء أو الغمام مع خلق السماوات والأرض إلا في حديث وكيع ذكر خلق العرش صحيح لكن لم يذكر خلق الماء ولا الغمام ولم تصرح الرواية تلك بنفي أن يكون معه من خلقه شيء بل ثبت من نصها وجود الماء لأن العرش لما خلق إنما خلق على الماء والرواية لم تنفي وجود الماء وقتها بل اثبتت وجوده ضمنا باغفال ذكر خلقه وهذا يفيد وجوده لأن الله تعالى صرح أن عرشه كان على الماء ، ومن زعم خلاف هذا على نص حديث وكيع بن عدس فهو كاذب ولو كان من كان ، وكل من تقلد تفسيره على الرواية الذي أفاد ذاك النفي ، فهو كاذب مثله على الله تعالى وغيبه أيا كان .

ومن أخذ اعتقاده عن مبدأ الخلق بحديث ابن عدس وفي لفظه ما فيه من عدم الموافقة لاعتقادهم بكل صراحة ووضوح بل فيه ما ينافي عقيدتهم ويصادمها وسأبين وجه ذلك أكثر مما بينت ، ثم يترك ما قرره الله عز وجل بكتابه ونص عليه رسوله ﷺ في جوابه ، فلا شك أنه مبطل مجانب للحق والصواب في اعتقاده . وأزيد على ذلك أن ما ادعوه كذلك خلاف نص القرآن في قوله عز وجل : ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ ، انشقت يريد بالغمام لا زوالها بالكلية فهو نص على تبديلها لا زوالها ، ونزول الملائكة عموما ومعهم خصوصا حملة العرش يفيد علو السحاب العرش والملائكة حملته ، ومن سيكون فوق العرش سبحانه وتعالى عما يجهلون ويشركون ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ، الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ

عَسِيراً ﴾ . وما جاز عليه علو الغمام في الآخرة والاستتار به ما الذي سيمنع منه ذلك في الأولى ، وقد صرح بإنجيل المسيح عليه الصلاة والسلام باستعلاء الغمام للعرش ، وهو مثبت فيه من غير أدنى شك فقال : ﴿ عندئذ يبوق الملاك مرة أخرى فيقوم الجميع لصوت بوقه قائلا : تعالوا للدينونة أيتها الخلائق لأن خالقك يريد أن يدينك .

فينظر حينئذ في وسط السماء فوق وادي يهو شافاط عرش متألق تظلله غمامة بيضاء ، فحينئذ تصرخ الملائكة : تبارك إلهنا أنت الذي خلقتنا وأنقذتنا من سقوط الشيطان ﴾ .

بل ماذا أقول وأنقل أكثر من الرواية عن نبي الله تعالى سليمان لما أراد يبدأ بنقل التابوت المقدس ليدخله لبيت الله تعالى الذي بناه له فخيم الغمام على البيت حينها ، فقال : ﴿ الرَّبُّ ، إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ ﴾ .

وما الذي ورد في نص حديث وكيع بن عدس عن عمه عن رسول الله ﷺ إلا موافقا للمعنى هنا ، وأن الله تعالى يسكن في الضباب كما يشاء عز وجل ، سواء كان ذلك عند ابتداء خلقه للسماوات والأرض أو عند ادخال التابوت المقدس على يدي سليمان عليه الصلاة والسلام لبيت المقدس ، أو عند مجيئه تعالى لحساب عباده يوم القيامة ، مثل ما كان يأتيهم لما يريد يكلم موسى عليه الصلاة والسلام بالوحي منه مباشرة سبحانه ، فكان الغمام يغشى خيمة العهد لما يدخلها موسى ليتلقى من ربه كلامه ، أمره ونهيه : ﴿ فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ : « لاَ تَخَافُوا. لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ

وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا » . فَوَقَفَ الشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الضَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللهُ ﴾ .

وفي قصة تسليم الله تعالى لوحي العهد لموسى على مسمع ومرأى من الشعب قال : ﴿ هذِهِ الْكَلِمَاتُ كَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ جَمَاعَتِكُمْ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَالسَّحَابِ وَالضَّبَابِ ، وَكَتَبَهَا عَلَى لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ وَأَعْطَانِي إِيَّاهَا ﴾ .

وفي الزبور يقول : ﴿ لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ الْقَدِيمَةِ . هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ ، أَعْطُوا عِزًّا للهِ . عَلَيهم جَلاَلُهُ وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ . مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اَللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ ﴾ .

وقال فيه أيضا : ﴿ طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ ، جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ حَوْلَهُ ، مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ ﴾ .

وفيه : ﴿ السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ ، الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ ﴾. وهكذا علامة وجود وتقديس له عز وجل يكون الضباب أين ما يكون ومتى ما يكون في ذاك المكان المعين حين تكون له مشيئة بحضوره المقدس فيكون هناك حوله الضباب .

ولم يخرج المعنى في رواية ابن عدس عما يقرر هنا قيد أنملة ، وإنما خاضوا في ذلك عن جهل وعدم علم وهداية ولهذا أتوا بتخاليط عجيبة وزيادات كاذبة جراء عدم علمهم بتلك الحقيقة الشرعية ، وكم كان يسعهم السكوت والتزام

مقولة (الله أعلم) ، لكن أكثرهم لم يفعل ذلك وتقلد بعضهم أقوال بعض فضلوا وأضلوا ، وإن التواتر بكلام الأنبياء قد ثبت على أنه كان هناك أكبر من خلق السماوات والأرض بكثير حتى أنه نص على ذلك على لسان موسى صلوات ربي وسلامه عليه بالتوراة ، فقال هناك على لسان موسى لكن الكلام للرب ذاته عز وجل : ﴿ هُوَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا ﴾ ، ولم يرد لا بالقرآن ولا الحديث أبدا القصص في خلق سماء السماوات هذه ، إنما الذي ورد ذكر خلق الأرض والسماوات الطباق التي تحيط بها ، فذاك الذي قص علينا خبر خلقه وإيجاده من بعد أن لم يكن له وجود على ذلك التفصيل إلا ما كان من أصلهما قبل ما يفتقهما فيخلق منهما ما ذكر عز وجل ، ومنتهى علمنا بالتفصيل من حيث قصد لهما الله تعالى ليخلق ما أخبر بالقرآن ، أعني يابسة الأرض وما كان يحيط بها من كل جانب من الماء الذي كان عليه عرش الرحمان عز وجل ، وحين أراد خلق الجنس البشري وإيجاده على تلك الأرض وأن يخلق عليها وما حولها ما يخلق ليسخر كل ذلك لبني آدم ذكر لنا من تفصيل ذلك ما ذكر عز وجل ، أما أصل ذلك لما كانت اليابسة مغطاة بالماء وقبل أن يفتق ما بينهما لم يقص لنا عن ذلك بداية ولا عن سماء السماوات السابقة لذلك الخلق ولا عن الماء الذي خلق عليه العرش وهو الماء الذي كان يغطي يابسة الأرض قبل أن يفتق ما بينهما ويخلق السماوات السبع .

بل أزيد هنا ذكر ما تقرر بإنجيل المسيح الصحيح صلوات ربي وسلامه عليه في خلق روح مُحَمَّد المصطفى ﷺ ، أن ذلك مما سبق خلق كل شيء قبل

بستين ألف سنة ، فما هي النسبة على ذلك ما بين الستة أيام التي خلق الله تعالى بها الأرض والسماوات السبع بالستين ألف سنة التي سبقت كل ذلك ؟!

لقد كان قبل كل ذلك بحسب الإنجيل الصحيح خلق الله عز وجل روح مُحَمَّد المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه ، ذكر ذلك بأكثر من موضع من إنجيله ، منها قوله : ﴿ رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء ومتى جاء سيعطي نورا للعالم ، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا ﴾.

المعنى قبل أن أخلق الأرض والسماوات السبع لأن ذلك أيضا مما يختص بهذا العالم المشاهد عالم آدم الخصوصي وذريته ، والأمر على هذا مما سبق الخلق سواء آدم أو السماوات والأرض أو القلم أو العرش ، والماء الذي كان محيطا بالأرض لأن ما ذكره المسيح صلوات ربي وسلامه عليه صريح في أن خلق روح المصطفى مما سبق كل ذلك وعين الزمان كذلك.

وقرر معنى ذلك صلوات ربي وسلامه عليه بالقول : ﴿ كل من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء ، لذلك أقول لكم أن الله لما كان بالحقيقة كاملا لم يكن له حاجة إلى غناء لأنه الغناء عنده نفسه ، وهكذا لما أراد أن يعمل خلق قبل كل شيء نفس رسوله الذي لأجله قصد إلى خلق الكل لكي تجد الخلائق فرحا وبركة بالله ، ويسر رسوله بكل خلائقه التي قدر أن تكون عبيدا ، ولماذا ؟ وهل كان هذا إلا لأن الله أراد ذلك ؟ ﴾ . وإلى هذا المعنى كانت إشارة المصطفى ﷺ لما سألوه متى كنت نبيا فقال : " إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته " . (رواه أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية والترمذي)

ويراجع لمزيد تفصيل في مسألة خلقه عليه الصلاة والسلام قبل آدم كتابي: " غرف السطيح لري الظمآن لأخبار إنجيل المسيح الصحيح غير كامل "

ومما يشهد أيضا بصحة ما تقرر هنا بأن الكلام عن الخلق إنما المقصد منه ما تعلق بمصير الجنس البشري لا أكثر من ذلك مما لا يعلم ولا يمكن مشاهدته ، ما قاله المسيح أيضا بخصوص سبب الخلق وأن ذلك بالطبيعة لم يختص بالنبي ﷺ وحده بل بالتبعية لأبيهم آدم مع كل ذريته فقال عليه الصلاة والسلام في هذا الخصوص :﴿ انظروا العصفور الدري والطيور الأخرى التي لا تسقط منها ريشة بدون إرادة الله ، أيعتني الله بالطيور أكثر من اعتنائه بالإنسان الذي لأجله خلق كل شيء .. كلا ثم كلا ﴾. فلما يقول لأجله خلق كل شيء إنما مراده هذا العالم المشهود الذي سخر له من الأرض والسماوات السبع والنجوم والكواكب المضيئة لخدمته وحياته في سماء السماوات ، لا يريد مطلق ما خلق ، فإن من ذلك ما لم يعلمه بشر ولم يحصه مخلوق وبعده الهائل حائل ما بين الإنسان وتسخير كل ذلك له لذا هو مما لا يعنيه بحال حتى يكون خلق كل ذلك من أجله مما يجب أن ينطبق معنى كلام النبي هنا عليه ويتفق معه فقط العالم المحسوس له والمباشر معه ، وإلا كان في التعميم بذلك عبثا من قائل هذا القول وممن خلق الكون الواسع وعالم الإنسان ما هو فيه إلا كحبة رمل أو أصغر من ذلك ، والله عز وجل منزه بجلاله من العبث سبحانه ، ولا ينقل عنه الأنبياء والرسل إلا الحق ، وهو أجل من أن يرتهن بكامل صفاته وقداسة أسماءه ومطلق قدرته على الجنس البشري ووجوده سبحانه وتعالى عما يجهلون .

أقول : وكل ما توهموه على الحديثين حديث وكيع بن عدس وحديث وفد اليمن في الصحيح ، أنه خبر في مبدأ ايجاد كل ما خلق الله تعالى وأن ذلك منه تعالى ابتداء للخلق منه مع وجود الرب عز وجل من غير ابتداء ، وهذا هو الباطل والكذب على الله تعالى ورسوله إذ حد لذلك بداية معلومة بل مفصلة ، ومن فقه حقيقة ذلك وعرف وجه باطلهم عليه فقد فاز وغنم علما عظيما ، ومن أبى وأنكر وكذب بطلان ذلك الذي قالوه واعتقدوه ، فقد بقي بجهلهم لا يرجو منه خروجا ولا خلاصا من بعد ما فتح له هذا الباب فأبى إلا التقليد والركون لدين الإلف والعادة والتقليد ، ومن يهديه الله تعالى فهو المهتد ومن يضلل فلن يجد له من دون الله عز وجل هاديا ولا مرشدا .

قال عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال : " اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم " . قالوا : قبلنا يا رسول الله ، جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ فقال : " كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء " . هنا أفاد جوابه عليه الصلاة والسلام عما سألوا أن مقصدهم بالسؤال عن ابتداء خلق هذا العالم المشاهد بالنسبة لهم ، لهذا أجابهم عن خلق السماوات والأرض وأخبرهم عن وجود العرش والماء ولم يذكر خلقهما ، عكس السماوات والأرض بما أن سؤالهم كان يعني ذلك.

ومما يدل على أنهم لما يسألوه عن عموم الخلق إنما يريدون معرفة كيف ابتداء خلق العالم الذي يشاهدونه لا سواه مما غاب عنهم الشعور به حتى يسألوا عنه إنما كانوا يسألون عما يشاهدون من أرض وسماء ، وفي صحيح

مسلم بكتاب الإيمان عن ثابت عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله عن شيئ فكان يعجبنا أن يأتيه الرجل من اهل البادية فيسأله ونحن نسمع ، فأتاه رجل منهم فقال : يا مُحَمَّد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : صدق .

قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله .

قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله .

قال : فمن نصب هذه الجبال ؟ ، قال : الله .

قال : فمن جعل فيها هذه المنافع ؟ ، قال : الله .

قال : فبالذي خلق السماء والأرض ونصب الجبال وجعل فيها هذه المنافع ، الله أرسلك ؟ ، قال : نعم اهـ . فيفهم من هذا المعنى وتلك السؤالات التي كان يطرحها من يفد عليه من قبائل العرب وأعرابهم ، أن جل همهم معرفة مبدأ خلق العالم الذي يشاهدونه بأعينهم لا ما غاب عن حواسهم ، على ما أفاده هذا الحديث وغيره .

أما عن رواية وكيع بن عدس فقد كان ذلك صريحا من سؤال الصحابي بحسب لفظ روايته الشبه مهملة من قبل رواة الحديث الذين يبدو كانت تستهويهم كلمة (كان في عماء) حتى يفسرها لهم يزيد بن هارون على الباطل والكذب ، ولو حرفت الرواية لتوافق اعتقادهم الزائف دين الإلف والتقليد . فقد روى جماعة منهم ابن حبان وابن زمنين في رياض الجنة بتخريج أصول السنة ، قول أبي رزين بسؤاله : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ قال : في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء . رواه جماعة وهذا اللفظ نقلته من كتاب ابن حبان وقد ذكر غيره : ثم خلق العرش ثم استوى عليه. وهذا فيه اختصار وايجاز لأن القرآن مصرح فيه الاستواء على العرش بعد خلق

السماوات والأرض ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ . وقد تناكد ابن حبان بروايته منتقدا أحد أبرز نقلة تلك الرواية للأمة وهو حماد بن سلمة فقال: وهم في هذه اللفظة حماد بن سلمة من حيث " غمام " إنما هو " في عماء " .

هكذا قال وفسرها بما يوافق معنى ما قاله يزيد بن هارون أو هو أشد غموضا ، فقال : يريد به أن الخلق لا يعرفون خالقهم من حيث هم ، إذ كان ولا زمان ولا مكان ، ومن لم يعرف له زمان ولا مكان ولا شيء معه ، لأنه خالقها ، كان معرفةُ الخلق إياه كأنه في عماءٍ عن علم الخلق ، لا أن الله كان في عماءٍ ، إذ هذا الوصفُ شبيه بأوصاف المخلوقين اهـ .

قلت : وصريح المعنى من كلام الصحابي السائل أنه طلب معرفة وجود الله تعالى قبل خلقه السماوات والأرض ، ولم يرد بخلده وجود الماء وأين هو ولا العرش ، فكان جوابه ﷺ بخلق العرش مختصا بقولهم (أين كان) ، فبين لهم باختصاص العرش بالاستواء أين كان الله عز وجل ، فهو كان هناك سبحانه بعد خلق العرش وخلق السماوات والأرض مستويا على عرشه ، ومثل ما كان هناك سيكون يوم القيامة كذلك تحمل عرشه الملائكة تحف به والأنبياء من حوله والأولياء ، ثم ماذا ؟! ، هل يفيدهم مع هذا الكذب على الرواية حتى يقحموا عليها (ما) التي زعم بعضهم أنها نافية لا موصولة ، اتهمهم بذلك عالم قديم مشهود له بالفقه والدراية وهو ابن قتيبة في كتابه " تأويل مختلف الحديث " فقال : قوله : (فوقه هواء ، وتحته هواء) . قوما زادوا فيه " ما " فقالوا : (ما فوقه هواء ، وما تحته هواء) ، استيحاشا من أن يكون فوقه هواء وتحته هواء ، ويكون بينهما . والرواية هي الأولى ، والوحشة لا تزول بزيادة " ما " لأن فوق وتحت باقيتان اهـ .

قلت : تجريد الرواية من " ما " هذه المزيدة وردت من طريق اسحاق بن راهويه قال : (تحته هواء وفوقه هواء) اهـ . أشار لها الذهبي في كتابه العلو . ونقل ابن بطة في الإبانة عن ابن راهويه : أن تفسيره عند أهل العلم أنه كان في (عمى) يعني سحابة . وذكره عنه الذهبي أيضا ، قال : يعني السحاب . قلت : وجدت وهي مقصورة من يفسرها بهذا ؟!

وهكذا نقل عن ابن راهويه وأقرب منه وأصح ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام : العماء الغمام . وهو اختيار مجاهد في تفسيره لقوله عز وجل : ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ . قال : ليس بالسحاب ، هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن إلا لهم اهـ * .

قلت : وسيكون نظيره في آخر هذه الأمة إذا جاء نصر الله تعالى والفتح ، وهذا عين ما تقرر من كلام الأنبياء وعليه القرآن وخبر سيد الأنام مُحَمَّد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .

وسبق معنا انتقاد ابن حبان لراويه حماد بن سلمة قوله : (في غمام) . أما دعواه بما قاله في معنى الـ(عماء) فهو تحريف صريح ، فليس للسؤال بأين كان ربنا أي متعلق لإدراك كنه ذلك لحواس البشر ، حتى يكون الجواب ما ادعى ابن حبان وغيره في معنى (عماء) ، إنما مقصد السؤال العلم بذلك وقد تم لهم

* يراجع المقال المنشور في موقعنا تحت عنوان : هل سيكلم الله تعالى المهدي مثل ما كلم موسى عليهما الصلاة والسلام ؟

الجواب عنه ، ويكفي العلم بذلك بالقلب عن إدراك أي حاسة ، والمصطفى صلى الله عليه سلم مستوعب تلك الحقيقـة .

وليس مثله دراويش أهل الحديث حتى يكون بيانه على ذلك النحو المستحيل بديهة على حواس السائل عنده حتى يتكلف للجواب عليه ، إنما المقصد أين لنعلم ذلك إن أمكن عن علمك النبوي فكان لهم الجواب عما سألوا بتعيين ذلك بالاستواء على العرش فكان ذلك متضمنا لتعيين مكان وأيضا زمان لا كما ادعى وتشدق ابن حبان وكذب في دعواه (ليس شيء معه) ، وهذا مما يعد تاما من حيث البيان والعلم ولا عماية في ذلك ولا

جهل لمن هداه الله تعالى وأنار بصيرته ، أما من وسوس له الشيطان بقلبه وعقله فذلك الذي سيضطر للتحريف وحتى الزيادة على الحديث مما ينقلب عليه دينه بسبب ذلك شبها وتخرصات أبعد ما تكون وأصحابها عن الهدى والبينات القرآنية النبوية .

ومع هذا خولف في تأويله ذاك على معنى (عماء) من كبار العلماء بلسان العرب وهو الأصمعي فقال : العماء في كلام العرب السحاب الأبيض الممدود ، وأما العمى المقصور فالبصر وليس هو من معنى هذا اهـ . (أخرجه ابن أبي شيبة في العرش)

وبقوله قال أبو عبيد القاسم بن سلام قرر ذلك في كتابه " غريب الحديث " ووافقهم أيضا الأزهري كما في " تهذيب اللغة " قال :

ولا يدرى كيف ذلك العماء بصفة تحصره ولا نعت يحده ، ويقوي هذا القول قول الله جل وعز : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ ، فالغمام معروف في كلام العرب إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله عز وجل يوم القيامة في ظلل منه ؟ فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته ، وكذلك سائر صفات الله عز وجل اهـ .

واختار ذلك مُحَمَّد الأندلسي المشهور بابن زمنين ، قال : العماء السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل اهـ . (اصول السنة)

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : في الحديث – يريد حديث وكيع – بيان أنه خلق العرش قبل السماوات والأرض ، ثم لو دل على وجود موجود على قول من يفسر (العماء) بالسحاب الرقيق لم يكن في ذلك دليل على قول الدهرية بقدم ما ادعوا قدمه ، ولا بأن مادة السماوات والأرض ليستا مبتدعتين وذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه بابتداء الخلق الذي يعيده كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ، وأخبر بخلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام في غير موضع ، وجاءت بذلك الأحاديث الكثيرة وأخبر أيضا أنه يغير هذه المخلوقات في مثل قوله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأخبر في هذه الآيات ان الخلق الذي ابتدأه وخلقه في ستة أيام يعيده ويقيم القيامة ، وقد أخبر أنه خلقه من مادة وفي مدة ، وانه إذا أعاده لم يعدمه ، بل يحيله إلى مادة أخرى ، وفي مدة .

وأما العرش فلم يكن داخلا فيما خلقه في الأيام الستة ولا فيما يشقه ويفطره بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش .. ولم يكن العرش داخلا فيما يقبض ويطوى ويبدل ويغير .

ثم أخبر ببقاء الجنة والنار بقاءا مطلقا ولم يخبرنا بتفصيل ما سيكون بعد ذلك ، بل إنما وقع التفصيل إلى قيام القيامة واستقرار الفريقين في الجنة والنار ، وذكر ما فيهما من الثواب والعقاب ، وقد أجمل من ذلك ما لا نعلمه على التفصيل .. ، فكان الذي أخبرنا به مفصلا لنا حاجة ومنفعة بمعرفته مفصلا ، وما سوى ذلك فوقع الخبر به مجملا ، إذ يمتنع أن نعلم كلما كان وسيكون مفصلا .

وهذا كما أنه أمرنا أن نؤمن بالملائكة والأنبياء والكتب عموما وقد فصل لنا من أخبار الأنبياء وأمر كتبهم وقصصهم وأمر الملائكة ما فصله ، والثاني أجمل كما قال : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ ، وأمثال هذا .

فلما وقع التفصيل في خلق السماوات والأرض وما بينهما وفي القيامة التي تستحيل فيها السموات والأرض ما بينهما لم يكن العرش داخلا في ذلك بل أخبر ببقائه بعد تغيير السموات والأرض كما أخبر بكونه قبل خلق السماوات والأرض خبرا مطلقا اهـ . (بيان تلبيس الجهمية 154/1)

الوجه الثالث : اختلافهم الشديد على اثبات ونفي الحد لله عز وجل وكذلك اختلافهم في النفي والإثبات لمماسة الله عز وجل لشيء مما خلق ، ولهم في ذلك اضطراب واختلاف شديد ، ويقال أول من التزم اثبات الحد لله تبارك وتعالى ابن المبارك وقال به ابن حنبل حكاه عنه الخلال في " السنة " ، وانكر اثباته لله عز وجل ابن حبان والخطابي والسجزي . وخلطهم الشديد في ذلك بسبب عدم الوعي بضرورة اعتقاد فرق اثبات وجوده عز وجل ما بين المثال وحقيقة وجوده على ما آمن بذلك الأنبياء ، وهذا مما يكشف عن مدى توهانهم في خوضهم المذكور قبل في اثبات وجوده عند ابتداء الخلق .

الفصل الرابع

نزول الرب عز وجل من فوق السماوات السبع لا السماء القديمة

ومن بركة تقرير هذا الأصل العظيم العلم بيقين خطأ ما تقرر في بعض أصول اعتقاد أئمة السلف فيما وصف الله عز وجل نفسه ووصفه به رسوله مما كان عليه وما سيكون ، من غير علم منهم بذلك ولا فهم لحقيقة ما وصف الله تعالى به نفسه وما وصفه رسوله ، وكان إيمانهم في بعض ذلك على الامتناع من تفسير معناه ولا ادراك لحقيقة تأويله ، وهكذا اتفقوا على ذلك يمررون الأخبار تلك من غير علم ولا دراية ويحسبون بذلك التقرير منتهى الوصول للحق وما أراد بيانه الله عز وجل عن نفسه ورسوله ، وقد أخطأوا في ذلك خطأ مبينا حتى هان أو انكسر شيئا من اعتقادهم أمام أهل الكلام واللغو ، لما اعترى بعض تقريراتهم بعقيدتهم في صفات الله عز وجل من تناقض والتباس ، ويكفي للتدليل على بطلان ما كانوا عليه تمريرهم ذلك من غير تفسير رغم ما له من تفسير يوافق العقل والواقع ولا يتنافر معهما ومقتضى الإيمان الحق بتلك الأخبار يفيد ذلك لا سواه ولازم اليقين بمعنى كل ذلك يدل عليه ، لكن أئمة السلف لما جهلوا في ذلك لجأوا لزعمهم تمريرها من غير فهم ولا دراية وأن هذا مقتضى الحق فيما بلغوه من تصديق وإيمان وعلم ، لكن الحق خلاف ما ذهبوا إليه في ذلك .

ومما يدل على ما يقرر هنا تناقضهم في إثبات وجود الله عز وجل عند خلق السماوات والأرض واستوائه على العرش ، وكما قلت من قبل بالمطابقة

ما بين حال وجود الرب عز وجل عند خلقه للسماوات والأرض واستوائه على العرش ، بحال وجوده عندما يأتي لحساب عباده يوم القيامة ، فحقيقة وجوده هناك وهنا سواء إلا أن السلف جهلوا تلك الحقيقة على الوجهين وضلوا عن ذلك ضلالا مبينا ، لهذا خلطوا خلطا شديدا ببعض ردودهم على من خالفهم بتصورهم أن ما هم عليه هو اعتقاد الحق في إثبات حقيقة وجود الرحمان عز وجل وأن ليس وراء ذلك إلا الضلال ، وكل ما أكثر منهم أحد في الخوض بالكلام كلما أكثر من الجهل والقول باللغو .

أقول : ومن بركة تقرير هذا الأصل الحق أن يترتب عليه ما حار به أولئك الأئمة ومن خالفهم باعتقاد حقيقة نزوله تعالى من عرشه في الثلث الأخير من كل ليلة ، فخلطهم في ذلك كان أكثر واقرارهم في جهلهم بحقيقته أشهر حتى قال منهم شعرا في ذلك :

وقل ينزل الجبار في كل ليلة **** بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمن بفضلـه **** فتفرج أبواب السماء وتفتح

قال ابن أبي داود : هذا قولي وقول أبي وقول شيوخنا وقول من لقيناهم من أهل العلم وقول العلماء ممن لم نرهم كما بلغنا عنهم فمن قال غير ذلك فقد كذب اهـ .
(ذكره ابن عبدالهادي في الاستواء على العرش والذهبي في العلو والعرش)

أقول : بل أنت كذبت وأبوك وكل شيوخك ، من لقيتهم ومن لم تلقهم ، وهو قولكم المشهور في الأمة والمعتمد بينهم تقليدا وجهلا ، وإلا الحق بين وله تفسير أراد الإيمان والعلم بالله تعالى جواز تقريره ونشره وتفسيره والحث

على اعتقاده وتصديقه ، ومن خالف في ذلك فلا شك بجهله وضلاله ، وإن زعم نفي التشبيه ودفع معرة ذلك عن نفسه ، فهو أبعد عن الإثبات الحق واعتقاد الصدق ، لهذا وجدنا التناقض على أصولكم والاضطراب فيما بينها ، ما بين الإثبات والنفي تدورون وما بين التشبيه والتكذيب من غير شعور منكم .

قال الوليد بن مسلم : سألت سفيان الثوري ومالك والأوزاعي والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي في الرؤية وأمثالها فقالوا : نؤمن بها وتمضى على ما جاءت ولا نفسرها .

وعن سفيان بن عيينة : كل شيء وصف الله به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره وليس لأحد أن يفسره .

وعنه وسئل عن هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية فقال : نرويها كما سمعناها .

وقال : هذه الأحاديث في الصفات والنزول والرؤية حق نؤمن بها ولا نفسرها إلا ما فسر لنا من فوق اهـ .

زعمكم لم تفسر بحد ذاته كذب على الله تعالى ورسوله .

وعن أبي زرعة : لا نفسر ، نقول كما جاء وكما هو في الحديث اهـ .

وهكذا ساق تلك الآثار عن أولئك الأئمة وغيرهم ممن تركت نقله ، ابن مندة رحمه الله تعالى ، ثم قال : وكذلك نقول فيما تقدم من هذه الأخبار في الصفات في كتابنا هذا نرويها من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا قياس ولا تأويل على ما نقلها السلف الصادق عن الصحابة الطاهرة عن المصطفى ﷺ ، ونجهل من تكلم فيها إلا ببيان عن الرسول أو خبر صحابي حضر التنزيل والبيان ونتبرأ إلى الله عز وجل مما يخالف القرآن وكلام الرسول ، والله عز وجل الموفق للصواب برحمته إن شاء الله تعالى اهـ . (كتاب التوحيد)

قلت : للأسف لم توفقوا في تقرير الصفات إلا قليلا وفيما كنتم فيه تبقون خير ممن خالفكم من أهل الكلام والمتفلسفة . والحق فيما أخبر الله تعالى ورسوله ﷺ ، وهما لم يخاطبا أهل الإسلام بغير الحق وبالمستحيل على التصديق واليقين والفهم ، لم يخاطبا الناس بما لا حقيقة له تدرك بأذهانهم ، وبما يجب على المكلف سماعه والإيمان به لكن من غير فهم ولا ادراك ولا حقيقة يتصورونها بعقولهم ومن خلالها يمكنهم معرفة تأويل ذاك الخبر وغيره .

وعلى سبيل المثال : في مسألة نزول الباري عز وجل كل ليلة كما ورد في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له " . فهذا مما اختلفوا عليه كثيرا وحاروا في تفسيره وتهكم عليهم اثباتهم لذلك ، المبتدعة أهل الجحد ورأي العقل المعزول عن التسليم والتصديق بما أخبر الله عز وجل ورسوله ، مع أن له معنى يجب اليقين به والتصديق به ومواجهة أهل الرأي بذلك من غير خشية من جلبهم وجهلهم ، لكن صدق من قال : (فاقد الشيء

لا يعطيه) . وهم فقدوا تمام العلم واليقين في ذلك لهذا فروا لمقولتهم المشهورة : (بلا تفسير بلا تأويل ، أمروها تلاوة كما أتت تذهب) .

قال ابن القزويني : الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، قاله النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يقال : كيف ؟ اهـ . (الحجة في بيان المحجة لقوام السنة 265/1)

وقال ابن خزيمة : نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية اهـ .

وقال صاحب رياض الجنة بتخريج أصول السنة مُحَمَّد الأندلسي ابن أبي زمنين : ومن قول أهل السنة : أن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا ، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدا اهـ .

وفي رده على الجهمية قال الدارمي رحمه الله تعالى : فهذه الأحاديث جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن ، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها .. ولم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا ولا تعقله قلوبنا وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم اهـ .

لكن الكيفية وصفت بالإنجيل * ، وبالقرآن وعلى لسان مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وصفا بين المعنى فيه حرفيا لكن اعترضه جهلكم وأعاق فهمه من

* راجع ما نشر في موقعنا تحت العنوان التالي : من أعجب وأعظم موافقات المصطفى لما ورد بإنجيل المسيح .

عامة الناس تعطيلكم له لا أن الله تعالى ورسوله لم يصفا ذلك ، بل وصف ذلك ليدرك ويتصوره عقل كل مسلم ، وهذه المرويات الكثيرة تفيد ذلك ، فجهلتموها ثم حكمتم عليها بنوع من التحريف والتعطيل بأن يعتقد بالأخبار تلك من غير ادراك لحقيقة ما دلت عليه ، وهذا هو صريح اعتقادكم ومعلن ألسنتكم عما تكنه قلوبكم وتدركه أفهامكم ، لكنا نقول نحن في ذلك :

وكما استوى تعالى بعد خلقه السماوات والأرض على العرش ، وكان نازلا قبل ذلك على وجه الأرض ليخلق آدم بيديه سبحانه وتعالى عما يجهلون ويشركون ، ثم صعد للسماوات واستوى على عرشه .

وكما أنه سيأتي يوم القيامة ليختلي مع كل عبد مكلف من عباده ليس بينه وبينه ترجمان ، ويراه الخلق ويدركون هناك أنه ربهم محاسبهم ومعاقبهم وله السلطة بالعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء ، الرب ذاته الذي سيفعل كل هذا وفعل كل هذا ، هو ذاته من ينزل للسماء الدنيا كل ليلة ويقول ما يقوله .

ينزل كل ليلة والله أعلم محاذيا لأي مكان من أرضه ، هل لمكة المقدسة ؟

أو لوادي كما أخبر المسيح (يهو شافاط) المكان الذي سينزل إليه الباري تعالى يوم القيامة لحساب عباده .

فالله أعلم أين سيكون مكان نزوله تبارك وتعالى ، وحين ينزل فوق ذلك المكان الذي يعلمه عز وجل ، ثم يرتفع عن ذلك لعرشه تبارك وتعالى كما فعل من قبل بعد خلق الأرض والسماوات السبع ، فيكون قد أتى بنزوله جل وعلا

كل ليلة فوق المكان المعين والذي لا يعلمه إلا هو ويكون طلبه عام لكل البشر ولو كان بليلة معينة فوق مكان معين من بعد ابتداء ثلث الليل الأخير من ذلك المكان ، ومن استغفره حينها ووجبت له الاستجابة غفر له ، فيصدق بذلك تحقق تأويل الخبر أنه عز وجل ينزل في تلك الساعة كل ليلة ، وكلما عادت تلك المنطقة لتلك الساعة من الليلة التي تليها يفعل ذلك عز وجل مرة ثانية وكل ليلة هكذا ، والله فعال لما يشاء.

وعليه ندرك حقيقة ضعف اعتقاد السلف في ذلك على سبيل المثال ، وأن بالعلم بحقيقة تفسير ذلك من أعظم بركات الله تعالى على أتباع الحق في هذه الدعوة المباركة ، بأن من عليهم بالعلم في ذلك ولو جهل الجميع ذلك ، ولو جهله من هم بتلك المنزلة من العلم والإخلاص لله تعالى ، يمن الله بفضله على من يشاء من عباده ويؤتيهم الحكمة التي لم تؤتى لغيرهم .

وأقول أيضا وبالمثال الثاني : الدال على جهلهم فيما يقررون ويجزمون عليه بالقطع من اعتقاداتهم وهو من أبطل الباطل وأكذب ما قيل على غيب الله عز وجل ما قرره من يلقبونه بقوام السنة أبي القاسم اسماعيل بن الفضل التيمي الأصفهاني في كتابه المسمى بـ " الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة " ، قال هناك : قال قوم من أهل العلم : ذات الله حقيقته ، وقال بعضهم انقطع العلم دونها .

وقيل : ذات الله موصوفه بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وهو موجود بحقائق الإيمان على الإيقان بلا إحاطة إدراك ، بل هو أعلم بذاته ، وهو موصوف غير مجهول وموجود غير مدرك ، ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه ، يسمع ويرى ، وهو العلي الأعلى ، وعلى العرش استوى تبارك وتعالى ، ظاهر في ملكه وقدرته

، قد حجب عن الخلق كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه اهـ .

قلت هذا من أبين الكذب وأصرح في تعطيل حقيقة عن الله تعالى وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام ، وألجأهم لذلك ما أشرت له من اضطراب وتناقض في معتقداتهم وما درجوا عليه من جهل في فهم مراد الله تعالى ورسوله مما أخبرا في ذلك .

وبخصوص ذكر هذا المثال الثاني وما قطعوا باعتقادهم على وفقه بعدم جواز رؤية الله تعالى بالدنيا ، وأنه من المحال تحقق ذلك لأحد من خلقه بأن يراه في الدنيا على الإطلاق ، يكذبهم في ذلك رؤية أبينا آدم لله تعالى بالدنيا من بعد ما نفخت فيه الروح ، وقد اتفق المصطفى ﷺ ونبي الله تعالى المسيح عليهما الصلاة والسلام في ثبوت تحقق ذلك ، وفي القرآن أيضا ما يشير لتحقق ذلك لقوله عز وجل : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ فالوحي هنا متصل بسياق متعدد أمر بالإبلاغ ثم تعقيب ، ثم أمر ثم تعقيب ، ما يدل على أنه وحي مباشر من خلال الرؤية لله عز وجل أثناء ذلك ، والتعدد بالموحى لهم في كل ذلك يدل على ما تقرر هنا ، وقد سبق إحالتي للموضوع الذي ذكر فيه تحقق تكليم الله تعالى لنبيه آدم مقابلة ، عن الإنجيل الصحيح للمسيح وحديث النبي ﷺ . وعليه نعلم أن رؤية الله تعالى جائزة لمن شاء من عباده بالدنيا والآخرة ، ولم يصدق من منع ذلك باعتقاده على الإطلاق .

وحتى موسى صلوات ربي وسلامه عليه قد عاين الله تعالى على الجبل حين أخذ من يدي الله عز وجل لوحي العهد ، وليس بصحيح أن معنى الخبر بكتابة لوحي العهد لبني إسرائيل بيدي الله تعالى أن تم الإيمان بذلك بمجرد الخبر ، بل تم تسليمهما من يد الله تبارك وتعالى ليد موسى عليه الصلاة والسلام الكليم ولم يذكر وسيط بينهما لا بالقرآن ولا في أخباره في بني إسرائيل ، وقد نص بأخبار موسى عندهم على أن الله تعالى كتبها بأصبعه عز وجل ، وأنهم ذكروا مشاهدة مثال الباري عز وجل في ذلك التجلي ، والله تعالى في كتابه قال : ﴿ وقربناه نجيا ﴾ ، فإن كان مناج ورجع لقومه يحمل لوحي العهد التي كتبت بيد الله تعالى ، فما وجه الاختصاص بكتابة ما آتاه بيده إن كان ذلك كله مع موسى بحكم الغيب أو من خلال وسيط ملاك ، لا بد لوجه الاختصاص ذاك من مزيد فرق عما أوتي غيره عليه الصلاة والسلام ، حتى يصح أن قربه ليناجيه ويعطيه كتابا بخط يده سبحانه ، وهذا لا يتصور يكون من غير تمثل لله عز وجل ينكشف أمام نبيه ، ومن أسمعه صوته وقربه نجيا وأعطاه كتابا بخط يده ، ليس من الممنوع شرعا وعقيدة بمنهاج الأنبياء أن يشاهد مثال الله تعالى الذي هو بمنزلة الحجاب بينه وبين سائر خلقه ، أما المنفي بنص القرآن للرؤية التي طلبها موسى فذلك أمر آخر مغاير لما نحن بتفصيله بالمرة هنا ، وهو كما قرر تعالى بكتابه وعلى ألسنة بعض رسله أن ذلك غير ممكن لمخلوقاته على التأبيد ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ، ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

وقال نبي الله تعالى سليمان في ذلك : ﴿ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُهُ ﴾ .

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام : ﴿ سماء السماوات لا تسعه لأن إلهنا غير محدود ﴾ . ذكر ذلك عما كتبه الله تعالى بيده في لوحي العهد لموسى عليه الصلاة والسلام ، وسيمر معنا نقل شيء من كلام الله عز وجل زيادة على ما ذكر هنا آخر هذا الفصل .

ويقول نبي الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام في ذات المعنى : ﴿ أَلَعَلَّكَ تُدْرِكُ أَعْمَاقَ اللهِ ، أَمْ تَبْلُغُ أَقْصَى قُوَّةِ الْقَدِيرِ ؟ هُوَ أَسْمَى مِنَ السَّمَاوَاتِ ، فَمَاذَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَفْعَلَ ؟ وَهُوَ أَبْعَدُ غَوْراً مِنَ الْهَاوِيَةِ ، فَمَاذَا تَعْلَمُ ؟ ، هُوَ أَطْوَلُ مِنَ الأَرْضِ وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ ﴾ .

وبماذا قال صلوات ربي وسلامه عليه المصطفى لما دعاه ؟ ، قال : " أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين واغنني من الفقر " . (رواه مسلم)

وأئمة السلف جهلوا الفرق هنا ولم يعلموا أين يصلح حمل الإثبات للصفات ، وأين لا يمكن أي إثبات لوصفه بحال وصفا يمكن يدركه بصر مخلوق أو بصيرته ويحيط به ، فهو أعظم وجودا بحقيقة ذاته من أن تحده أي صفة مدركة ومحسوسة لبني البشر أو تدرك بباله المخلوق ، وغير بني البشر ، لكن الله تعالى مما اتخذ حجبا له اتخذ حجابا يمكن لمخلوقاته أن تدركه من خلاله أو من ورائه ، وهكذا هي مشيئته وحقيقة وجوده عز وجل أن لا يطيق رؤيته مخلوق ، وكما علمتم لما تجلى للجبل ماذا حصل لذاك المخلوق العظيم فكيف بمخلوقاته الضعيفة التي لا يمكن لها ادراكه بأي حاسة من حواسهم إلا ما تقرر

بالمثال حالهم في ذلك كحالهم بالمنام رحمة منه ، ولهذا صاح بها أحد الأنبياء وهو اشعيا صلوات ربي وسلامه عليه ، فقال : ﴿ حَقًّا أَنْتَ إِلهٌ مُحْتَجِبٌ ﴾ .

محجوب عن ماذا ؟

يجيب على ذلك المسيح صلوات ربي وسلامه عليه وتلاميذه الأبرار رضي الله تعالى عنهم بما دار بمجلسهم التالي : إن الله وحده يقدر أن يعرف نفسه وإنه حقا لكما قال اشعيا النبي : هو محتجب عن الحواس البشرية اهـ .

كأنهم ذكروا ذلك بالمعنى لأني لم أجد النص عن النبي اشعيا مضافا للحواس البشرية ، بل من غير ذلك ، فهل حرف نص كلامه فانقص منه ؟ ، أو أنه مثبت كما هو عليه الآن لكن التلاميذ أشاروا له بالمعنى ؟

ومهما يكن أبلغ من ذلك ما ورد من كلام الله تعالى بحسب ما ذكر المسيح عن لوحي العهد أنه تعالى : ﴿ لا يُرى وأنه محجوب عن عقل الإنسان ﴾ . وهذا أبلغ مما ذكره التلاميذ عن كلام اشعيا النبي فمن يستحيل ادراكه بالعقل محل التصور والتخيل من باب آكد استحالة ادراك حقيقة وجوده من خلال حاسة البصر ، فالعقل اشمل وهو مركز كل الحواس ، فكان نفي ادراك حقيقته عز وجل بما أنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أبلغ مما نقل معناه عن النبي اشعيا فاحتجابه هناك عن العقل مركز الإدراك ، ومن حجب عن العقل استحال مشاهدته مع أي تبدل ، على عكس المشاهدة بحاسة العين مركز الإبصار فتلك متى ما زال عنها المانع تعود ويمكنها المشاهدة ، أما نفي الإدراك

بالعقل فهذا نفي مطلق ، لأن تعلقه بالإدراك عامة لا بحاسة البصر ولهذا كان النص القرآن بالنفي عن الإدراك له عز وجل في قوله تبارك وتعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ، أقرب أن يكون المراد في ذلك نفي إدراكه بالعقل لا بالعين وهو أبلغ بتحقق حجب الذات المقدسة عن مجموع حواس البشر حجبا مطلقا لا أنه محجوب عن حاسة بعينها ، والآية في حمل مفهومها على هذا المعنى أبلغ وأقرب للصواب والحق لمطابقة ذلك المعنى المنصوص عليه بلوحي العهد على موسى عليه الصلاة والسلام وهو الأوفق لجميع النصوص الواردة في هذا الخصوص والجمع الأمثل لها ، وعليه حمل المعنى من الآية بعضهم في المسلمين فقالوا : الْمَعْنَى لا تُدْرِكهُ أَبْصَار الْقُلُوب ، أَيْ لا تُدْرِكهُ الْعُقُول فَتَتَوَهَّمهُ ؛ إِذْ " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء " اهـ . حكاه القرطبي في تفسيره رحمه الله تعالى ، وهو الأقرب والأوفق ويعضده ما نقله المسيح عليه الصلاة والسلام عما كتبه الله تعالى بيده لموسى الكليم صلوات ربي وسلامه عليهما .

وظاهر القرآن يدل عليه فقوله تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ ، فمعنى النفي هنا للإدراك لا يشترط له الإحاطة بالنظر على ما توهموا جميعهم ، فإن الإحاطة بالنظر لا يتم بحال ومن الغباء بصراحة حمل التفسير على هذا المعنى ولا شك ، لأنك وبتطبيقك لنظرك على أي مخلوق فما بالك بمن له المثل الأعلى ، لن يمكنك الإحاطة به فإن نظرت له من زاوية خفت عن عينيك زوايا كثيرة منه وكل ما كبر حجم ذلك المرئي كثر عليك من حيزه ما يخفى عن نظر عينك ، وعليه يتضح بطلان هذا التمثيل بما أنه يوافق المخلوقات والله تعالى منزه عن مثل هذا الخطاب الضعيف والتشبيه الغير

صحيح ولا منطقي ليؤكد على مثل تلك الحقيقة الربانية الباهرة ، وهو القائل عز وجل في تنزيه ذاته : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾.

لكن الحق بالتقرير هنا أن المراد بالنفي خلاف ما ذهب إليه الكثير منهم ، فإن الإدراك أمر زائد على مجرد تحقق الرؤية فكيف يقاس عليه بأي حال ، مع أن الحقيقة في حمله على ذلك كما بينت لا تعين عليه .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَاب مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ ، فهنا خشوا من الإدراك بعد تحقق الرؤية بين الجمعان ، ما يدل على أن الإدراك أمر زائد على مجرد تحقق النظر .

وقد شنشن حول هذا المعنى الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره للآية وأورد هناك قوله عز وجل كذلك في فرعون : ﴿ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَق قَالَ آمَنَتْ ﴾ . ثم قال : قَالُوا : فَوَصَفَ اللَّه تَعَالَى ذِكْره الْغَرَق بِأَنَّهُ أَدْرَكَ فِرْعَوْن ، وَلا شَكَّ أَنَّ الْغَرَق غَيْر مَوْصُوف بِأَنَّهُ رَآهُ ، وَلا هُوَ مِمَّا يَجُوز وَصْفه بِأَنَّهُ يَرَى شَيْئًا . قَالُوا : فَمَعْنَى قَوْله : { لا تُدْرِكهُ الأَبْصَار } بِمَعْنَى : لا تَرَاهُ بَعِيدًا ، لأَنَّ الشَّيْء قَدْ يُدْرِك الشَّيْء وَلا يَرَاهُ اهـ .

قلت : هنا قصر ، وحقه يقول في تفسيره : معنى الإدراك التمكن ، والله تعالى بنفيه أن يدرك نصب دليلا على ذلك نفيه أن يدرك بأي حاسة من حواس البشر ، على من قال العقل عموما والمعنى أن يدرك بالفكر ، أو على من قال بمجرد النظر بالعين بأن يحاط بتلك الحاسة ، فكان النفي مطلقا وتعبيره عن ذلك بالإدراك ، ولا معنى وحقيقة للتمكن منه عز وجل لينفى ذلك إلا أن

يكون النفي هنا المراد منه على الإطلاق أن يدرك بأي حاسة حتى مجرد النظر إليه ، وذلك كما هو ظاهر من القرآن أن الإدراك أمر زائد على مجرد تحقق النظر ولن يكون معنى الإدراك على الباري عز وجل لينفى مطلقا إلا على النحو المقرر هنا ، لا مجرد وقوع النظر عليه ، وفي هذا المعنى الحق هنا أعظم بيان وتقرير يصادم معتقد أئمة السلف في اعتقادهم جواز رؤية ذات الباري عز وجل المحجوب ادراك حقيقتها على عقول كافة البشر .

ويستحسن هنا التنبيه على غرابة استدلال ابن عباس في هذا الخصوص وانقلابه عليه حين زعم لنفي الإحاطة قياس رؤية الباري عز وجل برؤية السماء فقال للمستنكر : ألست ترى السماء ؟ ، قال : بلى . قال : أكلها ترى ؟ ، قال : لا .

وهذا مقلوب عليه كما ذكرت قبل ويؤكد على أن معنى النفي ليس لما ذهبوا إليه وإلا لم يكن لمعنى التنزيه هنا له جل وعلا أي معنى ما دام ذلك يطابق حال مخلوقاته كذلك ، فكلها لا يُحاطُ بها بمجرد وقوع النظر لا من قريب ولا بعيد ، والحق أن النفي خرج لمعنى آكد من ذلك وهو عدم الاستطاعة المطلقة من البشر على إدراكه بالعقل من أي وجه فهو محجوب حجبا تاما عن أي حاسة بشرية وما دام حجبه لنفسه عن العقل مطلقا فمن باب أولى مجرد النظر ، ولو تمت لهم رؤية ذاته المقدسة لما كان هناك أي معنى لذلك النفي على الإطلاق ، وهذا عين ما عناه عز وجل بالنفي المطلق في تلك الآية ، فإن لم تكن يا ابن آدم قادرٌ على ادراك حقيقة وجوده بفكرك العقلي ، فكيف لك أن تراه بعينك ؟!

لن يجعلك تدركه بعقلك وإن نظرته بعينك مجرد نظرة لذاته المقدسة المحجوبة فقد أدركته وهذا الذي وقع عليه النفي ، وذلك ممنوع عليهم جميعا لعدم استطاعتهم ذلك بالخلقة .

لقد خلقت يا ابن آدم لتعجز عن إدراكه وستبقى كذلك لا تستطيع أن ترى النور العظيم بعينك الضعيفة ، مثل أن الجبل لم يستطع الثبات أمام شيء من تجلي ذاته المقدسة ، عظيم بوجوده كبير واسع من وراء حجبه لا يمكن للعين تعيينه مطلقا لأنه أكبر من كل شيء وأوسع من أن تحد له حدا العين التي خلقها لا لتراه بل لتؤمن بوجوده من وراء الحجب ، فذلك أقدس له وأشوق لها .

نعم ، خلقت وأنت لا تستطيع رؤية ذاته العظيمة وذلك منصوص عليه في القرآن : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ ، برهان على استحالة ذلك بالبصيرة وبالبصر آكد وأولى ، وتلك هي الحقيقة الشرعية العظيمة التي جهلها أئمة السلف وعجزوا عن استيعابها بأن الله تعالى بذاته محجوب عن مخلوقاته ، وإنما جوزي من صلح منهم برؤية مثاله النور بالصورة كما يرى بالمنام ، أما ذاته المقدسة المحيطة بكل شيء والقريبة من كل مكلف فتلك التي تقرر بوحي الله عز وجل على رسله أنها محجوبة لا يمكن أن ترى من قبل أي مخلوق ، وهذا الرد عليهم بما تضمنه هذا التفصيل أتى لبيان الحقيقة الشرعية العظيمة أن الله تعالى بذاته محجوب عن مخلوقاته وأن السلف خلطوا في اعتقادهم خلاف ذلك خلطا عظيما ملتبسا على الكثير من الخلق ولم يسبق نقضه عليهم من أي أحد نقضا شرعيا مستمدا براهينة مما أوحى الله تبارك وتعالى للأنبياء والرسل .

وكذب كل من زعم أن الله تعالى سيخلق قدرة يوم القيامة تمكن ابن آدم من رؤيته ، إنما سيرونه بما آتاهم الله تعالى من مقدرة على ذلك على النحو الذي رآه به آدم عليه الصلاة والسلام ، وكما سيراه الخلق جميعهم يوم العرض ومن ثم في الجنة بتجلي خاص يستطيعون مشاهدته من خلاله.

ومن أنكر ما مر علي في مباحث العلماء المسلمين في هذا الخصوص ما قاله ابن تيمية : كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح ، لأن النفي المحض لا يكون مدحا .. ، والمعدوم أيضا لا يرى والمعدوم لا يمدح ، فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه اهـ . (من بيان تلبيس الجهمية)

وهذا من الانقلاب بالعقول حتى يعد مدح الله تعالى لذاته ذما بحقه سبحانه ، ما يؤكد على صحة ما تقرر هنا أن المنفي حقا ادراكهم حقيقة وجوده بعقولهم مهما بلغت ، ولا أدل على ذلك مما نقرأه عن مثل هذا المسلم الذي آتاه الله تعالى من نعمة العقل الكثير ، لكنه يكبو هنا ويقع على منخري رأسه لما استدار به الأمر فانقلب عليه ما مدح الله به ذاته المقدسة ونوره الأعظم ، ليكون بتصورات عقله نقصا ومذمة فسبحان الذي احتجب عن سائر عقول بني البشر أن تقدر تدرك كنهه ، أو أن تقع على نوره الأعظم أنظارهم .

وله أختها أو قريبا منها قوله رحمه الله تعالى وغفر له في معنى قول الله عز وجل : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ : من توهم أن مقتضى هذه الآية أن يكون الله في داخل السموات فهو جاهل ضال بالاتفاق ، وإن كنا قلنا أن الشمس والقمر في السماء يقتضي ذلك ..

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله : أنه في السماء . أنه في العلو ، وأنه فوق كل شيء وكذلك الجارية لما قال لها : " أين الله ؟ قالت في السماء " ، إنما أرادت العلو ، مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها .

وإذا قيل : " العلو " فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به ، إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله . كما لو قيل العرش في السماء : فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق .

وإن قدر أن " السماء " المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها .

إلى أن قال : ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره ، وضال ان اعتقده في ربه اهـ . (بيان تلبيس الجهمية)

بل أنت من ضل وكذب إذ قررت خلاف الحق هنا ، وافتريت بأن أعلى العلو هو ما فوق العرش ، وقد مر معنا تقرير الكلام حول هذا في مسألة اثباتهم الحد لله عز وجل آخر الفصل الثالث في الوجه الثالث من ابطال دعواهم عدم وجود شيء من مخلوقاته عز وجل معه حين خلق العرش والسماوات والأرض .

وهذا يرجعنا للتأكيد على مدى ضلالهم في هذه المباحث التي تقولوا فيها على الله تعالى وحقيقة وجوده بالكثير من الباطل وقول الكذب والرجم عليه بالغيب سبحانه .

وهو منه مبني على فهمهم لتأويل حديث عمران وخصوصا حديث أبي رزين العقيلي ، وما اعتقدوا من حقيقة معنى الاستواء على العرش واعتقادهم أنه تعالى كان وليس معه شيء ، ولا فوقه ولا تحته ، ومعنى النزول في الثلث الأخير من الليل ، وكل تخاليطهم في ادراك تأويل كل ذلك .

وهذا كله منهم إنما تأسس على جهلهم في اثبات ونفي الصفات على الله عز وجل .

ومثله قوله هنا في تعيين مكان العرش ومعنى " من في السماء " ، والعقول التي تقبل في عقيدتها المجيء بالعرش محمولا ومجيء الرب عز وجل مع الملائكة كما قال تبارك وتعالى يوم القيامة : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ ، ثم هم يعتقدون رغم ذلك أن العرش أكبر وأوسع من السماوات والأرض ، حكاه بكتابه " بيان تلبيس الجهمية " عن الدارمي في نقضه على المريسي وأقره عليه ، قوله : ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة ! فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ، ولو كان العرش في السموات والأرضين ما وسعته ، ولكنه فوق السماء السابعة اهـ .

وباعتقادهم أيضا أن الرب عز وجل سيأتي مع الملائكة صفا صفا فسيأتي وهو أكبر من العرش الذي هو أكبر من السماوات والأرض ، ثم هم يؤمنون أيضا رغم كل تلك التناقضات على وفق ما يعتقدونه دينا وإيمانا ، أن العرش يوم القيامة سيكون محمولا وله أطيط كأطيط الرحل ، والملائكة من حوله حافين والأنبياء والأولياء .

ثم الرؤوس التي تجمع هذا كله ترجع بعقيدتها لمثل هذا التضليل والتكذيب لمن اعتقد أن مجيء الله تعالى سيكون يوم القيامة مثل ما كان مع آدم حين خلقه ولا زال قبل ما ينفخ فيه الروح وهو كومة من الطين ، وهناك من حولها كان التجلي الرباني للملائكة والابتلاء العظيم الذي وقع عليهم حين أمرهم بالسجود لتلك الطينة ، ثم حصل ما قص عليكم ذكره .

ولما أراد أن ينفخ في تلك الطينة الروح عاد وحصل مثل ذلك ثم جرت كل تلك الأمور المذكورة .

ونظير هذا لما خلق العرش على الماء ومن ثم خلق السماوات السبع والأرض وقدر ما فيهم ، ثم استوى على عرشه تبارك وتعالى وكل ذلك سواء وبابه واحد ، لم يحصل إلا وهو تعالى في سماء السماوات ، ثم نزل حين شاء من هناك لوجه الأرض لما جمع طينة آدم بيديه سبحانه وخاطب الملائكة في بيان عزمه على فعل ما سيكون من وراء تلك الطينة .

ونظير ذلك لما يأتي ليحاسب العباد فتجمع بين يديه عز وجل يوم القيامة الخلائق ، فهل يمكن يعتقد عقل أن ذلك كله سيكون وهو غير داخل في المكان والحيز والزمان ؟!

أما تلك العقول فلا يمكنها تجمع بين اعتقادها بما قلت أن عرشه أكبر وأوسع من السماوات والأرض والله أكبر وأوسع عندهم ، وبين ما أخبر تعالى ورسوله إلا وصب على رؤوسهم التناقض كله والاضطراب ، لكنهم بالنهاية

ورغم ذلك تم لهم أن يجمعوا بين ذلك كله ويوفقوا ما بينه بكلمتين (أمروها كما رويت والكيف غير معلوم) ، وتلك قاعدة الحمقى بامتياز ولن اقول الكذبة .

وتلك العقول مرجوجة ولا شك إذ اعتمادها في الدين وبأسمى أصوله على ضرب دلالات النصوص بعضها ببعض ، ومع هذا خفاهم من العلم الكثير والكثير جدا ثم هم يتحدثون . وهل يأتي الرب تعالى مع ملائكته صفا صفا يوم القيامة إلا وهو داخل السماء بل هو على وجه الأرض يمشي على ما روي عن المصطفى ﷺ من حديث أبي رزين العقيلي : " فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض ، وخلت عليه البلاد ".

فكيف يحمل عرشه على وجهها وهو باعتقادهم أكبر من السماوات والأرض ، والله أكبر منه وأوسع ؟!

ولا يستغرب على عقول تؤمن بهذا وتصدق به أن تعتقد بفناء السماوات والأرض ، نعم حتى يتم لهم ما اعتقدوا فيذهبوا بالزمان والمكان وإلا لاستمروا مع تنقاضاتهم ليوم القيامة ثم يكون هناك عرش يمكن له أن يحمل ، وقال بفناء السماوات والأرض ابن حنبل بالفعل فيما ينسب له ، قال : وأما السماء والأرض فقد بادتا لأن أهلها صاروا إلى الجنة والنار ، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة والله عليه فلا يهلك ولا يبيد اهـ * .

* كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " ص 33 المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة 1393

والمرجح أن هذه الإبادة عنده تتم بعد ما تجري كل تلك الأحداث المروي عنها في الحساب والصراط وغيره ، لأنها كلها تحدث والأرض لا زالت ، لكن غفل ابن حنبل أن باعتقاده هذا قد صادم بما قاله ظاهر القرآن وسأحسم بإيراد ما ينقض تلك الخرافة حتى توقنوا أن لهم تناقضات صارخة في الاعتقاد بالغيب حتى على الجنة والنار وبقاء الأرض والسماء ، دون تناقضاتهم على وجود الله عز وجل وذاته العظيمة المقدسة المحجوبة عن العقول والأنظار .

قال عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ . فهنا يثبت وجودهما الله عز وجل وأهل النار في نارهم ، وابن حنبل قضى عليهما بالفناء وسينتهي لقول جهم في فناء النار والجنة ، لأن قوله بفناء السماوات والأرض يلزم منه فناء النار والله عز وجل قيد بقائهم في النـــار ما دامت السماوات والأرض

والحكم بفنائهما حكم على النار بالفناء ، وكل هذا من مغبة الرجم بالغيب والتقول عليه عز وجل بجهل .

وهؤلاء رغم هذا كله يهذون بعقولهم ويخلطون بألسنتهم ما بين قول الحق والباطل ، لينكروا أن كل ذلك إنما حصل والرب عز وجل ليس في حيز ولا مكان ولا زمان ، حقا أنكم أنتم من الكذبة والمزورون أيضا إذ أن كل هذا العبث بالعقيدة يصدر منكم ثم تقولون نحن أهدى الناس في إثبات ما يليق لله تعالى وما لا يليق ، نثبت ما أثبته الله عز وجل لنفسه وما أثبتته له رسله وننفي ما نفوه ، وها هي حقائق ما اعتقدتم تتجلى وإذا أكثرها مبني على الأباطيل

وقول الأكاذيب ، لم يكن عرشه إلا فوق السماوات الطباق تحت أفلاك سماء السموات ، ولن يكون عرشه ذاته إلا فوق وجه الأرض تحفه الملائكة والأنبياء والصديقون والأولياء محمولا بين أيديهم وهم يحدقون فيه بل بعضهم يلتزم احدى قوائمه ، ولا زال تحت الأفلاك تحويه سماء السماوات ، وكل هذا الضلال منكم لأنكم لم تهتدوا للحق في ذلك فيتم لكم التمييز وفق ما قاله تعالى لنبيه موسى صلوات ربي وسلامه عليه وكتبه لنبيه ولقومه بيديه عز وجل لأهمية ذلك الاعتقاد ، ولهذا كتب عن حقيقته بيديه سبحانه.

ووفق كذلك ما قاله لمسيحه عليه الصلاة والسلام بإنجيله ، ووفق ما أوحى لنبيه المصطفى ﷺ ، فوجوده في السماء عقيدة صريحة أثرتم حولها من الكذب والاشكالات ما لا يتطرق إليها لو تعقلون ، لكن من أين وقد أجهدتم عقولكم وأنتم تنفون ذلك ما يرشحكم للكذب عليه أكثر من غيركم ولو قالوا ما قالوا ، ولو ضلوا بما ضل به خصومكم ، فأنتم الأكثر في ذلك بالنسبة للدعوى على الله تعالى وعلى رسله .

الفصل الخامس

نزول الرب للأرض آخر الزمان ليكون شهيدا ورسله على الخلق

ولنزيدكم هنا بما يفضح جهلكم ويزري على عقولكم وفهمكم لحقيقة دينكم ، أن عرشه عز وجل سيحمل ويستقر به بمكان لطالما لم تلتفتوا لمن نادى بخبره وبين أدلته ، فهل لو كان حيا ابن تيمية ستجدونه سيجادل ببطلان ذلك كون مكان العرش لا يكون إلا فوق الأفلاك ، وليس في الأرض سواء في " يهو شافاط " ، أو بطيبة المقدسة فوق جبلها المقدس ؟!

نعم ، سيحمل العرش هناك وذلك مصرح بخبره في الزبور والإنجيل وجملة من الأنبياء ، فإن تلك ستكون المقدمة العظمى والمفاجأة للجميع بالفضح والكشف والحساب ، قبل ما يكون عليه الفضح بصورة أشمل وأكبر لاجتماع كل الخلائق ، أما تلك المقدمة بمدينة السلام فهي مختصة بمن هم أحياء اليوم فتلك مقدمة لتلك ومؤذنة بقرب النهاية .

ويجمعون هناك بالشهداء من الأنبياء والرسل ليحكم الله تعالى لدينه ورسله وربك فعال لما يشاء سبحانه ، وحتى يعرفوا أن عقولهم حقا محجوبة عنه تعالى بل عن الكثير من الحقائق العظيمة في شريعته ودينه مثل ما هي محجوبة عن حقيقة وجوده تعالى والكثير من أسراره في خلقه وكيف قدر النهايات والخواتيم عز وجل والعواقب ، قال في زبوره عليه الصلاة والسلام : ﴿ هُنَاكَ

اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ ... لِيَسْتَرِحْ مُحِبُّوكِ ، لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ ، رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ ﴾ *.

ويسأل المسيح عليه الصلاة والسلام أحد تلاميذه فيقول : تركنا كل شيء لنتبعك فما مصيرنا ؟ ، قال : إنكم لتجلسون يوم الدينونة بجانبي لتشهدوا على أسباط اسرائيل الإثني عشر اهـ . وعد ذلك من قضاء الله تعالى المنتظر .

وهناك مما قاله المسيح صلوات ربي وسلامه عليه ما به تبين اتخاذ تلاميذه المخلصين شهداء على اعدائه من بعد رفعه وبعد ما يرجع للدنيا ،

فهم بكلا الحالين شهداء على الناس ، فقال : ﴿ لا تنسوا الكلام الذي كلمكم الله به على لساني كونوا شهودي على كل من يفسد الشهادة التي قد شهدتها بانجيلي على العالم وعلى عشاق العالم .

ثم رفع يديه إلى الرب وصلى قائلا : أيها الرب إلهنا إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحاق إله آبائنا ، ارحم من أعطيتني وخلصهم من العالم لا أقول خذهم

من العالم لأنه من الضروري أن يشهدوا على الذين يفسدون انجيلي ولكن أضرع إليك أن تحفظهم من الشرير حتى يحضروا معي يوم الدينونة يشهدوا على العالم وعلى بيت إسرائيل الذي أفسد عهدك ..

* تراجع المواضيع التالية : هل سيكلم الله تعالى المهدي مثل ما كلم موسى عليهما الصلاة والسلام ؟
: من هنا تقف على كل ما يستجد ويهم ذكره في عودة الأنبياء للإشهاد ..

إيها الرب الإله إلعن إلى الأبد كل من يفسد انجيلي الذي أعطيتني عندما يكتبون أني ابنك ، لأني أنا الطين والتراب خادم خدمك ولم أحسب نفسي قط خادما صالحا لك .

أيها الرب الجواد والغني في الرحمة امنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين ﴾ .

وكثير من الجهلة يحسبون الشهادة لا تقوم ببعض الأنبياء قبل يوم القيامة الكبرى ، بل تقوم قبل ذلك وربي فاقرأوا للمسيح عليه الصلاة والسلام ماذا يقول في هذا الخصوص : ﴿ سأعود قبيل النهاية وسيأتي معي أخنوخ وإيليا ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة ﴾ ، ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ . وسيعود معهم المصطفى ﷺ أيضا ، وستوضع هناك كراسي للشهداء على الأشرار من كل أمة وملة وإخباره تعالى عن ذلك صريحة لكن أكثر الناس لا يعلمون : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ ، ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ، يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ، وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ، هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ ، فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ

لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ ، ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

وحتى المهدي حفيد المصطفى ﷺ كتب بقضاء الله عز وجل شاهدا مع الأنبياء والرسل ، ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ ، ولأن هذا النص القرآني حمال أوجه فلا بد من الوقفة معه على الخصوص وسأورد لاحقا ما يدل على أن المهدي من الأشهاد حقا من أخبار الأنبياء ، فالأحمدية لما جمعهما الله عز وجل بها كان الإشهاد من ذلك ، وهو أحد الأوجه في معنى الآية السابقة ، فإن كان الذي على البينة بمراد الله تعالى هو النبي ﷺ فحفيده التالي وهو الشاهد ، أما إن كان الذي على البينة هو الحفيد المهدي ، فالتالي هو الجد المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه المبارك ، ولعل حكمة الله تعالى اقتضت لاشتراكهما بالأحمدية أن يأتي المعنى مستديرا استدارة وجهي القمر وهو معنى نبوئي بحد ذاته كالبشارة تماما ، فالجد بشر بالحفيد وعاد الحفيد مبشرا بالجد فسبحان الحكيم العليم ما أعجب تقديره وتدبيره ومكره بالظالمين : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾.

وفي الزبور قيل عنه هناك لنيله تلك المنزلة العلية : ﴿ تَعَهَّدْنِي بِخَلاَصِكَ ، لِكَيْ أَشْهَدَ نَجَاحَ مُخْتَارِيكَ وَلأَفْرَحَ بِفَرَحِ أُمَّتِكَ ، وَأَفْتَخِرَ مَعَ مِيرَاثِكَ ﴾ ، يريد أن يكون

معهم شاهدا لذلك ، فحكاه الله تعالى على لسانه في الزبور مثل ما حكى ذلك بالقرآن على ألسنة تلاميذ المسيح ، وإلا كما ورد بنص الإنجيل المسيح هو من أخبرهم عن ذلك جزاء لهم لما قال التلميذ : " تركنا كل شيء لنتبعك فما مصيرنا ؟ " اهـ .

فكان الجزاء أنهم كتبوا مع الشهداء : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

لكن يبقى ما يجب ذكره هنا بالنسبة للنص من الزبور في طلب الشهادة ، فقد لا يكون المعني بذلك المهدي بل داود نفسه عليه الصلاة والسلام فاحتمال أن المعني به هو نفسه محتمل وأنه طلب بما قاله هنا أن يكون من الأشهاد الذين سيقفون بوجه الأمم الكافرة كلها والشعوب المتمردة آخر الزمان ، وقد ورد ذلك عنه بنصوص أخرى من زبوره صريحة كهذا النص : ﴿ فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي : إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ .. تَقِفُ أَرْجُلُنَا فِي أَبْوَابِكِ يَا أُورُشَلِيمُ ، أُورُشَلِيمُ الْمَبْنِيَّةُ كَمَدِينَةٍ مُتَّصِلَةٍ كُلِّهَا ، حَيْثُ صَعِدَتِ الأَسْبَاطُ شَهَادَةً ... لأَنَّهُ هُنَاكَ اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ ، لِيَسْتَرِحْ مُحِبُّوكِ لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ ، رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ ﴾ .

ويجب أن يفهم أن داود عليه الصلاة والسلام لا يعني ببيت الرب هنا البيت الذي بناه ابنه سليمان ﷺ فبحسب كتابهم العهد القديم أن الهيكل انما بناه ابنه وليس هو فلم يعاصره داود ليذهب له ويقف برجله على أبوابه ، فكيف بأورشليم التي هي بأكاذيبهم مستقر الهيكل ؟! ، وإنما المراد بها هنا مدينة المصطفى ﷺ ، ويفيد هذا النص من الزبور وتلك النبوءة أن داود عليه الصلاة والسلام سيذهب لبيت الله عز وجل مكة ، وأن رجله ستقف على أبواب المدينة ، وأن الأسباط سيأتون هناك لإقامة الشهادة ، والسياق هنا صريح في كل ذلك .

وبمكان آخر من الزبور هو يصرح بطلب ذلك ، بل النص هناك ورد أيضا بصيغة الجمع فقال : ﴿ يَا إِلهَ الْجُنُودِ ارْجِعَنَّ ، اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ هذِهِ الْكَرْمَةَ وَالْغَرْسَ الَّذِي غَرَسَتْهُ يَمِينُكَ ، وَالابْنَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ ، مِنِ انْتِهَارٍ وَجْهِكَ يَبِيدُونَ . لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَى رَجُلِ يَمِينِكَ ، وَعَلَى ابْنِ آدَمَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ ، فَلاَ نَرْتَدَّ عَنْكَ . أَحْيِنَا فَنَدْعُوَ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ ، أَرْجِعْنَا ، أَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ ﴾ .

وهذا شبه صريح من داود عليه الصلاة والسلام بأنه سيكون من الشهداء آخر الزمان ويشهد له في القرآن لقوله في الزبور مشبها اياهم بالغرس : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ ، إن الله عز وجل يرعى ذلك الغرس ليغيظ بهم الكفرة الأشرار آخر الزمان وانظر لقوله في الزبور عن ذلك ﴿ مَسَالِكُ الرَّبِّ كُلُّهَا رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِمَنْ يَحْفَظُونَ عَهْدَهُ وَشَهَادَاتِهِ ﴾ . فهم ومن يقبل معهم في ذاك المقام غرس الله تعالى ، يقول النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عَمَلُ يديَّ لأتمجد ﴾ ، ﴿ فَيُدْعَوْنَ أَشْجَارَ الْبِرِّ، غَرْسَ الرَّبِّ لِلتَّمْجِيدِ ﴾ .

ويقول النبي ارميا عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَجْعَلُ عَيْنَيَّ عَلَيْهِمْ لِلْخَيْرِ وَأُرْجِعُهُمْ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ وَأَبْنِيهِمْ وَلاَ أَهْدِمُهُمْ وَأَغْرِسُهُمْ وَلاَ أَقْلَعُهُم ﴾ .

ويقول حزقيال عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَيَسْكُنُونَ فِي أَمْنٍ عِنْدَمَا أُجْرِي أَحْكَامًا عَلَى جَمِيعِ مُبْغِضِيهِمْ مِنْ حَوْلِهِمْ ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ ﴾ .

فهذا مقامهم وشأنهم والله حافظهم والنبي المصطفى ﷺ سيدهم وامامهم ، قال : " اللهم اجعلنا من عبادك المنتخبين الغُرِّ المُحجلين ، الوفد المتقبلين " . قالوا : فما الوفدُ المُتقبلون ؟ قال : " وفد يفدون من هذه الأُمةِ مع نبيهم إلى ربهم " . " رواه أحمد في المسند "

وطلبه هنا صلوات ربي أن يكون في جملتهم اعجوبة من عجائب تلميحاته بأبي وأمي هو عن رجعته واخوانه الأنبياء ممن انتخبهم الله عز وجل ليكونوا في جملة الشهداء آخر الزمان غرا محجلين ، وقد قال بها صريحة المسيح عليه الصلاة والسلام : ﴿ سأعود قبيل النهاية وسيأتي معي أخنوخ وإيليا ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة ﴾ وفي موضع قال : ﴿ معي أخنوخ وإيليا وآخر ﴾ ، نكر الآخر ولم يصرح باسمه فإما يريد به المصطفى أو موسى صلوات ربي وسلامه عليهما .

ويقول النبي اشعيا ﷺ في بيان مقام المهدي في الشهداء : ﴿ ها أَنَا قَدْ جَعَلْتُهُ شَاهِداً لِلشُّعُوبِ زَعِيماً وَقَائِداً لِلأُمَمِ انْظُرْ ، إِنَّكَ تَدْعُو أُمَماً لاَ تَعْرِفُهَا ، وَتَسْعَى إِلَيْكَ أُمَمٌ لَمْ تَعْرِفْكَ ﴾ .

وفي الزبور أيضا قال فيه : ﴿ معه أمانتي ورحمتي وباسمي قرنهُ يرتفع فأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه ، يدعوني إلهي وصخرةُ خلاصي ، وأنا أجعله بكرا

عليا فوق ملوك الأرض ، إلى الأبد أحفظ له رحمتي ويبقى له عهدي أكيدا .. مثل القمر يكون راسخا إلى الأبد وشاهدا في الغيوم أمينا ﴾ .

فقوله : (أجعل على البحر يده) تنبيه على أعظم بهاء المهدي وأقوى سلطة له من الله عز وجل لا يضاهيها إلا قوة البرق تسلط بيده أيضا على رؤوس الكفرة الأشرار ، وهو باب عظيم لو فتح الحديث عليه لأتتكم العجائب وهذه الإشارة من الزبور تفيد بأن عصا الله عز وجل التي كانت بيد موسى صلى الله عليه وسلم ستكون بيد المهدي لتأديب العصاة الكفرة الأشرار فكما كانت في زمان موسى ستكون في هذا الزمان والجيل الملعون قرن الشيطان ، وقد تواترت النبوءات على بيان ذلك والإشارة إليه وسيأتي في ختام هذا الفصل وقفة مطولة في بيان هذا الأمر إن شاء الله تعالى .

وعند اشعيا النبي ﷺ قال : ﴿ اِجْتَمِعُوا يَا كُلَّ الأُمَمِ مَعًا وَلْتَلْتَئِمِ الْقَبَائِلُ ، مَنْ مِنْهُمْ يُخْبِرُ بِهَذَا وَيُعْلِمُنَا بِالأَوَّلِيَّاتِ ؟ لِيُقَدِّمُوا شُهُودَهُمْ وَيَتَبَرَّرُوا ، أَوْ لِيَسْمَعُوا فَيَقُولُوا : صِدْقٌ .أَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ ﴾ . ويكفي المهدي عليه الصلاة والسلام أن قرن الله عز وجل شهادته مع شهادته سبحانه في ذلك فقال : ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ ، وهذا النص وان كان عاما ويراد به كافة الشهداء فالمهدي حتما داخل في جملتهم لما ذكرت من نصوص عنه وأيضا لعلمه بالكتاب مثلهم ، فكل من آتاه الله عز وجل علما بذاك الكتاب الذي لا ريب فيه فهو من الأشهاد الذي سيرجعون آخر الزمان بعد أن يقع القول على الأشرار ويكون تحقق التأويل ، ليشهدوا بالحق على أولئك الأشرار أنهم كانوا كفرة ومفترين على الله تعالى ورسله ولتصديق نبوة

ورسالة المصطفى ﷺ . وقد تعهد المولى عز وجل برعايتهم في الزبور على ما مر معنا قبل قليل ذكر ذلك : ﴿ مَسَالِكُ الرَّبِّ كُلُّهَا رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِمَنْ يَحْفَظُونَ عَهْدَهُ وَشَهَادَاتِهِ ﴾ .

وتكفي شهادة الله عز وجل في ذلك يومئذ لكنه تعالى يحب يقيم الحجج على الناس : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ ، ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

وبالأنبياء قال في ذلك ميخا عليه الصلاة والسلام : ﴿ اسْمَعُوا يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ ، وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ وَكُلُّ مَنْ فِيهَا ، وَلْيَكُنِ السَّيِّدُ الرَّبُّ مِنْ هَيْكَلِهِ الْمُقَدَّسِ شَاهِداً عَلَيْكُمْ ﴾ .

ويقول النبي صفنيا صلوات ربي وسلامه عليه في ذلك :﴿ انْتَظِرُونِي لأَنِّي عَزَمْتُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَقُومُ فِيهِ كَشَاهِدٍ أَنْ أَجْمَعَ الأُمَمَ وَأَحْشُدَ الْمَمَالِكَ لأَسْكُبَ عَلَيْهِمْ سَخَطِي وَاحْتِدَامَ غَضَبِي ، لأَنَّ الأَرْضَ بِكَامِلِهَا سَتُؤْكَلُ بِنَارِ غَيْرَةِ غَيْظِي ﴾ . من ينتظره !؟

ينتظره الأشهاد فهذا نبي الله تعالى حبقوق يخبر عن رؤيا له قال : ﴿ فَأَجَابَنِي الرَّبُّ وَقَالَ : اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح حتى يُسْرِعُ في قرآءَتها ، فإن الرؤيا للميقات وفي الانقضآء تظهر ولا تكذب ، إن أبطأت فانتظرها فإنها ستأتي إتيانا ولا تتأخر ﴾ .

وسيقيم شهادة رسله مع شهادته لما يقوم شاهدا على الخلق في ذلك الزمان ، وهكذا تم له التدبير ضد أعدائه وهذا هو مكره بهم وهم لا يشعرون ، ولقد اشار له في أكثر من موضع في القرآن .

ويقول النبي ملاخي عليه الصلاة والسلام في ذلك أيضا : ﴿ وَأَقْتَرِبُ مِنْكُمْ لأَكُونَ شَاهِداً سَرِيعاً ضِدَّ السَّحَرَةِ وَالزُّنَاةِ وَالْحَالِفِينَ بِالزُّورِ وَالْمُسْتَغِلّينَ لأُجْرَةِ الْعَامِلِ وَمُضْطَهِدِي الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ وَالَّذِينَ يَظْلِمُونَ الْغُرَبَاءَ وَلاَ يَخَافُونَنِي ﴾ ويعني بالاقتراب هنا أن يظلهم الغمام ويكون عرشه هناك ومسكنه هناك في جبل الرب جبل أحد المقدس ، مثل ما كان يصاحبهم الغمام قبل في بني إسرائيل في زمان موسى صلوات ربي وسلامه عليه ، وكما فعل مع سليمان لما أنجز بناء المسجد وأراد أن يدخل التابوت فيه ، فغشاهم وقتها الغمام وقال سليمان عليه الصلاة والسلام حينها : ﴿ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ ﴾ .

ومثله ما سيكون عليه الحال في المدينة طيبة المقدسة ، صرح بذلك النبي حزقيال عليه الصلاة والسلام فقال عن المولى عز وجل : ﴿ وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد ، ويكون مسكني فوقهم وأكون لهم إلها ويكونون لي شعبا ، فتعلم الأمم أني أنا الرب ﴾ . وهذا لن يكون إلا بغشيان الغمام من فوقهم على ما فهمتم هنا وصرح به النبي سليمان عليه الصلاة والسلام ، وكذلك النبي أيوب عليه الصلاة والسلام القائل : ﴿ يَحْجِبُ وَجْهَ كُرْسِيِّهِ بَاسِطًا عَلَيْهِ سَحَابَهُ ﴾ .

وفي الزبور قال:﴿السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ ، الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ﴾.

ويقول : ﴿ الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ . عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ ﴾ .

ويفهم من هذا أن الكرسي في عرف الأنبياء يطلق ويراد به العرش وليس للملوك عرش وكرسي ، بل الكرسي هو العرش ، فيطلق عليه تارة بهذا الاسم وتارة بالاسم الآخر كما يفيد بذلك نصوص تلك النبوءات ، ولهذا وقع الاختلاف في المسلمين وخاضوا في الفرق في ذلك ، وإن صحت المغايرة بينهما ، فالكرسي آكد أن يكون كناية عن الحكم والقضاء كما في الزبور مقرر هذا المعنى بقوله : ﴿ الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَمَّا الرَّبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ يَجْلِسُ ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ ﴾ .

﴿ يُقِيمُ الْمِسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ يَرْفَعُ الْفَقِيرَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ لِلْجُلُوسِ مَعَ الشُّرَفَاءِ وَيُمَلِّكُهُمْ كُرْسِيَّ الْمَجْدِ ﴾ . " صموئيل "

وفي القرآن قوله عز وجل عنه : ﴿ اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

ويؤكد النبي حزقيال ثانية على هذا المعنى كون هذا التأويل سيكون آخر الزمان ، فيقول الرب عز وجل على لسانه : ﴿ وَأَتَجَلَّى بِقَدَاسَتِي بَيْنَكُمْ عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ الأُمَمِ ﴾ .

ولا تجلي للرحمان عز وجل إلا بما قرر لكم هنا بالغمام ، وهذا سيكون بتمكينه للمهدي يصرح به نبي آخر واسمه عوبديا عليه الصلاة والسلام فيقول : ﴿ جَبَلُ الرب يُصْبِحُ مَلاَذَ النَّجَاةِ ، وَيَكُونُ قُدْساً ... ، وَيُصْبِحُ الْمُلْكُ لِلرَّبِّ ﴾ .

ويأتي في ارميا النبي ﷺ ما دلالته بينة على أن ذلك سيكون في زمان التمكين للمهدي عليه الصلاة والسلام فيقول هناك : ﴿ وَيَكُونُ قَائِدُهُمْ مِنْهُمْ ، وَيَخْرُجُ حَاكِمُهُمْ مِنْ وَسَطِهِمْ فَأَسْتَدْنِيهِ فَيَدْنُو مِنِّي ، إِذْ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنِّي مِنْ نَفْسِهِ ، وَتَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً ﴾ .

فهذه معية خاصة تشبه تقريبه لموسى الكليم لما قال عنه : ﴿ وقربناه نجيا ﴾ .

يقول عنها في الزبور : ﴿ عَظِيمٌ مَجْدُهُ بِفَضْلِ خَلاَصِكَ ، بِالْعِزَّةِ وَالْبَهَاءِ كَلَّلْتَهُ ، لأَنَّكَ جَعَلْتَهُ أَكْثَرَ الْمُبَارَكِينَ إِلَى الأَبَدِ ، تَغْمُرُهُ بِفَيْضِ الْفَرَحِ فِي حَضْرَتِكَ ﴾ .

وقال فيه اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاءً ومجدا ﴾ .

وفي اشعيا النبي عليه الصلاة والسلام فيصرح على لسانه بما يلي : ﴿ السَّمَاءُ عَرْشِي وَالأَرْضُ مَوْطِئ قَدَمَيَّ ﴾ . كناية عن القدرة والإحاطة المطلقة بكل من سواه ، وإلا للعرش الذي استوى عليه اختصاص بذلك أكثر من السماء ، وأكثر من الأرض بحد ذاتها ، لكن هكذا خرج ذلك مخرج البيان عن كامل سلطته على الجميع وأن مقدرته أحاطت بالكل .

وبالزبور يقول : ﴿ اللهم فاحكم عليهم وليسقطوا في مؤامراتهم ولكثرة معاصيهم أقصهم فإنهم قد تمردوا عليك ، وليفرح جميع المعتصمين بك وليرنموا إلى الأبد

وأنت مُظللهم وليبتهج بك الذين يحبون اسمك ﴾ . يريد يظللهم بالغمام ، ولا أصرح من هذا إلا قوله التالي : ﴿ قم يا رب بغضبك وارتفع عند حنق مُضايقي وتنبه لي إنك أمرت بالقضاء ، فلتحط بك جماعةُ الأُمم وَعُدْ فَوقها إلى الأَعالي ﴾ . أي من فوق جبل أحد ، فإن الله تعالى إذا أراد يكلم عبدا من عباده لا يكلمه إلا من فوق جبل ، كما حصل مع إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكما حصل مع كليم الله تعالى موسى صلوات ربي وسلامه عليه ، ومثل ما سيحصل مع المهدي خليفة الله تعالى ورسوله .

وما أجمل ما قاله النبي أشعيا صلوات ربي وسلامه عليه في بيان هذه الحقيقة : ﴿ رُقَبَاؤُكِ قَدْ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ مَعاً وَشَدَوْا بِفَرَحٍ ، لأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ عِيَاناً رُجُوعَ الرَّبِّ ﴾ . أو قوله هنا تمعنوا : ﴿ ينزل رب الجنود للمحاربة على جبله على أكمته ﴾.

فكل الأمر سيرجع للإرث الرباني للمؤمنين والجبل المقدس والنصر والتمكين ، قال اشعيا:﴿ أَمَّا مَنْ يَلُوذُ بِي فَإِنَّهُ يَرِثُ الأَرْضَ وَيَمْلِكُ جَبَلَ قُدْسِي ﴾ . فالقدسية أتت الجبل من حلول الرب عليه والغمام والعرش .

وفي الزبور : ﴿ هناك جزعوا جزعا حيث ليس جزعٌ لأن الله في جيل الصديقين ﴾ ، ﴿ يحيطُ بي إكليل من الصديقين حين تكافئني ﴾ .

وزكريا ﷺ يقول في هذا أيضا : ﴿ وَيُرَى الرَّبُّ فَوْقَهُمْ ، وَسَهْمُهُ يَخْرُجُ كَالْبَرْقِ ، وَالسَّيِّدُ الرَّبُّ يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ وَيَسِيرُ فِي زَوَابِعِ الْجَنُوبِ ، رَبُّ الْجُنُودِ يُحَامِي عَنْهُمْ

فَيَأْكُلُونَ وَيَدُوسُونَ ، وَيَمْتَلِئُونَ كَالْمَنْضَحِ وَكَزَوَايَا الْمَذْبَحِ ، وَيُخَلِّصُهُمُ الرَّبُّ إِلهُهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ كَقَطِيعِ شَعْبَهُ ، بَلْ كَحِجَارَةِ التَّاجِ مَرْفُوعَةً عَلَى أَرْضِهِ ﴾ . رؤية عين ومراده اختصاص الضباب بهم كما اختص ببني اسرائيل بعد خروجهم من مصر طوال أربعين عاما ، وهم لا يرحلون إلا بأمره ولا يستقرون إلا بأمره ، مصاحبا لهم طوال تلك المدة ويعرفون ذلك ويعاينونه بحضور الغمام ، ومثله سيكون في هذه الأمة وإليه الإشارة بقوله عز وجل : ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ ، أي كما صحبني بنو إسرائيل في السابق حتى كان يؤمر من يذهب للخلاء أجلكم الله أن يصحب معه محراث ليدفن فضلات جسمه ، لأنهم في صحبة مقدسة وهم من حول خيمة العهد التي تتجلى فوقها الحضرة القدسية.

واقرأوا ما ألطف ما قاله في الزبور سبحانه على لسان نبيه داود عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَسْقُطُونَ وَيَهْلِكُونَ مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ ، لأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ ، جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَاضِيًا عَادِلاً ، انْتَهَرْتَ الأُمَمَ أَهْلَكْتَ الشِّرِّيرَ ، مَحَوْتَ اسْمَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ اَلْعَدُوُّ تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى الأَبَدِ ، أَمَّا الرَّبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ يَجْلِسُ ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ وَهُوَ يَقْضِي لِلْمَسْكُونَةِ بِالْعَدْلِ ، يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ ، وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَحِقِ ، مَلْجَأً فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ ، وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسْمَكَ ، لأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ ﴾ .

ويقول النبي دانيال عليه الصلاة والسلام في رؤياه : ﴿ كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ ، لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ .

نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ . أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ فَجَلَسَ الدِّينُ وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ ﴾.

فهل ستجدون أصرح من هذا وأصدق وأفصح على ما تقرر هنا ؟ وقد تواترت النبوءات على تأكيد هذا المعنى بإقامة عروش للشهداء آخر الزمان لمحاكمة رؤوس الأشرار من الروم ووثنيوا الصين والهند وقد سبق ونقل ذكر ذلك وسأجمعه هنا . ومن ذلك ما ذكرت قريبا عن داود والمسيح عليهما الصلاة والسلام : ﴿ فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي : إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ .. تَقِفُ أَرْجُلُنَا فِي أَبْوَابِكِ يَا أُورُشَلِيمُ ، أُورُشَلِيمُ الْمَبْنِيَّةُ كَمَدِينَةٍ مُتَّصِلَةٍ كُلِّهَا ، حَيْثُ صَعِدَتِ الأَسْبَاطُ شَهَادَةً ... لأَنَّهُ هُنَاكَ اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ ، لِيَسْتَرِحْ مُحِبُّوكِ لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ ، رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ ﴾ ، وقال المسيح مجيبا تلاميذه عن مصيرهم : ﴿ إنكم لتجلسون يوم الدينونة بجانبي لتشهدوا على أسباط اسرائيل الاثني عشر﴾ .

ويقول النبي ارميا ﷺ : ﴿ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ يُسَمُّونَهَا كُرْسِيَّ الرَّبِّ ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الأُمَمِ ﴾ . وصدقوني لما يقول المصطفى ﷺ : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . متفق عليه

وفي مسلم بلفظ : إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها . انما يريد أن يشير لهذا الأمر الذي اقرره هنا ، رجعة الشهداء للمدينة ليقيم الله تعالى مع شهادته شهاداتهم على جميع الأمم ، ليكسر قرن الشيطان ويعلي قرن الأنبياء والصديق .

ويقول النبي ارميا أيضا : ﴿ لأَنِّي هاأنَذَا دَاعٍ كُلَّ عَشَائِرِ مَمَالِكِ الشِّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ ، فَيَأْتُونَ وَيَضَعُونَ كُلُّ وَاحِدٍ كُرْسِيَّهُ فِي مَدْخَلِ أَبْوَابِهَا ، وَعَلَى كُلِّ أَسْوَارِهَا حَوَالَيْهَا ، وَأُقِيمُ دَعْوَايَ عَلَى كُلِّ شَرِّهِمْ لأَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَبَخَّرُوا لآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لأَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

ويقول النبي اشعيا : ﴿ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا ﴾ . ويطنب فيقول : ﴿ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ لِمُخْتَارِهِ ، الَّذِي أَخَذْتُ بِيَمِينِهِ حَتَّى أُخْضِعَ أَمَامَهُ أُمَماً وَأَكْسِرَ شَوْكَةَ مُلُوكٍ ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ كُوَّاتٍ وَلاَ تُوْصَدُ فِي وَجْهِهِ مَصَارِيعُ . هَا أَنَا أَتَقَدَّمُكَ لأُسَوِّيَ الْجِبَالَ بِالأَرْضِ وَأُحَطِّمَ أَبْوَابَ النُّحَاسِ وَأُكَسِّرَ مَغَالِيقَ الْحَدِيدِ ، وَأَهَبَكَ كُنُوزَ الأَقْبِيَةِ الْمُظْلِمَةِ وَذَخَائِرَ الْمَخَابِئِ ، لِتَعْرِفَ أَنِّي أَنَا هُوَ الرَّبُّ الَّذِي دَعَاكَ بِاسْمِكَ ، لَقَّبْتُكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِفَنِي .

أَنَا هُوَ الرَّبُّ وَلاَ إِلَهَ غَيْرِي . لَيْسَ هُنَاكَ آخَرُ ، شَدَّدْتُكَ مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْنِي . حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنِّي أَنَا هُوَ الرَّبُّ وَلَيْسَ هُنَاكَ آخَرُ. اقطري أيتها السماوات من فوقُ ولتمطر الغيومُ الصديق ، لتنفتح الأرضُ وليُثمر الخلاصُ ولينبت البِرُّ ، أنا الرب خلقته ... هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ القُدُّوسُ : أَتَسْأَلُونَنِي فِي سِيَاقِ الأَحْدَاثِ الآتِيَةِ عَنْهم ، أَمْ تُوصُونَنِي بِعَمَلِ يَدِي ؟ لَقَدْ صَنَعْتُ الأَرْضَ وَخَلَقْتُ الإِنْسَانَ عَلَيْهَا ، وَيَدَايَ هُمَا اللَّتَانِ بَسَطَتَا السَّمَاوَاتِ ، وَأَنَا أَمَرْتُ كَوَاكِبَهَا.
أَنَا أَقَمْتُ مُخْتَارِي لِيُجْرِيَ الْعَدْلَ ، وَأَنَا أُمَهِّدُ طُرُقَهُ كُلَّهَا ، فَيَبْنِي مَدِينَتِي وَيُطْلِقُ سَرَاحَ أَسْرَايَ ، لاَ بِثَمَنٍ وَلاَ لِقَاءَ مُكَافَأَةٍ ، يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ.

يَقُولُ الرَّبُّ : يَأْتِي إِلَيْكُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَالْكُوشِيُّونَ وَالسَّبَئِيُّونَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَهُ مِنْ ثَرْوَاتٍ ، وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَقْدَامِكُمْ ، وَيَصِيرُونَ رَعَايَاكُمْ ، يَمْشُونَ خَلْفَكُمْ مُصَفَّدِينَ بِالأَغْلاَلِ ،

وَيَخُرُّونَ سَاجِدِينَ أَمَامَكُمْ قَائِلِينَ : حَقّاً إِنَّ الرَّبَّ مَعَكُمْ ولاَ إِلَهَ سِوَى إِلَهِكُمْ . هُوَ وَحْدَهُ الإِلَهُ لاَ غَيْرَهُ ﴾ .

ويقول صلوات ربي وسلامه عليه في ذكر هذا المجد : ﴿ يُعَمِّرُ الْغُرَبَاءُ أَسْوَارَكِ ، وَيَخْدُمُكِ مُلُوكُهُمْ ... لِيَحْمِلَ إِلَيْكِ النَّاسُ ثَرْوَةَ الأُمَمِ ، وَفِي مَوْكِبٍ يُسَاقُ إِلَيْكِ مُلُوكُهُمْ ، لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْضَعُ لَكِ تَهْلِكُ ، وَهَذِهِ الشُّعُوبُ تَتَعَرَّضُ لِلْخَرَابِ السَّاحِقِ ﴾ .

وفي الزبور : ﴿ لِيَبْتَهِجِ الأَتْقِيَاءُ بِهَذَا الْمَجْدِ لِيَهْتِفُوا فَرَحاً فِي أَسِرَّتِهِمْ لِيَهْتِفُوا مُسَبِّحِينَ الرَّبَّ مِلْءَ أَفْوَاهِهِمْ وَلْيَتَقَلَّدُوا بِسَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ فِي أَيْدِيهِمْ ، لِتَنْفِيذِ الانْتِقَامِ فِي الأُمَمِ ، وَمُعَاقَبَةِ الشُّعُوبِ .

لِيُقَيِّدُوا مُلُوكَهُمْ بِالسَّلاَسِلِ وَشُرَفَاءَهُمْ بِأَغْلاَلٍ مِنْ حَدِيدٍ لِيَتِمَّ فِيهِمْ حُكْمُ اللهِ الْمَكْتُوبُ ، فَيَكُونَ هَذَا تَكْرِيماً لِجَمِيعِ قِدِّيسِيهِ ﴾ . وكما قلت مرارا اذا تطابق كتاب الله تعالى القرآن مع كتاب الله عز وجل الزبور على معنى فإلى ذلك المنتهى ، فكيف وتواتر نبوءات على ذلك محقق كما ترون .

قال عز وجل بكتابه القرآن المجيد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ . إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ . وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ . وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ

يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ ﴾.

قدم على مجيئهم إليه بالذكر محشورون يوزعون خروج الدابة ونص على أن ذلك لوقوع القول عليهم ، واعقب بذكر مجيئهم إليه للتوبيخ والدعوى عليهم بتكذيب آياته وعدم احاطتهم علما بذلك ، أن كل ذلك لم يكن إلا لوقوع القول عليهم ، ليعرف أن كل ذلك وهم بالدنيا على ما تقرر هنا ولله الحمد على هداه ونعمته العظيمة ، ولو عاندنا وكابرنا لكنا مع هؤلاء المثبورين الذي جحدوا آياته عز وجل ولم يحيطوا بها علما ، ولكنا وإياهم كبلقيس حين نكر سليمان عليه الصلاة والسلام عليها عرشها حتى يرى تعرفه أو لا ، فيعرف بذلك إن كانت من المهتدين ، وهؤلاء الكفرة الملاعين بعد كل بياني ونشر هدى الله تعالى لي بينهم لا زالوا لا يهتدون والعرش هنا عرشه لا عرش بلقيس وبه كل تلك النصوص عن الأنبياء ، والله يضرب بما يشاء الأمثال لعلهم يهتدون : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ، فويل للمكذبين الكارهين قضائه وحكمه تبارك وتعالى وما كتب وقدر آخر الزمان من خواتيم .

وتيقنوا بأن كل من يكذب أمر الله تعالى هذا ويجحد آياته فهو من الكفرة بما أنزل على النبي مُحَمَّد صلوات ربي وسلامه عليه وبما أنزل من قبله ، كارهون ما قدر وقضى الله العزيز الحكيم ، فتبارك الله الغني عن العالمين له الحكم والأمر وهو أرحم الراحمين.

وانظروا للتأكيد الآخر على أن تأويل هذا وهم بالدنيا قوله عز وجل : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ ، لأنه بخروج الدابة عليهم ذلك لا يكون إلا بأن يحق عليهم القول وإذا حق وقع ، ووصف هنا من حق القول أنهم لا يؤمنون وأن مصيرهم للأغلال في أعناقهم ليقادوا لمدينة المصطفى ﷺ للمحاكمة والفضح ، فهل أنتم موقنون ؟

وللتأكيد على ذلك قال : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ، وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ، يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ، إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ . والزلازل من أظهر امارات بعث المهدي وهو رسول خلاص كما موسى عليهما الصلاة والسلام لذا ورد ذكر هذا بعد هذا مثل ما فعل في سورة الدخان تماما لعل العمي يبصرون والضلال يهتدون ، لكن هيهات اغلق عليهم وسلك في قلوبهم فلا يهتدون ويؤمنون ويبصرون ، كما وعد عز وجل .

ومن اسباب اقتران ذكر هؤلاء غالبا بفرعون وقومه ، غير اختصاص فرعون وقومه ببعث الخلاص الأول على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ، كما اختصاص هؤلاء ببعث المهدي خليفة الله تعالى ورسوله ومهديه بالخلاص الثاني ، تطابق حال فرعون ونواياه مع حال هؤلاء الكفرة الملاعين ونواياهم مثل ما تطابق الحال ما بين الخلاص الأول والخلاص الثاني لكن على مقارنة حال فرعون باستكشاف اسباب السماوات مع حال هؤلاء باستكشافهم الحالي وبلوغهم ما بلغوا من مدا بعيدا جدا ومن المضحك جدا مقارنة مقدرة فرعون وجيشه مع مقدرة هؤلاء على الاستكشاف : ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ، جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ، كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ، وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْلَةِ أُوْلَئِكَ الْأَحْزَابُ ، إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ، وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ، وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ . لكن والحق يقال فرعون كان أصدق منهم عن نيته لقوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً ﴾ ، أما هؤلاء فيخفون النوايا الحقيقية من وراء كل اطلاعهم ، لكنهم بالمقابل يصدرون بأفلامهم السينمائية عن صراع الجبابرة في السماء وتعدد الآلهة ، بل نزول بعضهم للأرض لتقاتل!! ، ومنهم من يموت ويمكن قتله !!

والعامل المشترك بينهم وبين فرعون في ذلك تزيين الأعمال كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ وعن هؤلاء : ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ ، اتفقت حالهم أن زينت لهم تلك الأعمال ، وأنها كانت كيدٌ محض منهم .

ومن اسباب اقتران ذكر هؤلاء غالبا بفرعون وقومه أيضا : أن قوم فرعون من بعد يوسف عليه الصلاة والسلام قطعوا بأن لا يبعث الله تعالى من بعده رسولا ، وهؤلاء الملاعين الكفرة الآن يقطعون بذلك من بعد مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وكأن الله عز وجل سيتركهم هملا لا حسيب ولا رقيب ، وقد فاجأهم المولى عز وجل بإرساله لمهديه وخليفته كما تفاجأ الفرعون بإرسال موسى ﷺ وضاق به مثل ما ضاق هؤلاء بإرسال المهدي ، فقال عز وجل عن

ذلك في سورة غافر تعريضا للمعاصرين بقصص الأولين نظرائهم : ﴿ وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ . وهؤلاء اليوم كحال قوم فرعون ينكرون أن يرسل الله عز وجل رسولا بعد مُحَمَّد ﷺ لكن الله تعالى سيبطل كيدهم ببعث الأشهاد كلهم لا المهدي فقط ، فسبحان الله وهذا تدبيره ما أعظمه ومكره بالظالمين ما أقواه ، ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ، بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ .

وانظروا لسياق الآيات تلك وما تضمنت من تعريض آخر لهم بعد ذكر هبال فرعون ومدى سخف كيده : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ، تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ، فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ . إنها القصص للعبرة : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ، وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ، يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ ، ﴿ أَنَّى لَهُمُ

الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ، ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ ، ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ، بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ، يريد بعث الأشهاد ، ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ . إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، ﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ .

وبحال كان تطابق حال فرعون وقومه مع حال الأشرار آخر الزمان لهذه الدرجة من التقارب ، شابه الله عز وجل ما بينهم حتى بالمصير والعاقبة ، فمنع أولئك من الإيمان مثل ما منع هؤلاء آخر الأشرار وأشرهم على الإطلاق من الإيمان كذلك حتى يهلكوا وينتهوا من وجه الأرض فقال في حال قوم فرعون على لسان نبيه موسى ﷺ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ ، وقال في نظرائهم : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ، أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ، أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ .

ونعود لذكر الأغلال فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ليغزون الهند لكم جيش يفتح الله عليهم حتى ياتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل " .

وعنه قال : " يكون عليكم خليفة يؤتى بملوك الروم مصفدين في الحديد " . " أخرجه الداني "

ومما حدث كعب الأحبار : ما أعلم جيشا أعظم أجرا من جيش يأتون الصين فيجيئون بملوك الصين وملوك العقبة في السلاسل ، فإذا جاؤوهم وجدوا ابن مريم قد نزل الشام . " رواه الطبراني في مسند الشاميين "

فمن بقي ؟ وهم رؤوس العالم اليوم وقرونه الملعونة ، لقد أزف الأمر ورب الكعبة ولترونهم كذلك وربي صدق الله تعالى ورسله ، وكذب العميان والصم البكم .

قال النبي اشعيا ﷺ : ﴿ فيغربل الأمم بغربال البوار ويكون لجام اختلال في لحى الشعوب ، وسيكون لكم نشيد كما في ليلة تقديس العيد وفرح قلب كمن يسير على صوت المزمار آتيا إلى جبل الرب ، وسيسمع الرب جلال صوته ﴾ ، ويقول : ﴿ رنمي وافرحي فهآنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب ، فيتصل أمم كثيرون بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبا فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود أرسلني إليك ، ليسكت كل ذي جسد أمام وجه الرب فإنه قد استيقظ من مسكن قُدسِهِ ﴾ . *

وأقول أيضا : لمن يضعف عقله عن تصديق عودة أتباع المسيح أيضا مع الشهداء حتى الأسخريوطي الخائن فهو مع من توضأ من التلاميذ السابقين ، ورجعته لإتمام براءة نبيه عليه الصلاة والسلام من تلك القتلة الشنيعة العار ،

* يراجع هذا الفصل من كتابي في التفسير تحت عنوان : (اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) .

وحتى يدرك الناس أنه حقا هو من صلب بدلا من المسيح عليه الصلاة والسلام .

أقول لمن يضعف عقله عن إدراك هذا ليقرأ بتمعن في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ، إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ، فبعده عليه الصلاة والسلام لم يظهـــروا بل اضطهدوا وقتلوا وشردوا ، لكن وعده رغم ذلك حق فسيكون ظهورهم يوم يقوم الأشهاد والمقصود آخر الزمان حين تنصب لهم الكراسي أمام كرسي الرب عز وجل ليحاكم الكفار وتثبت لعنة الأشرار بالدنيا قبل الآخرة على ما وعد الله عز وجل القوي الجبار .

وقلت في ردي على المنافق سلمان العودة : فتعين أن مصداق خبر هذه الآية ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ﴾ – لا يكون إلا آخر الزمان عند عودتهم مع عيسى عليه السلام لتحقيق الشهادة ، وهو اختيار القرطبي ذكر ذلك في التذكرة في باب ما جاء أن عيسى إذا نزل يجد في أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم خلقا من حواريه . وذكر فيه حديث عبدالرحمن بن سمرة الطويل وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمتي خلقا من حواريه) اهـ .

وفي كتابي (خطأ أهل السنة في فهم حتمية وجود وظهور الطائفة المنصورة الدائم بالأسنة) قلت هناك : روى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال حدثنا الفضل بن مُحَمَّد الواسطي قال : حدثنا إبراهيم بن الوليد قال : حدثني أبي قال : حدثنا عبدالملك بن عقبة الأفريقي عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن عبدالرحمن بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال : مثل أمتي

مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتب رواكبها وهيأ مساكبها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا ، ثم عاما فوجا ، فلعل آخرها عاما طعما ، يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا ، والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاً من حواريه . " أخرجه القرطبي في التذكرة ص 718 "

قلت : تابع شيخ الترمذي على هذا الحديث أحمد بن عمر بن موسى بن زنجويه ، شيخ أبو الفرج الأصفهاني رواه عنه في كتابه مقاتل الطالبيين .

وهذا يشهد لما قدمت ولا شك وصريح فيه ، وكونه مرفوعا إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام يقوي القلب على هذا المعنى الصحيح في تفسير تلك الآيات ، ولو لم يكن إسناده بالقوي يبقى خير من قول الرأي بالقرآن والتخرص اهـ .

بل أقول أزيد من اكتتاب تلاميذ المسيح للشهادة ، أن بعض الأنبياء اكتتبوا لهذه الشهادة أيضا وهم أرواح بعد لم يخلقوا أجسادا فاقرأوا قوله عز وجل بخصوص ذلك : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، فكيف يؤمنون به وينصرونه لو ما المعني بذلك رجعتهم لينصروه ويشهدوا له بالحق ، فمن هناك كتبت شهادتهم واشهدوا خالقهم على ذلك تبارك وتعالى ، وكفى بالله شهيدا .

ولما بعثوا بأقوامهم وكان من اختارهم منهم للشهادة عز وجل أن نزعوا من أقوامهم كما نزع المسيح وإيليا وإدريس وغيرهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين لأجل تحقيق هذه الغاية ، وهؤلاء من عناهم الرب عز وجل بقوله : ﴿

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ . لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

وبقوله : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ .

وإن كان هذا في كتاب الله عز وجل في نزع الشهداء فتعالوا نرى ما يوافقه مما قاله الأنبياء في هذا الخصوص .

ولما كان النبي دانيال عليه الصلاة والسلام ممن كتب للإشهاد كان قال له ملاك الله تعالى جبريل عليه السلام ما يلي : ﴿ وأنت اذهب إلى الانقضاء وستستريح وتقوم في قُرعتك إلى انقضاء الأيام ﴾ .

ومثله كتب على إيليا على ما قال المسيح فيه وفي ادريس عليهما الصلاة والسلام ، لكن المهم هنا نقل ما قاله الكاتب لتأريخ ذلك النبي ، قال التالي : وقد اكتبه الرب لأقضية تجري في أوقاتها اهـ .

وهذا يدل على أنهم كانوا يدركون هذه الحقيقة جيدا وهي مما كتموا عن الناس ، أو حرفوا ، وخرج من ذلك ما خرج بإلزامهم تسليم كتاب العهد القديم كما

يسمونه ، وإلا طول ما كان مكتوما بينهم لم يمكن أحد من خارجهم أن يعلم بذلك .

والأهم هنا نقل ما قاله عز وجل بكتابه في هذا الأمر العظيم الجلل مع ما نقل عن الأنبياء حتى يتيقن القارئ مدى التواتر والاتفاق على هذا الأصل العظيم : ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ . إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ . وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ .

يقضي بهذا القضاء وهذا الحكم لأنه إله حق لا إله باطل لا يقدر على أن يبدي ويعيد وأن يقضي بشيء ويحكم فيميز نفسه تعالى بذلك عن آلهة الباطل التي تعبد من دونه ويشرك بها .

وتمعنوا هنا لما كان معنى القضاء أن يكون بما قرر لكم شرحه وبيانه هنا أنه نص مع ذلك على ذكر إخراجه للدابة حتى يفهم أن الأمر مما يتعلق بأحداث آخر الزمان وهم بالدنيا لا بعد خروجهم منها كما بينت ذلك قبل بوقفة احتجاجية مع تلك الآيات .

ومما يميزه هنا أيضا في أمره ببعث الشهداء عن آلهة الباطل التي لا تبدي ولا تعيد ولا تقضي بحكم ولا تخبر بغيب ولا تحيي الموتى وتقدر على بعثهم ، فكان بأمر الشهداء وتدبيره لرجعتهم اثبات هذه المقدرة على بعث الموتى أو

من اعتقد أنهم من الموتى ، فكان أمر الشهداء لإثبات هذه الغاية والحكمة العظيمة وهي مقدرته على بعث الموتى ، في جملة حكم وغايات ربانية قدرها تعالى بأمرهم ليعلم أنه الحق وأنه يحيي الموتى وأن ما كان عليه أعدائه الباطل والكذب من إشراك آلهة تعبد من دونه لا تستطيع تحيي مثله الموتى ولا أن تعيد مثل ما أنها لا تستطيع تبدأ أي شيء بالخلق ، فقال في ذلك جل وعلا : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ، لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ ، إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . وانتبهوا هنا لما كان المقام مقام الشهداء كان الأمر لا زال للتبيين والإعلام ، أما المقام بعد بعث الكافة من القبور للحساب ، فذاك أمر آخر مختلف بالكلية ، فالمقام هناك مقام حساب وعذاب لا تبيين وإعلام ، وهنا يفهم الفرق من دلالة معنى الخطاب الرباني بالآيات السابقة أن المقام ليس كما فهم الكثير بأن البعث هنا البعث العام بل الخاص بأولئك الشهداء * لذلك اقتضى كما قلت التبيين ورفع الاختلاف بالإعلام عن حقيقة من خالفوا أنهم كانوا يكذبون على الله عز وجل ورسله لهذا نزع الله عز وجل أولئك الشهداء من أممهم لتحقيق هذه الحكمة ، فقال عز وجل : ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ، بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ، لا شعور لهم متى يبعث أولئك الأشهاد ، لأنه لا علم لهم بأمر الآخرة وأمر أولئك الأشهاد من أمر الآخرة فحتما لن يعلموا عن شأنهم شيئا ، بل هم بالمحصلة

* ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . فهو مقام علي شريف وعدوا فيه بأن يكونوا من الشهداء أمرهم بانتظاره ليقيموا تلك الشهادة العظيمة كما قال على لسان نبيه صفنيا عليه الصلاة والسلام : انتظروني لأني عزمت في اليوم الذي أقوم فيه كشاهد أن أجمع الأمم وأحشد الممالك لأسكب عليهم سخطي واحتدام غضبي .

النهائية في شك من ذلك لأنهم عموا عنها وكيف يكون لهم علما بذلك كما لله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون.

ويقول عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ تمعنوا كيف رجعنا لذكر الغمام مع القضاء ورجوع الأمور إليه عز وجل ، ﴿ وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ .

وغير هذا كثير في معناه ولقد مر معنا في مقدمة الكتاب بيان ارتباط حلول الرب بالمدينة وبعثه للشهداء بقضاء الرب عز وجل آخر الزمان .

أقول وبعد الرجوع لتقرير الكلام في باب صفات الباري عز وجل وحقيقة ثبوت وجوده الذاتي ما بين الاحتجاب والتجلي : أن المهم هنا اقرار المسيح صلوات ربي وسلامه عليه لما قالوا بنفي إدراك الحواس البشرية لحقيقة وجود المتعال سبحانه وأن ذلك معنى كونه إله محتجب عز وجل ، أي محتجب عن إدراك كل حاسة بشرية وأخصها بالطبع العين محل النظر ، فقال صلوات ربي وسلامه في اقراره بذلك ما يلي : ﴿ إن هذا لهو الحق لذلك سنعرف الله متى صرنا في الجنة كما يعرف هنا البحر من قطرة ماء مالح ﴾ .

بل ماذا أقول أكثر : ذلك مما كتبه الله تعالى بيده ضمن ما كتب بلوحي العهد التي سلمهما ليد موسى الكليم صلوات ربي وسلامه عليه ، فقد صرح بذلك المسيح ابن مريم صلى الله عليهما وسلم فقال يخاطب بذلك رئيس كهنة اليهود على مرأى ومسمع من جمهور غفير في بيت المقدس : ﴿ كتب في عهد الله الحي وميثاقه أن ليس لإلهنا بداية ولا يكون له نهاية .. ومكتوب هناك أن الله لا يُرى وأنه محجوب عن عقل الإنسان لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير . ومكتوب هناك : أن سماء السماوات لا تسعه لأن إلهنا غير محدود .. وأن إلهنا في كل مكان ﴾ .

ثم رفع يديه صلوات ربي وسلامه عليه فقال : ﴿ أيها الرب إلهنا هذا هو إيماني الذي آتي به إلى دينونتك شاهدا على كل من يؤمن بخلاف ذلك ﴾ . ثم التفت إلى بني إسرائيل وقال : ﴿ توبوا لأنكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن أنه مكتوب في سفر موسى عهد الله إلى الأبد ﴾ .

أقول : هذا عهد الله عز وجل للأبد ، لا يغيره هذيان فلاسفة ولا مقلدتهم أهل الكلام ، ولا من خاض معهم من دراويش يحسبون بلغ بهم العقل والقلب والعلم المنتهى في اثبات الصفات لله عز وجل على الوجه الحق الذي يرتضيه وقدره ، لقد ضلوا جميعا وزاغوا عن حق العهد وميثاق الله تعالى العظيم الذي خطه بيده وسلمه لموسى منقوشا على لوحي العهد ، وهم يحسبون أنهم قدروا الله تعالى حق قدره .

فهل آن للناس الإيمان بذلك الحق وتيقنه ؟

هل آن لمن له عقل أن يدرك معنى كتابة ذلك في لوحي العهد بيد الله تعالى وسلمه ليد موسى الكليم صلوات ربي وسلامه عليه ؟

هل آن لهم أن يدركوا معنى ما نص عليه الأنبياء والرب جل وعلا عن نفسه ، فيعرفوا الجمع ما بين النفي والإثبات في رؤية الباري عز وجل ؟
وكيف اليقين بمعرفة جواز ذلك بالدنيا والآخرة يوم الحساب وفي الجنة ، وعدم جواز ذلك على الإطلاق على ما أفاد ذلك الكثير من النصوص عنهم ؟

واقرأوا ما يقرر المسيح ﷺ في خصوص ما كتب الله تعالى لموسى وأنزل عليه : ﴿ كل ما ينطبق على كتاب موسى فهو حق فاقبلوه لأنه لما كان الله واحدا كان الحق واحدا ، فينتج من ذلك أن التعليم واحد وأن معنى التعليم واحد فالإيمان إذا واحد

الحق أقول لكم أنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثاني .

ولو لم يفسد كتاب داود لم يعهد الله بإنجيله إلي ، لأن الرب إلهنا غير متغير ولقد نطق رسالة واحدة لكل البشر ، فمتى جاء رسول الله يجيء ليطهر كل ما أفسد الفجار من كتابي ﴾ . وأنا أقول : لو لم يفسدوا ما قاله تعالى عن نفسه وما قاله رسوله المصطفى ﷺ عن ذات الله عز وجل وحقيقة وجوده العظيم ، لما أرسل المهدي وفتح عليه من خزائن العلم ومخفيات النبوءات ، ألا ترون كيف ينص عليه بتطهير كل ما أفسد الفجار من كتابه ؟

إنما تم ذلك بما أعلن في هذه الدعوة المباركة حتى رفع ذاك الإنجيل كاملا للناس كافة من أصله ، فتم بذلك تطهير كل ما أفسد الكفار من كتابه كما أخبر ، والكتاب الحق واحد فرد وما يزعمون هي كتب كثيرة نسبت له كذبا وزورا ، فرد عليا بفضل الله تعالى بذلك الرفع المبارك بكتاب واحد فرد وهو الحق المنزل على قلب يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام ، لأن الحق واحد لا يتعدد كما قال هو . وأقول أيضا : الله تبارك وتعالى حكمُ العباد لديه في ذلك سواء كونهم في المنام أو اليقظة ، فمثل ما يمكن لعبد من عباده مشاهدته ومحادثته أثناء منامه ، فهو كذلك قادر على أن يري نفسه تعالى من يشاء من عباده وهم في يقظة أو نيام ، بل يري الكثير نفسه تعالى إن شاء وهم جموع وهو فرد ، على ما قاله الصحابي رضي الله تعالى عنه العقيلي الأعرابي وكان به عقل وكان يحب المصطفى ﷺ أن يسأله ذاك الصحابي ، فقال : كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ ، قال : " أنبئك بمثل هذا في آلاء الله : الشمس والقمر آيةٌ منه صغيره تروهما ويريانكم ساعة واحدة ولا تضارون في رؤيتهما ، ولعمر إلهك لهو أقدرُ على أن يراكم وترونه من أن تروا نورهما ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما " (من حديث العقيلي أبي رزين المطول لفظه على ما ساقه ابن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى في زوائده على المسند)

وذلك عين ما استدل به المسيح صلوات ربي وسلامه عليه لإثبات رؤية الباري عز وجل يوم القيامة ، لكن قبل ما أنقل نص كلامه في ذلك سأنقل كيف اعتقاده عليه الصلاة والسلام في جواز رؤية الله عز وجل ومشاهدته بالدنيا كما شاهده أبونا آدم صلوات ربي وسلامه عليه [8] وموسى الكليم صلى

[8] قال المسيح عليه الصلاة والسلام : ﴿ فلما مالت الظهيرة إذا بالله قد ظهر لهما ونادى آدم قائلا : (آدم أين أنت) ؟ . بالنسخة المطبوعة هذا الإستفهام وهذا خطأ الأولى طرحها . . فأجاب : (يا رب تخبأت من حضرتك لأني وامرأتي عريانان فلذلك نستحي أن نتقدم أمامك) .==

الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ لو لم يدعني الناس إلها لكنت عاينت هنا الله كما يعاين في الجنة ﴾ [9] .

== فقال الله : (ومن اغتصب منكما براءتكما إلا أن تكونا أكلتما الثمر فصرتما بسببه نجسين ، ولا يمكنكما أن تمكثا بعد في الجنة) .

أجاب آدم : (يا رب إن الزوجة التي أعطيتني طلبت مني أن آكل فأكلت منه) .

حينئذ قال الله للمرأة : (لماذا أعطيت طعاما كهذا لزوجك) .

أجابت حواء : (إن الشيطان خدعني فأكلت) .

قال الله : (كيف دخل ذلك الرجيم إلى هنا) .

أجابت حواء : (إن الحية التي تقف على الباب الشمالي من الجنة أحضرته إلى جانبي) .

فقال الله لآدم : (لتكن الأرض ملعونة بعملك لأنك أصغيت لصوت امرأتك وأكلت الثمر ، لتنبت لك حسكا وشوكا ، ولتأكل الخبز بعرق وجهك ، واذكر أنك تراب وإلى التراب تعود) .

وكلم حواء قائلا : (وأنت التي أصغيت للشيطان ، وأعطيت زوجك الطعام تلبثين تحت تسلط الرجل الذي يعاملك كأمة ، وتحملين الأولاد بالألم . ولما دعا الحية دعا الملاك ميخائيل الذي يحمل سيف الله وقال : (اطرد أولا من الجنة هذه الحية الخبيثة ، ومتى صارت خارجا فاقطع قوائمها ، فإذا أرادت أن تمشي يجب أن تزحف) .

ثم نادى الله بعد ذلك الشيطان فأتى ضاحكا فقال له :

(لأنك أيها الرجيم خدعت هذين وصيرتهما نجسين أريد أن تدخل في فمك كل نجاسة فيهما وفي كل أولادهما متى تابوا عنها وعبدوني حقا فخرجت منهم فتصير مكتظا بالنجاسة) .

فجأر الشيطان حينئذ جأرا مخوفا وقال : (لما كنت تريد أن تصيرني أردء مما أنا عليه فإني سأجعل نفسي كما أقدر أن أكون) .

حينئذ قال الله : (انصرف أيها اللعين من حضرتي) ، فانصرف الشيطان .

ثم قال الله لآدم وحواء اللذين كانا ينتحبان : (أخرجا من الجنة ، وجاهدا أبدانكما ولا يضعف رجاؤكما ، لأني أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري ، لأني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء ، فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس ﴾ .

وروى الطبراني عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ، أرأيت آدم ، أنبيٌّ كان ؟ قال : " نعم ، كان نبياً رسولا ، كلمه اللهُ قُبُلا ، قال له : ﴿ يا آدم اسكُن انت وزوجكَ الجنةَ ﴾ . (من موضوع : من أعجب وأعظم موافقات المصطفى لما ورد بإنجيل المسيح . نشر بموقع المهدي)

[9] انتبهوا هنا جيدا لإثباته معاينة الله عز وجل بالدنيا مثل ما يعاين بالجنة ، مع قوله في موضع آخر من الإنجيل التالي : ﴿إذا كان إلهنا لم يرد أن يظهر نفسه لموسى عبده ولا لإيليا الذي أحبه كثيرا ولا لنبي ما ، أتظنون أن الله يظهر نفسه لهذا الجيل الفاقد الإيمان .. ، فكيف أذا يكون الله شبيها بالإنسان ؟! ، ويل للذين يدعون الشيطان يخدعهم ﴾ . قال هذا ردا على الجهالة التي قالها تلميذه بطرس لما ثارت الفتنة أول ما ثارت بدعوى أنه ابن إله ، فسأل ماذا يقول الناس عني ؟

كما يعاين في الجنة ، يريد رؤية ومشاهدة لا تنافي ما قرر في عهد وميثاق الله تعالى المنزل على موسى بلوحي العهد ، إنما هي رؤية خاصة على ما قرر لكم في هذا الفصل ولا مزيد رؤية مُدرَكة للحواس البشرية لا غير مدركة بأي حال ، وهو القائل صلوات ربي عليه : ﴿ سنعرف الله متى صرنا في الجنة كما يعرف هنا البحر من قطرة ماء مالح ﴾ اهـ .

واعتقد أنك أيها القارئ كلامي هنا قد عرفت بأكثر من قطرة ماء ، فحين يقرر النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام أنه تعالى محتجب عن الحواس البشرية ، فإنه يريد حقيقة وجود الله عز وجل التي لا يمكن تدرك لا بصرا ولا بصيرة ، وحين يقـول مثل النبي أيوب عليه الصلاة والسلام : ﴿ أعلم أن إلهي حي وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلصي ﴾ . فإن هذا يكون معناه الرؤية الممكنة للحاسة البشرية ، مثل ما يراه بمنامه يراه في يقظته إذا شاء

فأجابوا عم يقوله الناس وكان جواب بطرس لما سأل : وما قولكم أنتم في ؟ : أنك المسيح بن الله فغضب وطرده وقال : اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء إلي .

ثم قال ما نقلت قبل في نفي امكانية معاينة الإله الحق ، وهذا كما أنه يكشف ضلال عباد الصليب لإثباتهم نقيض ما قاله ويعتقده المسيح عليه الصلاة والسلام في حكم معاينة الإله التي لا يمكن للبشر تحصيلها لأنه إله محتجب ودعواهم أنه إله باطلة من حيث هذا الأصل ، لكن قد يفهم التناقض في كلامه عليه الصلاة والسلام ولا بد من تجلية وجه المسألة هنا ونفي التناقض عن كلامه صلوات ربي وسلامه عليه ، ذلك على وفق هذا الأصل من أصول الدعوة المهدية الذي اقرر الكلام فيه هنا واحققه : لأنه عليه الصلاة والسلام بنفي تحقق مشاهدة الإله انما يعني ما قاله النبي اشعيا صلى الله عليه وسلم نفي معاينة ذاته كما هي من غير حجاب فهذا ما يعنيه بذلك النفي وكل ما اثبته من امكانية معاينة الإله الحق سواء في الدنيا أو الجنة فهو يريد اثبات معاينته من حيث المثال وهو من الحجب التي لا يمكن للبشر معاينته إلا من خلالها وبغير ذلك كل من يزعم إماكانية معاينة ذات الله عز وجل فهو كاذب وعلى وفقه كان احتجاج المسيح هنا بالنفي ، إلا اثباته المعاينة كما في النص بالمتن محل تعليقي هذا ، أو اثباته معاينة آدم عليه الصلاة والسلام لله عز وجل ومراده من خلال مثاله ، وهذا أصل متين من أصول دعوتنا المباركة اليوم ولله الحمد والفضل والمنة .

المولى عز وجل بالطريقة التي يقدرها ، ولا نقول هنا كما قال الصوفي التائه أبو سعيد الخراز لما سألوه : بم عرفت الله ؟ ، قال : بالجمع بين النقيضين اهـ .

ولا تناقض فيما بين اختلاف حقيقة وجود الله تعالى الإله الحق عن سائر ما عبد من دونه من آلهة الشرك ، فلا يكون معبود من دونه بالباطل إلا وهو مكشوف معين كما قال المسيح ﷺ : ﴿ إن العيون الجسدية لا تبصر إلا الكثيف والخارجي ، فلا تقدرون من ثم إلا على رؤية آلهتكم الخشبية والفضية والذهبية التي لا تقدر أن تفعل شيئا ، أما نحن فلنا عيون روحية هي خوف إلهنا ودينه ، ولذلك لا يمكن لنا رؤية إلهنا في كل مكان ﴾ .

نرى هنا أن النبي جعل من خصائص الإله الحق دون آلهة الباطل أنه غير منظـور بحقيقة وجوده كما آلهة الباطل التي لا يمكن إلا أن تكون منظورة لمن يعبدها ولوما ذلك لبطل اختيارها آلهة معبودة لأن المعبــود بحق هو الذي يجيز عبادته الخلق من غير أن يروه ، وهذه خاصية له انفرد بها من دون غيره من آلهة الباطل في الخلق ، لهذا عباد الشرك يعظمون المشاهد وتلك الابهات الزائفة الزائلة ، أما الإله الحق فمن عدله أن يجازي من عبده بحق ولو لم يشاهده بالدنيا بان يشاهده بالآخرة بحسب ما يمكنه جسده البشري ، لأن الأصل بالمكافئة للبشر على ما عملوا من الحق والعدل أن يشمل ذلك تنعم أجسادهم ، وفي ذلك أقصى ما يمكنهم من التنعم بمشاهدة وجه الله تعالى في الجنة ، وعليه يجيب المسيح أحد تلاميذه بما يؤكد على تشبيه النبي المصطفى ﷺ لرؤية الله تعالى بالجنة كما ترى اليوم الشمس فيقول ردا على سؤالهم التالي : يا معلم أللجنة نور من الشمس كما لهذا العالم ؟ ، فيجيب صلوات ربي وسلامه عليه : ﴿ هكذا قال لي الله يا برنابا : إن العالم الذي تسكنون فيه أيها البشر الخطأة الشمس والقمــر والنجوم

التي تزينه لفائدتكم وحبوركم لأني لأجل هذا خلقتها . أتحسبون إذا أن البيت الذي يسكن فيه المؤمنون بي لا يكون أفضل ، حقا إنكم تخطئون في هذا الحسبان ، لأني انا إلهكم هو شمس الجنة ، ورسولي هو القمر الذي يستمد مني كل شيء ،
والنجوم أنبيائي الذين قد بشروكم ، فكما أخذ المؤمنون بي كلمتي من أنبيائي هنا ينالون كذلك مسرة وحبورا بواسطتهم في جنة مسرتي ﴾.

لكن لما يعقب أحدهم ويطرق مسألة السعة والحجم ويقيس ويقارن ما بين ذات الله تعالى والجنة فلنرى بما يرد عليه حين قال التلميذ : لابد أن تكون الجنة أكبر من الله لأن الله يرى بداخلها ؟

فقال مجيبا عليه : صه لأنك تجدف على غير هدى اهـ . ومن فوره جبريل ينزل ليكون الرد من العلي العظيم على ما قاله التلميذ مكتوبا على مرآة براقة كالشمس : ﴿ لعمري أنا الأبدي وكما أن الجنة أكبر من السماوات برمتها والأرض وكما أن الأرض برمتها أكبر من حبة رمل هكذا أنا أكبر من الجنة بل أكثر كثيرا من ذلك عدد حبوب رمل البحر وقطرات الماء في البحر وعشب الأرض وأوراق الأشجار وجلود الحيوانات بل أكثر من ذلك كثيرا عدد حبوب الرمل التي تملأ السماوات والجنة بل أكثر ﴾ .

ثم قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ إن نفسك التي هي أعظم من الأرض برمتها ترى بعين واحدة الشمس التي هي أكبر من الأرض بألوف من المرار . هكذا ترى الله خالقك بواسطة الجنة ﴾ .

هنا عاد التشبيه بالرؤية للباري عز وجل كما قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم بالشمس ، وأفيد هنا ببيان معنى التشبيه لكلا النبيين عليهما الصلاة والسلام فأقول : قياس المسيح لحجم عين الرائي مع حجم عين الشمس التي هي أعظم من حجم الأرض بألوف المرات ، ومع هذا تدرك رؤية الشمس على تفاوت الحجم الهائل ، وهذا تشبيه تقريبي لكيفية تحقق مشاهدة الإنسان لربه بالجنة من خلال عينه الصغيرة الحجم ، ومع هذا يمكن لتلك الحاسة أن تدرك رؤية الله عز وجل بالجنة ومشاهدته رغم ذلك التفاوت الهائل والأكبر بما لا قياس مثل ما يقاس حجم الشمس والأرض والعين البشرية بالنسبة لرؤية الباري عز وجل ، ومع هذا كان ذلك وسيلة لتقع مشاهدته بالحاسة البشرية وإلا حقيقة وجوده أعظم من ذلك بكثير ولا قياس كما قلت ، وهذا معنى ما نزل به من كلام الملاك جبريل عليه الصلاة والسلام ، فالمسألة بحدود التقريب والممكن بالنسبة لاستيعاب الذهن البشري من حيث الإدراك ، وبالنسبة لعينه من حيث امكانها ادراك الرؤية والمشاهدة لله تبارك وتعالى ، وإلا حقيقة الأمر أكبر من ذلك بما لا قياس ، ولا حتى بمقدار النسبة ما بين قطرة ماء البحر بالنسبة لكل تلك البحار والمحيطات ، إن الله تعالى أكبر وأجل من ذلك بكثير كثير حتى لا قياس .

هذا بما يخص تشبيه المسيح عليه الصلاة والسلام .

أما فيما يخص التشبيه للرؤية بالشمس والقمر على لسان المصطفى ﷺ فأتت لبيان زيادة معنى بذاك التشبيه لعل لم يفطن له كثير أحد من الخلق ، بسبب عبث أهل الحديث بأخباره من باب الاختصارات أو الإقصاءات من

بعض المطولات المرويات عنه لنكارة لفظة ما ، هنا أو هناك بحسب مداركهم فيجفلون من ذلك كما قال ابن قتيبة ، فيعملون التحكم به من باب الاختصار وهم لصوص إنما سرقوا بعضا مما ورد مرويا عنه ليبعدوه عن أعين الخلق وإحاطتهم العلمية بما قاله .

فعلى سبيل المثال حديث أبي رزين العقيلي هو ذات الحديث في إثبات الضحك للرحمان عز وجل والرؤية له كما ترى الشمس والقمر وعن بدء الخلق ، أهملوه عن عمد لما ورد مثلا فيه قوله عما يكون بعد الصيحة وهلاك الكل حتى ما يبقى إلا العزيز العليم ، فقال : " فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض ، وخلت عليه البلاد " . فأكثرهم لا يطيقون رواية هذا حتى ما يرميهم خصومهم بالتشبيه ، لكن المسيح ما خشى من شيء لما روى ما رواه في قصة آدم كما هو مقرر تحت هذا العنوان : (من أعجب وأعظم موافقات المصطفى لما ورد بإنجيل المسيح / المقال منشور بموقعنا) . ولا المصطفى ﷺ خشى من دراويش الفلسفة والهذارين من أهل الكلام الفارغ ولا دراويش السلفية العرجاء العوراء ، لقد قرروا الحق وقالوا به خبرا ولو لم تستوعبه عقول أولئك الجهال .

وزيادة المعنى من ذاك التشبيه على لسان المصطفى صلى الله عليه سلم على ما قاله المسيح ، رؤيته من قبل الكثرة وهو الفرد تبارك وتعالى ، وتشبيهه تحقق ذلك كما مشاهدة الشمس أراد بذلك المعنى والحقيقة فهو عز وجل سيرى من الجنة كما يرى الناس الشمس اليوم والقمر تماما معنى وحقيقة وهذا عين ما أراده عليه الصلاة والسلام ، فحين يتجلى لعباده ويطلع عليهم بنوره عز وجل ليكون بمثابة شمس الجنة فهم سيعاينونه كما تعاين الشمس اليوم من

مشرقها للخلق ، والشمس وهي تسبح في فلكها ستمر عليهم بالتدرج حتى يراها كل الخلق بمسيرها ذاك ، ولله عز وجل المثل الأعلى فحين يشرق عليهم بنوره وهم بالجنة ويستدير فلك الجنات كما يستدير فلك السماوات السبع اليوم حتى تشرق الشمس على الجميع مرورا وهي تسير في مسارها فيراها كل الخلق لا يضام أحد برؤيتها ، وبالمثل مشاهدة المولى عز وجل هكذا لن يضام أحد برؤيته لكل أهل الجنة ، من حيث استدارت فلك الجنان يمرون على مقامه العظيم وسموه الأعلى من كل شيء ، ويتمتعون بإشراقه عز وجل ، كلهم لا يضام أحد منهم دون أحد في ذلك ، وهذا هو معنى التشبيه تماما ليشمل المعنى وصورة الحقيقة شبه مطابقة ما بين المثل والممثل به .

أما ما عناه الأنبياء والرب تعالى بإثبات النفي فذاك أمر آخر مختلف بالكلية عما نحن بتقريره هنا ، فنحن بتقرير فرق معاينة مثاله بالدنيا أو بالجنة عما توهم عليه الجهال ومن ضل عقله عن ادراك تلك الحقائق ، ومعاينة الملائكة له ومجادلته معه يوم كان آدم كومة طين ، ويوم آدم قائم على رجليه والملائكة من حوله قد أمروا بالسجود له ومعهم ابليس والشياطين الكفرة من بعد ، فذلك جنس المشاهدات التي يعنيه بحثنا هنا ، والنفي آمر آخر وهو نفي مطلق كما قرر الأنبياء ومن لم يعي الفرق في ذلك فقد ضل وتاه عن سواء السبيل ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. (رواه أحمد ومسلم وابن ماجة رحمهم الله تعالى)

فهذا النفي المطلق لمعاينة ذاته المقدسة العلية المحتجبة هو مما اتفق عليه الأنبياء ومن خالفهم ضل عن الحق ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمهُ اللَّه إِلا وَحيًّا أَوْ مِنْ وَرَاء حِجَاب .. ﴾ ، وما نحن فيه هنا من اثبات معاينته ليس هو من ذاك ولا يدخل فيه ، ومن شكك في صحة ثبوت معاينة موسى وبني اسرائيل لمثال الله تعالى حسب ما ذكر هناك أو شكك بما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام قبل عن نفسه وعن آدم ، فليعلم أن ثبوت مشاهدة آدم لمثال ربنا تبارك وتعالى منصوص عليه كما في الانجيل الصحيح كذلك على لسان المصطفى صلى الله عليهما وسلم ، وقد أشارت له تلك الآيات وغيرها من القرآن كلام ربنا ، ما يثبت به كذب من ادعى المنع من ذلك بالدنيا ، وسأقرر لاحقا إن شاء الله تعالى مناسبة تقرير الكلام حول معاينته وعلاقة ذلك بالدنيا برجوع الأشهاد .

وهناك من ذهب لتحقق رؤية النبي ﷺ لربه تعالى ولو أن عائشة رضي الله تعالى عنها أنكرت ذلك بشدة واستدلت للمنع بعموم خبره تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ ، وكذبت من قال بذلك وهو المروي عن ابن عباس على اختلاف عليه فتارة يروى عنه بالإثبات ، وتارة بالنفي لقوله أنها رؤية قلب لا عين .

وأشد تناقضه رضي الله تعالى عنه بما روي عنه قوله في تلك الآية : ﴿ لا تُدْرِكهُ الأَبْصَار ﴾ فِي الدُّنْيَا . حكاه القرطبي في تفسيره . هذا مع رواية تجويزه ذلك بمعراج النبي ﷺ ما يعد تناقض رفضته عائشة وبشدة ، ويزاد عليه أن الحق في قصة العروج بالنبي ﷺ أن ذلك كان بروحه مناما ولم يكن يقظة بجسده وروحه .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : اخْتَلَفَ السَّلَف فِي رُؤْيَة نَبِيّنَا عَلَيْهِ السَّلام رَبّه ، فَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ مَسْرُوق قَالَ : كُنْت مُتَّكِئًا عِنْد عَائِشَة ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَة ، ثَلاث مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّه الْفِرْيَة – في لفظ فقد كذب – قُلْت : مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبّه فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّه الْفِرْيَة .

قَالَ : وَكُنْت مُتَّكِئًا فَجَلَسْت فَقُلْت : يَا أُمّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْظِرِينِي وَلا تُعْجِلِينِي ، أَلَمْ يَقُلْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِين ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَة أُخْرَى ﴾ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّل هَذِهِ الأُمَّة مَنْ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيل لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَته الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْر هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْته مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاء سَادًّا عِظَم خَلْقه مَا بَيْن السَّمَاء وَالأَرْض ﴾ .

فَقَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَع أَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يَقُول : ﴿ لا تُدْرِكهُ الأَبْصَار وَهُوَ يُدْرِك الأَبْصَار وَهُوَ اللَّطِيف الْخَبِير ﴾ ؟

أَوَلَمْ تَسْمَع أَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يَقُول : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمهُ اللَّه إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاء حِجَاب .. ﴾ ؟

وَإِلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا مِنْ عَدَم الرُّؤْيَة ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيل : اِبْن مَسْعُود ، وَمِثْله عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُم ، وَأَنَّهُ رَأَى جِبْرِيل ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُمَا .

وَقَالَ بِإِنْكَارِ هَذَا وَامْتِنَاع رُؤْيَته جَمَاعَة مِنْ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاء وَالْمُتَكَلِّمِينَ . وَعَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ ؛ هَذَا هُوَ الْمَشْهُور عَنْهُ اهـ .

وأخرج الطبري بإسناده عن مسروق قال : قُلْت لِعَائِشَة : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ : هَلْ رَأَى مُحَمَّد رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : سُبْحَان اللَّه ، لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْت ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ . توسع في تخريج ألفاظه صاحب السراج مُحَمَّد بن إسحاق الثقفي ومنها الذي ساق لفظه الطبري.

ومما يصدق ما قالته أم المؤمنين ما روي عن عبدالله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو أدركت النبي ﷺ لسألته ، قال عما تسأله ؟ قلت : أسأله هل رأى ربه ؟ فقال : قد سألته فقال : " نور أنى أراه " .

ويجدر هنا تعليقا على ما روى أبو ذر رضي الله تعالى عنه : أنه لما كان الحق أنه عرج به للسماء بروحه مناما ومع هذا نفى رؤيته لله عز وجل ، دل ذلك دلالة قوية على أن نفيه لما كان السؤال متضمن معنى رؤية ذاته المقدسة من غير حجاب ، وإلا قد ثبت بالدليل الصحيح أنه أخبر عن رؤيته لله تعالى بالمنام فقال : " رأيت ربي في أحسن صورة " .

وعليه لو كان له جواز رؤية ذاته المقدسة جل وعلا بالمعراج لما قال " نور أنى أراه " وقد ثبت له رؤيته عليه الصلاة والسلام بغض النظر كون ذلك المعراج بروحه مناما فقط أو بجسده يقظه بما أنه ثبت جواز رؤيته بالمثال والصورة فما الذي يحول بينه وبين رؤية ربه تعالى بالمعراج ؟!

ولكشف الله تعالى لرسوله مثاله مثل ما رآه بتلك الرؤيا ، ومثل ما رآه آدم عليه الصلاة والسلام يقظة وموسى الكليم صلوات ربي وسلامه عليه فيما

ترجح لدي ، وهذا الوجه يضاف لسائر ما استدل به هنا في تقرير استحالة رؤية ذاته المقدسة المحجوبة عن العقل البشري لأي كان من خلقه .

أما ورود هذا الوجه على ابن عباس فالرد عليه بما قالته أم المؤمنين (كذب) بغض النظر عن اعتقاده أن ذلك حصل بعيني رأسه عليه الصلاة والسلام يقظة حسب احدى الروايتين عنه ، فهذا زيادة بالكذب منه .

وعليه أقول بأن : اختيار عائشة رضي الله تعالى عنها يكشف عن نوع ذاك الخلاف والتناقض في هذه الأمة في اثبات صفات الباري عز وجل وما يجوز في ذلك وما لا يجوز اثباته ، ومن قال بالمنع هنا من العلماء بخصوص رؤية المصطفى ﷺ لربه اعتبر لرواية أبي ذر ونفي النبي ﷺ ذلك بقوله : " نور أنى أراه " .

وهي الرواية التي اعتمد عليها ابن حنبل في احدى الروايتين عنه .

ومن اعتقد بالجواز ذلك لعدم تمييزه الفرق في ذلك ولاختلاط الأمر عليه دنيا وآخرة ولعدم وعيهم الفرق ما بين ادلة جواز رؤيته سبحانه وعلى ماذا يحمل ذلك ، وما بين النصوص العامة بالمنع من ذلك على ما استدلت به عائشة رضي الله تعالى عنها ، ولهذا نجد كل ذلك الاختلاف والاضطراب حتى خرج عن ابن حنبل رحمه الله تعالى في ذلك بروايتين رواية تجيز ذلك ورواية تمنع .

حكى القرطبي عنه : قَالَ أَحْمَد بْن حَنْبَل رَآهُ بِقَلْبِهِ ، وَجَبُنَ عَنْ الْقَوْل بِرُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا بِالأَبْصَارِ اهـ .

وذكر عنه أيضا الرواية الأخرى فقال : وَحَكَى النَّقَّاش عَنْ أَحْمَد بْن حَنْبَل أَنَّهُ قَالَ : أَنَا أَقُول بِحَدِيثِ اِبْن عَبَّاس : بِعَيْنِهِ رَآهُ رَآهُ حَتَّى اِنْقَطَعَ نَفَسه ، يَعْنِي نَفَس أَحْمَد اهـ .

قلت : وفي هذا برهان على ما قرر هنا في زيف قاعدتهم بتمرير تلك النصوص من غير دراية ولا فهم لحقيقة الأمر وضبط اعتقادهم على وفق الحق بالجمع الصحيح ما بين دلالة كل النصوص في ذلك ، ما دل على الجواز وما منع ونزه الباري عنه نفسه عز وجل .

وبالمثال الثالث هنا : اقرر عن أحد كبارهم كيف أنهم حتى في إثبات رؤية الله تعالى بالآخرة باعتقادهم أثبتوه على وجه لا يعقل معناه ، ويستنكرون على من يستفهم عنه ويطلب ادراك كنه تلك المشاهدة المخبر عنها بكتاب ربنا تعالى وعلى لسان رسوله ﷺ المصطفى ، فيقول قوام السنة ثانية بهذا الخصوص :

روى يزيد بن هارون في مجلسه حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير في الرؤية وقول الرسول ﷺ : " إنكم تنظرون إلى ربكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر" . فقال رجل في مجلسه : يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث ؟

فغضب وحرد ، وقال : ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فُعل به !!

ويلك من يدري كيف هذا ؟ ، ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه ، واستخف بدينه ، إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتبعوه ولا تبتدعوا فيه ، فإنكم إن اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وإن لم تفعلوا هلكتم اهـ .

أقول : ما سفيه إلا عقلك وما مارى بذلك إلا رأسك حين أنزلت مسألة ذاك الرجل بمنزلة ما سأل عنه صبيغ عمر رضي الله تعالى عنه ، فجعلت المعلوم شرعا بمنزلة المجهول الذي لا يضر عدم العلم به ، وما يليق بالله تعالى وأخبر به عن نفسه ، بما خلق مما غاب عن علم خلقه .

وإن كنت تجهل لهذا الحد في إثبات ما يليق لله تعالى مما أخبر به عن نفسه ، فمن ذاك الأحمق الذي صدرك لتفتي وانت لهذا الحد من الجهل وعدم اليقين بما بلغك الخبر فيه ؟

نعم : إنهم يثبتون حق التصديق بالرؤية للباري عز وجل في الآخرة لكن من غير علم ولا دراية ولا معقولية يدركها المسلم بذهنه تشرح له ويبين معناها ، وليس هذا منهم مختصا بحكم رؤية الباري عز وجل بل يتعدى لغيره من الصفات مثل استواء الله عز وجل على عرشه فهم لا يعقلون له معنى يدركونه بتصورهم العقلي لأنهم لا يرون في ذلك امكانية للعلم بحقيقته فيؤمنون بزعمهم به سماعا فقط من غير ادراك لمعنى تأويله وكيف تكون حقيقته ، مع أنه عز وجل يسر ذلك لعلم كل مكلف وإدراكه ولم يقدره غير ممكن لحواسهم ادراكه بأي حال ، إلا أن هؤلاء وخصومهم بما أكثروا من الخوض والجهل على ذلك حالوا بين يسر ذلك على المكلفين .

قال أبو الحسن الكرجي :

عقائدهم أن الإله بذاتـــــه **** على عرشه مع علمه بالغوائـب
وأن استواء الرب يعقل كونــه **** ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب

ويقول ابن أبي عاصم النبيل صاحب كتاب " السنة " المشهور : يجب التسليم لها على ظاهرها – يعني النصوص في الصفات التي أورد بكتابه – وترك تكلف الكلام في كيفيتها . وذكر في ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش اهـ . (ابن عبدالهادي ص69– كتاب الاستواء على العرش)

إيمانهم في ذلك ناقص نقصا شديدا ، والغريب أنهم من وجه آخر يغالون في إثبات الصفات فيشبهون لحد الضحك من جهلهم وغبائهم وشدة تخليطهم وفضائحهم في ذلك . وانتظروا لبيان جملة من ذلك بما سأورده في كتابي في الصفات للرد على أولئك * .

ويقول الطحاوي صاحب العقيدة المشهورة في المتأخرين منهم : والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية اهـ .

وهذا كسابقه دعوى منطلقها الجهل بحقيقة ذلك التجلي وخلط لعدم التمييز فيما أخبر تعالى ورسوله في صفات المولى عز وجل ، وليس الأمر كما هو ظاهر مختصا بصفة دون صفة فلا الرؤية ولا الاستواء على العرش مما يمكن

(*) تم انجازه وطبع تحت عنوان : (المقدمة الذهبية لتقويم اعتقاد أهل الحديث وبيان أنهم ليسوا على السبل المهدية) .

ادراك معناه والعلم بحقيقته ، وذلك منهم نوع تعطيل ونفي للصفات من غير شعور منهم في ذلك .

ومما قاله أبو بكر الاسماعيلي : مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة أنه خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان بلا اعتقاد كيف ، واستوى على العرش بلا كيف اهـ .

خلط والتباس كبير وجهل مستفحل بعقولهم لا يميزون بين صفة الذات بالفعل وبين صفة المعنى والمثال ، لهذا اعتقدوا على قاعدتهم أن لكل قلب من قلوب بني آدم اصبعين للرحمان عز وجل يقلبه كيف يشاء ، أو قولوا مثل تلك الشناعة باسم العقيدة السلفية اعتقادهم صفة ذات لله عز وجل وبيده الميزان يرفع ويخفض ، وما أدركوا وجه المحذور من إثبات ذلك صفة ذات أن يلزم بحكم الكيف اللازم لحقيقة وجود كفتي الميزان وهنا الإثبات بحقيقة وجود مخلوق ولو تعلقت به صفة ذات لله عز وجل فإن كانت صفة الذات لله تعالى تثبت بعقولهم من غير كيف ، فصفة كفتي الميزان المخلوقة لا يصح يقال في إثباتها من غير كيف ولا معقول ، وهذا يلزم منه المحذور لو أدركه الغبي لفر من التزام اثبات ذلك صفة ذات لله عز وجل لا مثال ، وهو أن يبقى ربنا تعالى سبحانه عما يجهلون خافضا رافعا لكفتي الميزان أبدا ، والحق حمل الكلام هنا على وجه المثال والمعنى بظاهر الكلام أن المراد تقرير قيامه بالحق والعدل في خلقه عز وجل ، لا أن هناك كفتي ميزان يرفعهما ويخفضهما أبدا على وجه الحركة ، والغريب أنهم مختلفون فيما بينهم وباضطراب شديد على الاستواء والنزول كل ليلة هل ذلك بحركة او بغير حركة وحد ، ولو جلبوا ذلك لإثباتهم بالصفات لرفع الميزان وخفضه لكانت تلك مصيبة كبرى عليهم .

أو انظروا كذلك للاعتقاد الغبي الذي حمله أحدهم حرفيا على صفات الباري عز وجل وهو نظير سابقه ، أن يد الله فوق رأس كل مؤذن على صفة الذات هكذا يصرح ، اختلط عليهم القول لصفات الذات للباري ، بالقول من باب ضرب الأمثلة بالكلام ، ولو نزل على هؤلاء الإنجيل المملوء بضرب الأمثلة لشفتم من هؤلاء الدراويش العجب العجاب .

وهم كذلك لا يميزون معنى خلق آدم بيد الله عز وجل وخلق الأنعام ، فكل ذلك عندهم سواء بالمعنى طبعا الذي لا يعقلونه ولا يفهمون حقيقته ، قال عز وجل : ﴿ مما عملت أيدينا أنعاما ﴾ ، فهم لا يميزون بين هذا وذاك ، ومن جهلهم التزموا ذلك على وجه واحد لهذا سخر منهم مثل الخطابي في اعتقادهم تحريك القلوب وتقليبها بأًصابع الله عز وجل لأنهم حملوا ذلك على صفة للذات ويحسبون العقلاء سيصيخون السمع لما يقولونه بحسب قاعدتهم السخيفة (أمروها كما وردت من غير كيف ولا معنى) ، وما علموا من شدة الجهل أن الكيف هنا أين ما صرفته على صفة الذات لا يعتقده إلا مخبول لكنه صادق في دعواه من غير كيف ، إلا أن زعمهم ذلك معقولا كذب من هذا الجانب إذ لا كيف معقول أبدا ليصدق في ذلك.

ويقول صاحب الحجة في بيان المحجة الأصبهاني وهو يعدد الأحاديث في الصفات على معتقدهم وذكر الاستواء وخلق آدم بيديه سبحانه والنزول ، ثم ذكر : وكقوله : " ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمان " . فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله ﷺ فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على الظاهر ونفي الكيفية والتشبيه عنه .. والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، وإثبات الله تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك

إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فإذا قلنا يد وسمع وبصر ونحوها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولم يقل معنى اليد القوة ولا معنى السمع والبصر العلم والإدراك ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار ، ونقول إنما وجب إثباتها لأن الشرع ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ، كذلك قال علماء السلف في أخبار الصفات : أمروها كما جاءت .

فإن قيل : فكيف يصح الإيمان بما لا يحيط علمنا بحقيقته ؟ أو كيف يتعاطى وصف شيء لا ادراك له في عقولنا ؟

فالجواب : أن إيماننا صحيح بحق ما كلفنا منها ، وعلمنا محيط بالأمر الذي ألزمناه فيها وإن لم نعرف لما تحتها حقيقة كافية ، كما قد أمرنا أن نؤمن بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والجنة ونعيمها والنار وأليم عذابها ، ومعلوم أنا لا نحيط علما بكل شيء منها على التفصيل ، وإنما كلفنا الإيمان بها جملة واحدة ، ألا ترى أنا لا نعرف أسماء عدة من الأنبياء وكثير من الملائكة ، ولا يمكننا ان نحصي عددهم ، ولا أن نحيط بصفاتهم ، ولا نعلم خواص معانيهم ، ثم لم يكن ذلك قادحا في إيماننا بما أمرنا أن نؤمن به من أمرهم اهـ .

وهذا مما يؤكد على خلطهم في ذلك وعدم تمييزهم ما بين صفات الذات وضرب الأمثلة بالقول ، فهم يأخذون أكثر تلك المعاني حرفيا على صفات الذات لله عز وجل ، ثم يفترضون العذر في ذلك بعدم وجوب العلم بالكيفية أو استحالة ذلك ، ولا يفطنون لضعف إثباتهم ذلك صفة من الأساس حتى يفسرونه على ذلك النحو ، ويقيسونه على سائر ما وردنا خبرا مما سيكون من الموجودات أو كان من الموجودات ، فعالم الغيب وعالم المشاهدة لكل ذلك

حدوده وقوانينه لمن حظر أو غاب ، ولا يجب العلم بحقيقة ذلك الصورية لأنه من المستحيل على كل من غاب عن أي مشهد ادراك حقيقة صورته .

أما في باب اثبات صفات الباري عز وجل ونفي ذلك ، فاعتقاد ما يصح من ذلك بالإثبات والنفي هذا أمر آخر وبابه غير ذاك الباب ولا يصلح قياس هذا على ذاك إلا من باب الهذيان لا أكثر .

والذي جرهم لمثل هذا الخلط اعتقادهم إثبات الصفات للذات على وجه الحق تارة وعلى وجه الباطل تارات أخرى ، ثم حمل ذلك كله على النفي المطلق : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ، ثم برهنوا مثلا لإثبات صحة هذا الجمع بدعواهم أن له تعالى أصابع يقلب بها قلوب العباد مع حملهم ذلك على صفات الذات وحقيقتها الغائبة ، لا أنه من ضرب الأمثلة بالكلام لتأكيد قدرته المطلقة على قلوب العباد ، وهذا الهذيان بعينه ولا عنوان له اكبر من هذا المعتقد السلفي البائس .

ونظير ذلك حملهم أن له عينان سبحانه تجري فيهما على صفة الذات بعض المخلوقات .

ولما كان هذا غير مقبول لأنه غير معقول ولا مفهوم على الإطلاق وفق النصوص الشرعية فذلك ليس لائقا لحقيقة وجود الله تعالى المقدس ، وهو باطل من التأويل يدل على ذلك أنه نتاج خلطهم ما بين الأمثلة المجردة بضرب الكلام لتدل على المعنى لا على أي صفة ذات لله عز وجل وأخذوا يستدلون

بذلك لإثبات الصفة للباري عز وجل ، فقلبوا ذلك ليكون من صفات الذات لله عز وجل عند الجهلة الغر من اتباعهم ، ولجأوا لتشبيت مثل هذا الجهل في الله تعالى وصفاته بتقريرهم الولوج لذلك من باب عدم علم الكيفية ولو أن لا كيفية إلا معنوية لذلك ولا يحمله على صفة ذات لله تعالى إلا شبه مخبول في عقله ، ولهذا افترضوا في ذلك افتراض أحد أصحاب النبي ﷺ في تبينه لخيط الفجر من خيط سواد الليل ، فوضع جهلا منه لإدراك معنى الكلام فانقلب عليه الاستدلال ليقيس على عقاله وبياض وسادته ، والجهل وضلال العقل مستمر مستديم بالبشر يتوارثونه ، فقصة هذا الصحابي تكررت مع يمني حين سألته عن كيفية تبينه للظهور الشرعي للفجر الموجب اقامة الصلاة فأجاب : بتبينه لأثاث بيته وأوانيه !!

وقد كان يعاني المسيح عليه الصلاة والسلام من ذلك من بعض تلاميذه ممن عهد عليهم بعض الجهل في الكلام لقصور في فهمهم ، وهو في أئمة السلف بخصوص الإثبات والنفي في باب الصفات للباري عز وجل شائع بالعموم ، لا يميزون في غالب أقوالهم ما بين صفاته الفعلية المحكي عنها بأسماء صفات للذات ، وما بين الصفات الذاتية ، فكل ذلك عندهم من باب واحد .

قال أحد تلاميذه عليه الصلاة والسلام واسمه " متى " : يا معلم إنك اعترفت أمام اليهودية كلها بأن ليس لله من شبه كالبشر وقلت الآن أن الإنسان ينال من يد الله ، فإذا كان لله يدان فله إذا شبهُ بالبشر .

فأجاب عليه الصلاة والسلام على هذا الكلام بالقول : إنك لفي ضلال يا متى ولقد ضل كثيرون هكذا – وفي عداد أولئك أئمة السلف في هذه الأمة ، أقول ذلك لا أخشى في الله تعالى وقول الحق والصدق لومة لائم – إذ لم يفقهوا معنى الكلام ، لأنه لا يجب على الإنسان أن يلاحظ ظاهر الكلام بل معناه ، إذ الكلام البشري بمثابة ترجمان بيننا وبين الله ، ألا تعلم أنه لما أراد الله أن يكلم أباءنا على جبل سينا صرخ أباؤنا : كلمنا أنت يا موسى ولا يكلمنا الله لئلا نموت .

وماذا قال الله على لسان اشعيا النبي : ﴿ أليس كما بعدت السماوات عن الأرض هكذا بعدت طرق الله عن طرق الناس وأفكار الله عن أفكار الناس ﴾ .

إن الله لا يدركه قياس إلى حد أني أرتجف من وصفه ... إن الكون أمام الله لصغير كحبة رمل والله أعظم من ذلك بمقدار ما يلزم من حبوب الرمل لملء كل السماوات والجنة بل أكثر . فانظروا الآن إذا كان هناك نسبة بين الله والإنسان الذي ليس سوى كتلة صغيرة من طين واقفة على الأرض ، فانتبهوا إذا لتأخذوا المعنى لا مجرد الكلام إذا أردتم أن تنالوا الحياة الأبدية .

فأجاب التلاميذ : إن الله وحده يقدر أن يعرف نفسه وأنه حقا لكما قال اشعيا النبي : " هو محتجب عن الحواس البشرية " اهـ .

وبوقت آخر تطرقوا لهذا المعنى وأحبوا معرفة الله تعالى أكثر رغم كون حقيقته محتجبة عن العقل والحواس البشرية ، فسأله أحدهم بالقول : إننا راغبون في خدمة الله ولكننا نرغب أيضا نعرف الله لأن اشعيا النبي قال : " حقا إنك لإله محتجب " . وقال الله لموسى عبده : " أنا الذي هو أنا " .

فأجاب صلوات ربي وسلامه عليه : إن الله صلاح بدونه لا صلاح ، إن الله موجود بدونه لا وجود ، إن الله حياة بدونها لا أحياء ، هو عظيم حتى انه يملأ الجميع ، وهو في كل مكان هو وحده لا ند له .

لا بداية ولا نهاية له ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية .

لا أب له ولا أم . لا أبناء ولا إخوة ولا عشراء له . ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشري ، لأنه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي وأبسط البسائط ، وهو جواد لا يحب إلا الجود ، وهو مقسط حتى إذا هو قاص أو صفح فلا مرد له .

وبالاختصار أقول لك يا " فيلبس " أنه لا يمكنك أن تراه وتعرفه على الأرض تمام المعرفة ، ولكنك ستراه في مملكته إلى الأبد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا اهـ .

يريد رؤية خاصة ستتحقق في الآخرة على وجه لا يناقض ما نفاه من قبل ، بل الممكنة على ما وضحت لبني البشر حتى يتم لهم الجزاء العادل من الكريم المنان اتماما لرضاه عنهم ، وإلا لن يتغير الله تعالى حتى يمكنهم رؤيته بعد أن لم يكن يمكنهم ذلك ، ولن تتغير حقيقة وجوده فهو هو والخلق في الدنيا كما هم بالآخرة بعد الحشر ، فالحكم في ذلك بحقهم سواء وحقيقة وجود الله تعالى لن تتغير فهي دائمة كما كانت ، لكن هو على ما وُضِحَ بالتفصيل هنا مشاهدة خاصة كمشاهدتهم للشمس أو القمر اليوم بنوره الكامل وبالصفات الممكن لهم مشاهدته من خلالها تبارك وتعالى الحكيم العليم الفعال لما يشاء .

ألا ترونه تارة يجيز الرؤية للباري على نفسه كما مر معنا قبل لو لم يدعه الناس ابن إله ، وتارة ينفيها مطلقا عليه الصلاة والسلام ، وهو لم يجعل للاختلاف في ذلك ما بين الدنيا والآخرة أي شرط ، سوى أنه كان يعني الفرق ما بين رؤية ذاته بوجوده الحقيقي ورؤيته من وراء حجاب ، وإلا لم يكن قال الحق وحاشاه صلوات ربي وسلامه عليه بنفيه رؤية الباري تارة مطلقا بالدنيا وتارة يجيزها لنفسه لو لم يدعوه الناس بابن إله صلوات ربي وسلامه عليه الطاهر ابن الطاهرة الزكية .

ثم أقول : ورغم عظم ما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام هنا نجد ذلك التلميذ ضعيف الإدراك يعود ليقول : ماذا تقول يا سيد حقا لقد كتب في أشعيا أن الله أبونا فكيف لا يكون له بنون ؟!

فأجاب مؤكدا عليه الصلاة والسلام على عدم أخذ الأمثال عن الأنبياء والوحي بالحرف بل بالمعنى من وراء الكلام : إنه في الأنبياء مكتوب أمثال كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى ، لأن كل الأنبياء.. تكلموا بالمعميات بظلام ولكن سيأتي بعد بهاء كل الأنبياء الأطهار فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قال الأنبياء لأنه رسول الله اهـ .

ومما بوب بكتابه صاحب الحجة في بيان المحجة : (نفي مشابهة صفات الله لصفات خلقه) وقال هناك : قال أئمة أصحاب الحديث في أخبار الصفات : أمرّوها كما جاءت .

وقال أحمد في رواية حنبل : يضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول . ونص على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيه ولا تأويل .

وذكر الدارقطني في أخبار الصفات عن جملة من أئمة الحديث على ما نقل عنه صاحب الحجة : يحدثون هذه الأحاديث ولا يفسرون شيئا .

" أن الله يضع السماوات على أصبع " .
" إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن " .
" إن الله يعجب ويضحك " .
" قالوا : هي كما جاءت نقرّ بها ونحدث بلا كيف ".

وذكر عن أبي بكر الخلال في كتابه السنة بإسناده عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير هذه الأحاديث فقالا : أمرّوها كما جاءت .

وذكر عن الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي مالكا وسفيان وليثا عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمروها بلا كيف .

ونقل عن أبي عبيد : هذه الأحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لا شك فيه ، ولكن إذا قيل : كيف وضع قدمه فيها ؟ وكيف ضحك ؟ .

قلنا : لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسرها .

قال أهل العلم من أهل السنة : هذه الأحاديث مما لا يدرك حقيقة علمه بالفكر والرويّة اهـ .

قلت : في هذا منتهى الخلط والتكريس للأكاذيب وهو يصدر عن إمام مشهور بالذب عن السنة مصنف عَلَم ، فما بالكم بمن دونه من مقلدتهم وجهلهم ، ووالله لم يقل الحق والصدق : بل هي تدرك لمن هداه الله تعالى بالعلم والروية .

فقوله بـ (أن الله يضع السماوات على أصبع) . أنه حديث عن رسول الله ﷺ هكذا بالقطع باطل وكذب ، فهي من جهالات ابن مسعود روج لها الذين لا يعقلون حقيقة وجود الرحمان عز وجل ولا يجلون صفاته العظيمة من مثل صاحب الحجة هذا ، حسب المصطفى ﷺ أقر جهالات ذلك الحبر اليهودي فيما يهذي ، ثم صار هذيانه دينا وعقيدة تنسب لصفات الباري عز وجل وعظيم ذاته المقدسة عند هذا وأمثاله من الجهلة على حقيقة وجود الباري عز وجل .

والأخرى دعواه : (أن الله يعجب ويضحك) . هكذا بالجمع وهذا أيضا من الكذب والجهل ولهم به خلط عجيب ليس هذا مكان بيانه ، فالعجب ليس صفة يصح نسبتها لله عز وجل أما الضحك فنعم ثبتت بنقله النصوص عن الله عز وجل مع اثباتهم لذلك صفة ذات يجهلون معناها وحقيقتها ومع جهلهم وضلالهم في ذلك زادوا بإثباتهم تخاريف وهذيان حتى نسب لمثل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سيأتي مني التحقيق فيه واثبات نقضـــه

عليهم جميعا إن شاء الله تعالى بكتاب لي في عقيدة الأسماء والصفات [10].

(10) تم انجازه وطبع تحت عنوان : (المقدمة الذهبية لتقويم اعتقاد أهل الحديث وبيان أنهم ليسوا على السبل المهدية) .

وعجيب خلط صاحب الحجة بين اللفظين هنا مع أن كل الأحاديث على خلط من بعض رواتهم لا تأتي بهذا الجمع بل على الإفراد ، وكل من نسب صفة التعجب لله عز وجل أخطأ إنما يعجب من لا يعلم أما من يعلم الغيب والشهادة فلا يصح وصفه بذلك ، ولم يصح حديث واحد في إثبات نسبة ذلك للباري عز وجل ومن اعتمد على قراءة قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ بالضم ، ضل .

قال ابن أبي حاتم بإسناده : أن شريحا كان يقرأها بالنصب ويقول : إن الله لا يعجبُ من الشيء إنما يعجبُ من لا يعلمُ ، فقال الأعمش : ذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال :إن شريحا كان معجبا برأيه وعبدالله كان أعلم منه كان يقرأها (بل عجبتُ) اهـ .

ابن مسعود يأخذ في صفات الله تعالى عن يهودي مخبول ثم يفتري بنسبة اقرار ذلك من رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ لم يزد على أن ضحك وثابت عنه ضحكه من الغباء ، واكتفى مع ذلك بتلاوة قول الكريم بنفي صحة تقديرهم لله عز وجل وعظمته .

راجع العنوان التالي : أمة غبية حتى في العلم بذات الله تعالى وما يليق بجلاله ... [11]

وصدر لي كتابا مفرد في تقرير بطلان اعتقاد من اضاف التعجب لله عز وجل صفة [12] .

---

[11] عنوان مقال نشر بموقعنا المبارك .

[12] تحت عنوان : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ) .

ومن يضل في هذا أعنى دعوى حمل الرب تعالى الشجرعلى اصبع والحجر على اصبع ، ليس بغريب عليه أن يضل بنسبة التعجب لله تعالى

ويحركه الحرف لما يعجب منه ، وهذا هو الصحيح أن يعجب منه هو لا ان الله تعالى يتعجب من ضلال الضالين ، فهو عالم بهم وبأحوالهم قبل أن يخلقوا فكيف يعجب منهم ؟!

والحق أن المتعجب هنا المهدي حفيد النبي صلى الله عليهما وسلم مما يؤتيه الله تعالى من فتوح العلم ، ثم من يعاصره يسخر مما آتاه الله تعالى من علم ، هذا هو الحق والضمير بذلك الحرف لا يعود للنبي ﷺ فضلا عن ضلال ابن مسعود وغيره بإرجاع ذلك للعليم الحكيم .

وهناك جملة من أخبار الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم بينوا فيها وجه ذلك ويكفي شهادة الله عز وجل في كتابه الزبور على ذلك ما يغني عن سواه :

﴿ اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ ، طَرِيقَ وَصَايَاكَ فَهِّمْنِي ، فَأُنَاجِيَ بِعَجَائِبِكَ . هذِهِ هِيَ تَعْزِيَتِي فِي مَذَلَّتِي ، لأَنَّ قَوْلَكَ أَحْيَانِي ، الْمُتَكَبِّرُونَ اسْتَهْزَأُوا بِي إِلَى الْغَايَةِ . عَجِيبَةٌ هِيَ شَهَادَاتُكَ ، لِذلِكَ حَفِظَتْهَا نَفْسِي ، فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنِيرُ ، يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ ، وَرِثْتُ شَهَادَاتِكَ إِلَى الدَّهْرِ ، لأَنَّهَا هِيَ بَهْجَةُ قَلْبِي ، مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي ، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ ، عَجِيبَةٌ هذِهِ الْمَعْرِفَةُ ، فَوْقِي ارْتَفَعَتْ ، لاَ أَسْتَطِيعُهَا ، أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ ؟

وَصِيَّتُكَ جَعَلَتْنِي أَحْكَمَ مِنْ أَعْدَائِي ، لأَنَّهَا إِلَى الدَّهْرِ هِيَ لِي ، أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا ، عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا . مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اَللهُ عِنْدِي مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا ، إِنْ أُحْصِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الرَّمْلِ ﴾ .

وعلى لسان أيوب عليه الصلاة والسلام يقول : ﴿ لأَنَّكَ مَنَعْتَ قَلْبَهُمْ عَنِ الْفِطْنَةِ لأَجْلِ ذلِكَ لاَ تَرْفَعُهُمْ ... يَتَعَجَّبُ الْمُسْتَقِيمُونَ مِنْ هذَا ﴾ .

أما بخصوص قوله : (إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن) فقد سبق الكلام في ذلك ما يغني عن تكرير القول فيه .

وهكذا هم لا زالوا يدسون تحت دعوى أمروها كما رويت كل ذلك الجهل وكل تلك الأكاذيب .

وعليه عرفنا مما قررت قبل عن المسيح وغيره عليه الصلاة والسلام أن الله عز وجل مما يمكن معاينته مثالا بالدنيا وفي الجنة بالصورة التي يشاء عز وجل ، أما اعتقاد امكان رؤية ذاته المحجوبة فهو كذب وضلال مبين من كل من يزعم جواز ذلك سلفا كانوا أو خلفا .

وسبب تقريري هذا حول هذا المعتقد ما ورد في الزبور من جواز معاينة مثال الله عز وجل بالدنيا للمهدي ، كما حصل مع موسى ومن انتخب من رؤوس الأسباط ، وما ثبت في الإنجيل من معاينة آدم عليه الصلاة والسلام الله

عز وجل وهو في الدنيا أول ما خلق وقد روي عن المصطفى ﷺ ما يشهد لذلك كما سيمر معنا ذكره .

وقد وردت نبوءة عن ارميا عليه الصلاة والسلام تفيد تحقق ذلك للمهدي مثل ما تحقق ذلك لآدم وموسى عليهما الصلاة والسلام في قوله : ﴿ وَيَكُونُ قَائِدُهُمْ مِنْهُمْ ، وَيَخْرُجُ حَاكِمُهُمْ مِنْ وَسَطِهِمْ فَأَسْتَدْنِيهِ فَيَدْنُو مِنِّي ، إِذْ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى الاقْتِرَابِ مِنِّي مِنْ نَفْسِهِ ، وَتَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً ﴾ ، والتقريب هنا معية خاصة ولا شك ولما كانت لإظهار مزيد تكريم وبهاء له دخل في معنى ذلك المشاهدة مثل ما اقتضى دخول التكليم .

ونظيره ما سيتحقق لنبيه أيوب عليه الصلاة والسلام ان كان بعلم الله عز وجل أنه ممن انتخب مع الأشهاد وقدر له ذلك ، وقد ورد له كلاما صريحا في ذلك قريبا سأورده ، ونظيره نبي الله تعالى داود نفسه صلوات ربي وسلامه عليه ، فقد يكون المعني بنصه الذي سأذكره قريبا نفس النبي داود إن كان هو كذلك ممن كتب مع الشهداء وإن لم يكنه فيقينا المقصود بذلك المهدي ، وقد ورد في الزبور وذكرته قبل والذي يليه وفيه تصريح أكثر في هذا الشأن يدلل وبقوة على أن نبي الله تعالى داود حقا هو ممن كتب مع الشهداء الذين سيرجعون آخر الزمان في اليوم الأخير ، فقال : ﴿ يَارَبُّ ، اذْكُرْنِي فِي رِضَاكَ عَلَى شَعْبِكَ ، تَعَهَّدْنِي بِخَلاَصِكَ ، لِكَيْ أَشْهَدَ نَجَاحَ مُخْتَارِيكَ وَلأَفْرَحَ بِفَرَحِ أُمَّتِكَ ، وَأَفْتَخِرَ مَعَ مِيرَاثِكَ ﴾ . ولا تنسوا هنا تذكر كلام المسيح كيف أنعم الله عليه أن نال الفضل بأن يكون في جملة أمة مُحَمَّد ﷺ برجعته آخر الأيام ، ولا يستبعد أن النص السابق ما هو إلا

الطلب ذاته من نبي الله تعالى داود ، وأن الله عز وجل استجاب له ذلك كما استجابه للمسيح عليهما الصلاة والسلام .

وصرح داود أكثر في رجعته بالقول كما مر معنا قبل : ﴿ يَا إِلهَ الْجُنُودِ ارْجِعَنا ، اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ هذِهِ الْكَرْمَةَ وَالْغَرْسَ الَّذِي غَرَسَتْهُ يَمِينُكَ ، وَالابْنَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ ـ يريد بالابن المهدي نسبه لجده صلوات ربي وسلامه عليه ـ ، مِنِ انْتِهَارِ وَجْهِكَ يَبِيدُونَ . لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَى رَجُلِ يَمِينِكَ ، وَعَلَى ابْنِ آدَمَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ ، فَلاَ نَرْتَدَّ عَنْكَ ، أَحْيِنَا فَنَدْعُوَ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ ، أَرْجِعْنَا ، أَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ ﴾ .

وذلك كله ما دعاني لتقرير هذه المسألة بعد ما أصبحت عقيدة بالنسبة لي لا بد من تحرير الكلام فيها والتحقيق بأصولها .

ومن أدلة هذه العقيدة كما قلت غير ما ذكرت عن النبي ارميا عليه الصلاة والسلام ، ما ورد في زبور داود عليه الصلاة والسلام ، قوله : ﴿ أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ ، أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ ﴾ ، أي بمثالك يدل عليه ما ورد في سفر التكوين قوله : ﴿ وَقَالَ اللهُ : نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ﴾ ، وما ثبت عن المصطفى ﷺ في خلق آدم على صورة الرحمان عز وجل وهو في الصحيحين .

وورد في نسخة الكاثوليك بالتصريح بالصورة : ﴿ وأشبع عند اليقظة بصورتك ﴾ .

والكلام الوارد وينسب للزبور هنا لا معنى له إلا بمشاهدة المهدي لمثال الله عز وجل وصورته حين حلوله فوق جبل أحد بالمدينة المنورة ، أو أن المعني داود نفسه بتلك النبوءة ، ومهما يكن فالكلام من بعد من المعني بتلك النبوءة ، في بيان ما دلت عليه في جواز مشاهدة مثال الله عز وجل زمان عودة الشهداء ليتم الله بهم مقصده من اكتتابهم ونزعهم من أممهم .

وهذه إلماحة من نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام في ذلك قال : ﴿ يَكُونُ الْقَدِيرُ تِبْرَكَ وَفِضَّةَ أَتْعَابٍ لَكَ لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالْقَدِيرِ وَتَرْفَعُ إِلَى اللهِ وَجْهَكَ تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ ، وَنُذُورُكَ تُوفِيهَا وَتَجْزِمُ أَمْرًا فَيُثَبَّتُ لَكَ ، وَعَلَى طُرُقِكَ يُضِيءُ نُورٌ ﴾ .

ومما نسب لأيوب عليه الصلاة والسلام قوله : ﴿ أعلم أن إلهي حي وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلصي ﴾ ، وقبل ما أبين مدى تحريف عباد الصليب على نص نبوءته هذه أحب أورد نبوءته الأخرى والتي كما داود توسع فيها بذكر رجعته عليه الصلاة والسلام للإشهاد ، فقال : ﴿ مَنْ يُعْطِينِي أَنْ أَجِدَهُ ، فَآتِيَ إِلَى كُرْسِيِّهِ أُحْسِنُ الدَّعْوَى أَمَامَهُ ، وَأَمْلأُ فَمِي حُجَجًا ، فَأَعْرِفُ الأَقْوَالَ الَّتِي بِهَا يُجِيبُنِي ، وَأَفْهَمُ مَا يَقُولُهُ لِي ، أَبِكَثْرَةِ قُوَّةٍ يُخَاصِمُنِي؟ كَلاَّ وَلكِنَّهُ كَانَ يَنْتَبِهُ إِلَيَّ .. هأَنَذَا أَذْهَبُ شَرْقًا فَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ ، وَغَرْبًا فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ ، شِمَالاً حَيْثُ عَمَلُهُ فَلاَ أَنْظُرُهُ. يَتَعَطَّفُ الْجَنُوبَ فَلاَ أَرَاهُ . لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي ، إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ . بِخَطَوَاتِهِ اسْتَمْسَكَتْ رِجْلِي ، حَفِظْتُ طَرِيقَهُ وَلَمْ أَحِدْ ، مِنْ وَصِيَّةِ شَفَتَيْهِ لَمْ أَبْرَحْ ، أَكْثَرَ مِنْ فَرِيضَتِي ذَخَرْتُ كَلاَمَ فِيهِ . أَمَّا هُوَ فَوَحْدَهُ ، فَمَنْ يَرُدُّهُ ؟ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ ، لأَنَّهُ يُتَمِّمُ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ ،

وَكَثِيرٌ مِثْلُ هذِهِ عِنْدَهُ ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْتَاعُ قُدَّامَهُ ، أَتَأَمَّلُ فَأَرْتَعِبُ مِنْهُ ، لأَنَّ اللهَ قَدْ أَضْعَفَ قَلْبِي وَالْقَدِيرَ رَوَّعَنِي ، لأَنِّي لَمْ أُقْطَعْ قَبْلَ الظَّلاَمِ ، وَمِنْ وَجْهِي لَمْ يُغَطِّ الدُّجَى ﴾ . وفي كل ما قاله اشارات لاختياره مع الأشهاد .

لكن العجب اتفاق ما قيل هنا مع ما قيل بحق المصطفى ﷺ في رجعة كل منهما للإشهاد ، فهنا يقول أيوب عليه الصلاة والسلام :﴿ يُتَمِّمُ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ ، وَكَثِيرٌ مِثْلُ هذِهِ عِنْدَهُ ﴾ وفي القرآن بحق النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وقوله وكثير مثل هذه عنده اشارة لكثرة من فرض عليهم من الأنبياء هذا الإشهاد فيتممه الله تبارك وتعالى كما كتب ووعد .

ونظيره في الزبور وذكرته قبل قليل : ﴿ يَا إِلهَ الْجُنُودِ ارْجِعَنَا ﴾ و ﴿ أَحْيِنَا فَنَدْعُوَ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلهَ الْجُنُودِ ، أَرْجِعْنَا ، أَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ ﴾ . والحق يشهد بعضه لبعض ، والباطل هو الذي يختلف ويتنافر ويتضاد دوما .

ومنهم نبي الله تعالى دانيال عليه الصلاة والسلام حيث قيل له : ﴿ وأنت اذهب إلى الانقضاء وستستريح وتقوم في قُرعتك إلى انقضاء الأيام ﴾ . ويشهد لكل ذلك القرآن كما قلت قبل بقوله عز وجل : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ ، ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ . وعلى ذلك القصد من كلام النبي دانيال قوله: ﴿ وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ ، الْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ ﴾ ،

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾،﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ، ولا يحصي عددهم إلا المولى عز وجل، حتى صرح المسيح بإنجيله أن أحد الفريسيون اختير لمقام الشهداء وبعد أن سرد قصصه قال : ﴿ لقد كان هذا الرجل فريسيا حقيقيا وإن شاء الله أمكنا أن نأخذه يوم الدين صديقا لنا ﴾." الفصل 151 "

ويقول أحد كتاب العهد القديم ممن له باع واسع بالاطلاع على أخبار الأنبياء : " أخنوخ أرضى الرب فنقل وسينادي الأجيال إلى التوبة ".

بينما قال عن إيليا النبي صلوات ربي وسلامه عليه : "وقام إيليا النبي كالنار وتوقد كلامه كالمشعل .. وقد اكتتبه الرب لأقضية تجري في أوقاتها" .

ويلاحظ هنا قوله عن إيليا بأنه اكتتب نظير قول الله تعالى " أُقِّتَتْ " ويتضح المعنى برجعتهم لما قدره تعالى من اشهاد أولئك الأنبياء على أقوامهم .

وعلى وفق ما ذكر ذلك الكاتب " يشوع بن سيراخ " ندرك بأن هذا المعتقد معلوم لديهم أو على الأقل علماء بني إسرائيل القدامى منهم بما صرح به هذا اليشوع واثبت ذكره بانجيل المسيح عليه الصلاة والسلام الصحيح .كتبه تلميذه البار برنابا ﷺ . .

بل يذهب ذلك الكاتب لأبعد من ذلك حين سرد مناقب الأنبياء وبلغ ذكر نبي الله تعالى حزقيال عليه الصلاة والسلام فقال : " ورأى حزقيال رؤيا المجد التي أراه إياها بمركبة الكروبين ، أنذر الاعداء بالمطر ووعد المستقيمين في طرقهم بالإحسان ، لتزهر عظام الأنبياء الاثني عشر من مكانها فإنهم عزوا وافتدوا بإيمان الرجاء " . ولا ندري هل علم أسماءهم كما علم عددهم ؟

وقد يكون منهم بعض من يوصفون قديما في بني إسرائيل بالقضاة وكانوا أنبياء مخلصين صالحين ، فأولئك قال عنهم ذلك الكاتب أيضا :

" والقضاة كل منهم باسمه الذين لم تزن قلوبهم على الرب ولم يرتدوا عنه ، ليكن ذكرهم مباركا ولتزهر عظامهم من مواضعها ، وليتجدد اسمهم وليمجدهم بنوهم " .

وابتدأ بذكر صموئيل منهم واثنى على ذكره أنه : " بإيمانه اختبر أنه نبي وبإيمانه علم انه صادق الرؤيا " .

ثم ثنى بذكر النبي " ناثان " وأنه كان رائيا في زمان خليفة الله تعالى داود عليهما الصلاة والسلام .

أقول : أما بخصوص صموئيل عليه الصلاة والسلام ففي النبوءات تلك الإشارات في رجعته من ذلك ما قاله ارميا في رؤيا له عليه الصلاة والسلام : ﴿ وحَتَّى لَوْ مَثَلَ مُوسَى وَصَمُوئِيلُ أَمَامِي ، مِنْ أَجْلِ الشَّعْبِ فَإِنَّ قَلْبِي لَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ ، اطْرَحْهُمْ مِنْ مَحْضَرِي فَيَخْرُجُوا ، وَعِنْدَمَا يَسْأَلُونَكَ : إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ ؟ أَجِبْهُمْ : هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ : مَنْ هُوَ لِلْوَبَإِ فَبِالْوَبَإِ يَمُوتُ ، وَمَنْ هُوَ لِلسَّيْفِ فَبِالسَّيْفِ يُقْتَلُ ،

وَمَنْ هُوَ لِلْمَجَاعَةِ فَبِالْمَجَاعَةِ يَفْنَى ، وَمَنْ هُوَ لِلسَّبْيِ فَإِلَى السَّبْيِ يَذْهَبُ ﴾ . انظروا جيدا لتقسيمات العذابات تلك واعتبروا بما بدأ الناس يشكون منه في زماننا من تنوع المهالك وكثرة المخاطر ليدرك من لا زال به بقية عقل أن هؤلاء هم المعنيين بكل تلك النبوءات ، وأيضا من المشاهد بانطباق تلك النبوءة عليهم اليوم تخصيص الله عز وجل لكل شعب وقوم عذابهم الخاص بهم ، فمنهم كمصر مثلا يبتلى اكثر بانهيار البنايات ، ومثل بعضهم بشرق آسيا يبتلى بافاضة مياه البحر كما حصل باندونيسيا واليابان لاحقا ، ومثل الحرائق تكثر بقوم دون غيرهم ، وأيضا العواصف الشديدة والطوفانات ، وكذلك الجفاف والجوع يسلط أكثر على قوم أكثر من غيرهم ، وهكذا قيسوا على معنى نص تلك النبوءة ستجدونه كما قلت لكم مما يؤكد على أن تحقق تلك النبوءات حقا أنها على رؤوس هؤلاء الأشرار وليس على أقوام قبلهم .

وذكر موسى وصموئيل في سياق هذ الذكر اشارة لرجعتهما عليهما الصلاة والسلام ، لأن من يدرك هو من يمكنه الشفاعة في هؤلاء أما من لن يدرك ذلك فمن اللغو تخصيص اسمه في ذلك وهو ليس ممن سيدرك عذابات أولئك ، والرب منزه عن اللغو ولا يقول إلا الحق في كل شيء .

ونظير هذا ما قاله حزقيال عليه الصلاة والسلام في تعداد العذابات ومنع شفاعة من سيدركهم من الأنبياء : ﴿ إِذَا أَخْطَأَتْ إِلَيَّ أَرْضٌ وَخَانَتْ عَهْدِي ، أُعَاقِبُهَا وَأُعْوِزُهَا مَؤُونَةَ الْخُبْزِ وَأُشِيعُ فِيهَا الْجُوعَ ، وَأُفْنِي مِنْهَا النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ ، وَحَتَّى لَوْ كَانَ فِيهَا هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ : نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ فَإِنَّهُمْ يَخْلُصُونَ وَحْدَهُمْ فَقَطْ بِبِرِّهِمْ ﴾ . فذكر مع الجوع الوبأ والسيف وغير ذلك لو شفع فيهم أولئك الأنبياء لن

تقبل شفاعتهم ، وهو نظير ما قاله النبي ارميا في موسى وصموئيل ، ما يفيد الإشارة إلى أن كل أولئك من الشهداء الذين كتب الله عز وجل بعثهم آخر الزمان كل على أمته وقومه .

أما في الزبور فهناك تلك الإشارة لرجعته مع الأشهاد ومعه موسى وهارون صلوات ربي وسلامه عليهم جميعا ، فيقول : ﴿ عَلُّوا الرَّبَّ إِلهَنَا ، اوَاسْجُدُوا عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ . قُدُّوسٌ هُوَ . مُوسَى وَهَارُونُ بَيْنَ كَهَنَتِهِ ، وَصَمُوئِيلُ بَيْنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِهِ ... عَلُّوا الرَّبَّ إِلهَنَا ، وَاسْجُدُوا فِي جَبَلِ قُدْسِهِ ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَنَا قُدُّوسٌ ﴾ . وبذكر موطئ قدميه وجبله المقدس لهو أظهر شيء على المقصود بالرجعة هنا ، فالجبل هنا المراد به جبل أحد مستقر رجعة الأشهاد فموسى صلى الله عله وسلم لم يعبر الأردن ليمر على أي جبل هناك ولا صموئيل أدرك الهيكل ولا جبل الهيكل ، فيقينا المقصود المدينة وجبل أحد وهناك سيكون حلول الرب ومستقر قدميه عز وجل وذلك في القرآن صريح : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ، إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ، إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ . وسماه مقعد صدق بقوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ، وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ، مثل ما سماه لبني اسرائيل بمبوأ الصدق فقال : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ

يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ، وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ ، وهنا فرق ما بين الحال في هذه الأمة وفي بني إسرائيل بالنسبة لمقعد الصدق وقدم الصدق ، وفي بني إسرائيل سماه مبوأ صدق سواء وهم بمصر أو في جزيرة العرب : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وفي الصديق يوسف عليه الصلاة والسلام قال:﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهنا اتفق الزبور والقرآن في حال أمة مُحَمَّد ﷺ بإرجاع الضمير في مقعد الصدق وقدم الصدق للرب جل وعلا نفسه سبحانه ، فكان بحلوله على جبل أحد بالمدينة المنورة له قدم الصدق هناك ومقعد الصدق ﴿ وَاسْجُدُوا عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ قُدُّوسٌ هُو ﴾ ، فلما كان مقامه في هذه الأمة ومستقره على جبل أحد لزمهم بذلك استقرارهم هناك للاستواء على الجبل ما صح على وفقه وصفه بالقدم والمقعد ، أما بحال بني اسرائيل خصوصا بتجوالهم في برية الجزيرة فسماه مبوأ صدق ، وبادراك الفرق هنا ما بين حال التجوال والاستقرار يعرف المعنى والفرق بين تلك الأوصاف التي ذكرت بحال التمكينين تمكين بني إسرائيل ، وتمكينه في هذه الأمة ، ولا مبالغة لما أقول لا مقارنة ما بين التمكينين والخلاصين ، لأن الله تعالى نفسه نفى جواز المقارنة على لسان أحد أنبياءه وهو حجي فقال : ﴿ مَنِ الْبَاقِي فِيكُمُ الَّذِي رَأَى هذَا الْبَيْتَ فِي مَجْدِهِ الأَوَّلِ ؟ وَكَيْفَ تَنْظُرُونَهُ الآنَ ؟ أَمَا هُوَ فِي أَعْيُنِكُمْ كَلاَ شَيْءٍ . تَشَدَّدُوا يَا جَمِيعَ شَعْبِ الأَرْضِ ، يَقُولُ الرَّبُّ وَاعْمَلُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ ، حَسَبَ الْكَلاَمِ الَّذِي عَاهَدْتُكُمْ بِهِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ وَرُوحِي قَائِمٌ فِي وَسَطِكُمْ ، لاَ تَخَافُوا ، لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ : هِيَ مَرَّةٌ ، بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ وَأُزَلْزِلُ كُلَّ الأُمَمِ وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ ، فَأَمْلأُ هذَا الْبَيْتَ مَجْدًا ، قَالَ رَبُّ

الْجُنُودِ : مَجْدُ هذَا الْبَيْتِ الأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الأَوَّلِ ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ ، وَفِي هذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلاَمَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ ﴾ .

ولم ينفك كذلك هذا النص والسياق من إلماحة لرجعة موسى وهارون ، فهم من امكنهم معاينة مجد الله تعالى بزمانهم ومجده الثاني في هذه الأمة بقوله : ﴿ مَنِ الْبَاقِي فِيكُمُ الَّذِي رَأَى هذَا الْبَيْتَ فِي مَجْدِهِ الأَوَّلِ ؟ وَكَيْفَ تَنْظُرُونَهُ الآنَ ؟ أَمَا هُوَ فِي أَعْيُنِكُمْ كَلاَ شَيْءٍ ﴾ هذا لا يصدق إلا مع رجعة موسى وهارون فهم من عاين مجد الله تعالى بوقتهم وسيعاينون مجد الله عز وجل الثاني ، فأتت تقرر هذه النبوءة نفي المقارنة ما بين المجدين حتى أن الأول سيعد لمن عاين الأول وسيعاين الثاني كلا شيء ، تبطل المقارنة ، فياله من أمر عظيم فوق الخيال ولا يطال إلا بالإيمان وتحقق التأويل بتصديق الله عز وجل وعده ، وتصديق ما قاله رسله من قبل .

وذاك هو المقام العظيم المحمود الذي شاء الرب عز وجل أن ينزع له من شاء من رسله والأنبياء ويتخذ منهم شهداء ، ومنهم من كان ذكره بذلك صريحا كالمسيح وادريس وايليا ، ومنهم من كان تلميحا وشبه تصريح كمحمد ﷺ ونوح وموسى وهارون والخليل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ، رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ، وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ .

ومن ورثة الجنة أولئك يعقوب واسحاق صلوات ربي وسلامه عليهما لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً ، وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾. عليا في الآخرين وهي هبة الرحمة ، ويريد جمعهم في جملة الشهداء أمام مقعد الصدق وقدم

الصدق . وأيا كان وصفه لذلك بلسان أو مقعد أو قدم أو مخرج فلا يسميه إلا بالصدق مثاله أيضا قوله على لسان المصطفى ﷺ لما لمح لذلك فقال : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ وهو المقام المحمود الذي وعده : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ، وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ .

حقا انه مقام محمود عظيم وكل من بشر من الأنبياء ووعد بذلك فسيعود ليقوم ذلك المقام العظيم مع إخوانه من الرسل والأنبياء ، ومن كلام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام المذكور قبل : ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ، رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ والذي سيأتي ذكره لاحقا من سورة الصافات ، فكل ذلك مما يدل على أن الخليل عليه الصلاة والسلام ممن سيقوم ذلك المقام المحمود العظيم للشهداء وأنه منهم ولا شك واماتته هنا وحياته الخاصة ليتم له ذلك ، ومثله الصديق يوسف عليه الصلاة والسلام فهما من طلب اللحاق بالصالحين والمراد الشهداء وأمرهم ، وبكل القرآن لم يرد هذا الطلب والدعاء إلا على لسان هذين النبيين الكريمين ابراهيم ويوسف عليهما الصلاة والسلام وذلك اشارة لعودتهما لتحقيق الشهادة مع اخوانهم الأنبياء والرسل ممن كتب لذلك المقام المحمود العظيم ، ولهذا على لسان يوسف في هذا الطلب لم يذكر الموت هناك بل التوفي فقال : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ، ومن جهل المعنى هنا وحسب أنه انما يطلب الإماتة استشكل ذلك وأورد عليه نهي المصطفى ﷺ عن تمني

الموت ، لكن يوسف لم يطلب الموت هنا إنما التوفي كحال عيسى صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ، وعليه فلا التوفي الذي طلبه يوسف النبي هنا عليه الصلاة والسلام هو الموت ، وليست الآخرة هنا إلا آخرة الدنيا ليكون مع الشهداء اخوانه ، وهكذا هو الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وانظروا لما قاله نبيه اشعيا عليه الصلاة والسلام ، يكاد يفضح الأمر :

﴿ وَلَكِنَّ أَمْوَاتَكَ يَحْيَوْنَ ، وَتَقُومُ أَجْسَادُهُمْ فَيَا سُكَّانَ التُّرَابِ اسْتَيْقِظُوا وَاشْدُوا بِفَرَحٍ لأَنَّ طَلَّكَ هُوَ نَدَى مُتَلأْلِئٌ ، جَعَلْتَهُ يَهْطُلُ عَلَى أَرْضِ الأَشْبَاحِ تَعَالَوْا يَا شَعْبِي وَادْخُلُوا إِلَى مَخَادِعِكُمْ ، وَأَوْصِدُوا أَبْوَابَكُمْ خَلْفَكُمْ . تَوَارَوْا قَلِيلاً حَتَّى يَعْبُرَ السَّخَطُ ، وَانْظُرُوا فَإِنَّ الرَّبَّ خَارِجٌ مِنْ مَكَانِهِ لِيُعَاقِبَ سُكَّانَ الأَرْضِ عَلَى آثَامِهِمْ فَتَكْشِفُ الأَرْضُ عَمَّا سُفِكَ عَلَيْهَا مِنْ دِمَاءٍ وَلاَ تُغَطِي قَتْلاَهَا فِيمَا بَعْدُ ﴾ *.

ويقول مع هذا : ﴿ وَيَكُونُ أَنَّ الَّذِي يَبْقَى ويُتْرَكُ فِي دار السلام يُسَمَّى قُدُّوسًا ، كُلُّ مَنْ كُتِبَ لِلْحَيَاةِ فِي دار السلام ﴾ .

ويقول : ﴿ ماذا لي هناك يقول الرب فإن شعبي قد أخذ مجانا والمتسلطين عليه يجلبون يقول الرب واسمي لا يزال يجدف عليه كل يوم ، لذلك يعرف شعبي اسمي في ذلك اليوم لأني أنا المتكلم هآءنذا حاضرٌ . ما أجمل على الجبال أقدام المبشرين المسمعين بالسلام المبشرين بالخير والمسمعين بالخلاص ﴾ .

* في نسخة البروتستانت النص هكذا : ستحيا موتاك وتقوم أشلائي . مضاف لهم شخصيا والله أعلم فإن صح هذا فهو ممن سيرجع للشهادة معهم .

هو كتاب إذا مدونة به اسمائهم ، ففي الزبور يقول عنه : ﴿ لِيُمْحَوْا مِنْ سِفْرِ الأَحْيَاءِ ، وَمَعَ الصِّدِّيقِينَ لاَ يُكْتَبُوا ﴾ .

ويقول حزقيال عنه أيضا عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَلاَ يَكُونُ لَهُمْ مَقَامٌ فِي جَمَاعَةِ شَعْبِي ، وَلاَ تُدَوَّنُ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الكِتَابِ ﴾ .

ويقول عنه النبي ملاخي عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَتَمَّ تَدْوِينُ أَسْمَاءِ مُتَّقِيّ الرَّبِّ وَالْمُتَأَمِّلِينَ بِاسْمِهِ أَمَامَهُ فِي كِتَابِ تَذْكِرَةٍ ﴾ .

أما دانيال عليه الصلاة والسلام فيقول : ﴿ وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ ، وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيق لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ ، وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّون ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ ﴾ .

ويقول النبي ارميا عن ذلك عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّهَا خُطَطُ سَلاَمٍ لاَ شَرّ لأَمْنَحَكُمْ مُسْتَقْبَلاً وَرَجَاءً فَتَدْعُونَنِي وَتُقْبِلُونَ ، وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَأَسْتَجِيبُ لَكُمْ ، وَتَلْتَمِسُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ وَحِينَ تَجِدُونَنِي أَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الأُمَمِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي شَتَّتُّكُمْ إِلَيْهَا ﴾ ، ﴿ فَعَلَ الرَّبُّ مَا قَصَدَ ، تَمَّمَ قَوْلَهُ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِ مُنْذُ أَيَّامِ الْقِدَمِ ﴾ ، ﴿ وَأَجْلِبُ عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ كُلَّ كَلاَمِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ عَلَيْهَا ، كُلَّ مَا كُتِبَ فِي هذَا السِّفْرِ الَّذِي تَنَبَّأَ بِهِ إِرْمِيَا عَلَى كُلِّ الشُّعُوبِ ﴾ .

ثم يقول عليه الصلاة والسلام طالبا الحضور للشهادة : ﴿ دَعْنِي أَرَى انْتِقَامَكَ مِنْهُمْ لأَنِّي لَكَ كَشَفْتُ دَعْوَايَ ﴾ .

ومثله طلب داود عليه الصلاة والسلام كما في الزبور : ﴿ لأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَاضِيًا عَادِلاً ﴾ ، وهذا فيه القطع على حضور داود معهم عليه الصلاة والسلام .

أما حزقيال عليه الصلاة والسلام فيقال له : ﴿ لكن عند وقوع الأمر وها انه قد وقع يعلمون ان نبيا كان بينهم ... فيكون حزقيال لكم آية مثل كل ما صنع تصنعون حين يقع الأمر فتعلمون أني انا الرب ﴾ .

وشاهد كل ذلك في القرآن قوله عز وجل : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ، فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ، هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ، قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ، فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ، كَذَلِكَ

حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ، قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ، وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ، وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ، وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ، وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ، أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ، ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ، وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ، وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ، أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ، هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ .. وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ ، وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ . أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وهكذا كان هذا الأمر العظيم سرٌ لله تعالى وعهد بينه وبين رسله يربط به على قلوبهم ويعلمهم أحكامه من غير أن يعلم الناس عنه بالتفصيل الصريح إلا ما كان من الماحة هنا وهناك ، مثل رفع إلياس وتلميذه يشاهد ، أو رجعته وموسى لملاقاة المسيح وبعض تلاميذه ، وغير ذلك حتى تكرس لدى مثل كاتب اسفار العهد عند اليهود " يشوع " فيما قاله وذكرته قبل عن اكتتاب ايليا ورفع ادريس وعن الأنبياء والقضاة ، وهكذا لمح في زبور داود عن هذا السر بقوله:﴿ سبل الرب جميعها رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته ... سر الرب لمتقيه ولهم يعلن عهده ﴾ وفي نسخة اخرى ﴿ يطلع الرب خائفيه على مقاصده الخفية ويتعهد تعليمهم ﴾ .

ويقول عليه الصلاة والسلام في زبوره : ﴿ أحببت الحق في الأفئدة وفي الخفية أعلمتني الحكمة ، تنضحني بالزوفى فأطهر تغسلني فأبيض أكثر من الثلج ، تسمعني سرورا وفرحا فتبتهج العظام التي هشمتها .. قلبا طاهرا اخلق في يا الله وروحا مستقيما جدد في داخلي لا تطرحني من أمام وجهك ولا تنزع مني روحك القدوس ، اردد لي سرور خلاصك فيعضدني روح نشيط ، أعلم العصاة طرقك فيرجع إليك الخطأة ﴾ . فهذا مما رمز في الزبور في مناجاة النبي بإرجاعه للشهادة .

أما في كتاب الله عز وجل فالتلميحات في ذلك معلومة لدي وقد ذكرت فيها تفصيلات هنا وهناك ومن ذلك في كتابي " وجوب الاعتزال " و " رفع الإلتباس " ، وهنا أؤكد على التنبيه بالنسبة لرجعة الأنبياء التالية اسمائهم لتحقيق الشهادة مع اخوانهم ، وهم نوح وابراهيم وموسى وهارون والياس ، فإن الله تعالى لما قرر الإشارة لذلك في سورة الصافات وضع له هناك مفتاح سر لا يدريه أي أحد وهو (وتركنا عليه في الآخرين) يريد آخر الناس في جيل الأشرار ، ولما كان النبي

الياس من المعلوم يقينا رفعه لإرجاعه في الآخرين كما تقرر ذلك في انجيل المسيح عليه الصلاة والسلام وقد ذكرته من قبل ولا بأس اعيد ذكره هنا ، قال : ﴿ سأعود قبيل النهاية وسيأتي معي أخنوخ وإيليا ونشهد على الأشرار الذين ستكون آخرتهم ملعونة ﴾ . ولما يأتي على ذكره عز وجل في سورة الصافات ثم يقول عنه (وتركنا عليه في الآخرين) ، فهذا مما يعني فيه رجعته ولا شك ، ثم إنه يقرن ذلك القول بالأنبياء المذكورين معه تباعا ما يعني رجوعهم كلهم مثله للشهادة تماما ، وهاكم سرد تلك الآيات في ذكر أولئك جميعا وكلهم يؤكد عز وجل مثل ما أكد على إلياس أنه جعل عليهم في الآخرين ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ، وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ .

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ..

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ، وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ، وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ .

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ، أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ، فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ

الْمُخْلَصِينَ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ....

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ، وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ، أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ، فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ، وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ، وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ . ثم يختم تبارك وتعالى بأن تلك كلمته التي سبقت لهم وأنهم المنصورون الغالبون ، وهو وعد قطعه عز وجل على نفسه في نصرة هؤلاء الأشهاد ومن سيكون معهم : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ، وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ، هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ .

إنها عقيدة حق ووعد حق نص عليها الأنبياء قبل وأنزل القرآن على قلب حبيب الله تعالى مُحَمَّد ﷺ التأكيد على ذلك المعتقد والثناء على من صدق به ، لأنه تصديق بما أنزل على مُحَمَّد ﷺ وبما أنزل من قبله ولا شك .

وبإيجاز أقول هنا في ذلك الخصوص :

أن عدد الأنبياء الذين ذكروا بكتاب الله تعالى القرآن كثر كما يعلم ذلك كل مسلم إلا ان الله تعالى لم يورد بكتابه كلمة " يصدنك " إلا مرتين فقط ، كل منها قصاد ذكر نبي من الأنبياء الذين سيرجعون مع الشهداء ، ولم يتكرر ذلك مع غيرهم ونعتقد بأن ذلك من المثاني بالقرآن التي يقشعر منها جلود الذين يؤمنون ثم تلين جلودهم بعد ذلك لذكر الله تعالى مما يهبهم الله تعالى من إيمان بذلك وخشوع وتصديق وانقياد .

الأولى لموسى صلوات ربي وسلامه عليه فقال تعالى في اول سورة " طه " : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ، إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ ، في حين قال قريبا من ذلك بحق المصطفى ﷺ في خاتمة سورة القصص : ﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وحين يعتبر العاقل متى قال تعالى ذلك بحق مُحَمَّد ﷺ سيجده قاله بعد آيتين فقط من قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وليس لذلك شبيه بتاتا في القرآن إلا ما كان في سورة الزخرف أذكرها تحاشيا من أن يستدرك بها لئيم وهي حجة لنا هنا لأنها وردت للتأكيد على المعنى المقرر هنا ولوما ذلك المحذور لم أعرج على ذكرها ، مع أن بها الحجة أظهر لأنها بصيغة الجمع وفي ذلك تأكيد على خطورة انكار هذا المعتقد على الجميع ، وأعني قوله تعالى حين أشار لعودة المسيح يسوع عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ، وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ . فالخطاب هنا ولو كان بصيغة الجمع " ولا يصدنكم " فلا نعتقد إلا أن المعني به المصطفى ﷺ وحده فهو من انذر بذلك هنا وبآية سورة القصص وأيضا بقوله تعالى يحذره ترك الإيمان بلقاء موسى صلوات ربي وسلامه عليه : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ ، فهو أبدا إذا نهاه عن التشكيك بلقاء الساعة أو أحد الأنبياء ، إلا ينهاه عن الامتراء في ذلك .

ومما يؤكد على ما سبق وبينته أنه معتقد معلوم قديما لعلماء بني إسرائيل ، وأنه إذا نهى الأنبياء عن التشكيك فيه إلا ينهاهم من أن يمتروا به سواء كان ذلك في حق موسى أو عيسى أو مُحَمَّد صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين ، أو كون ذلك آية من آيات الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

ومما يؤسف له أن اليهود وبخوا لكتمانهم ذلك ، فكيف بحال من جهل ذلك ولما بلغه العلم والهدى أنكره أشد الإنكار بل لعن من يعتقده ونسبه بعضهم للإلحاد والكفر وبعضهم للشيطان الملعون ، وتنوعت بذلك الجهالات العظيمة ، ومرده كما ترون للحق ولكتب ربنا وعقيدة الأنبياء ، فلعن الله تعالى الجهل لا يأتي إلا بالشر والضلال .

وأقول : حين يعتبر المؤمن بقوله تعالى لموسى ووحيه له أول ما أوحى له عن الساعة وأنه سيلقاها ، وينهى رسوله أول ما ينهاه عن أن يصد عن الساعة إلا ليعلمه أنه مما قدر عليه أنه سيلقى الساعة ويدركها وأنه سينزع ليكون من الشهداء هو وأخيه وكان الله عز وجل يهيئه لذلك ، ولو لم يكن ذلك على الحقيقة لم يكن معنى لذلك النهي بل يعد من لغو الحديث أو كذبه وتنزه ربنا من أن يقول اللهو والباطل ، بل قال ذلك وهو يعنيه وقدره على موسى ولهذا نهي أيضا نبيه المصطفى ﷺ من أن يمتري بلقاء موسى صلوات ربي وسلامه عليهما ، ولا بلقاء عيسى وهو علم للساعة رفع لأجل أن يعود للاجتماع بسائر الأنبياء الذين وقت لهم تعالى واكتتبهم عنده وانتخبهم للرجعة ليقوموا بالشهادة

كل على أمته ، ﴿ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ ، ﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

ويجدر التنبه هنا لتأكيد المولى على أن النهي عن أن يصد عنها حقيقي وأنه وعيد بحق موسى إذ عاد الضمير بالتردي لموسى نفسه وليس لمن قد يكون الصاد له عنها ، ما يؤكد على ان اعتقاد رجعة موسى للساعة كما عيسى وغيره عليهم الصلاة والسلام اعتقاد حق وليس باطلا كما تزعم ذلك الشياطين اليوم ، ويجهله من جهله من قبل ، لهذا قيل بأن بني اسرائيل لم يهتدوا لنبيهم ورسولهم موسى على قبر ، وهذا مصرح به في كتابهم المقدس ، بل حتى هارون أخيه لما قيل لهم توفي ما كان صعد معه وموسى للجبل أي شاهد حتى يكون الأمر بالخفاء فلا يهتدوا لقبر له ولا يعاينون دفنه لأن أمره مما أبهم عليهم فلم يقم عليه شاهد منهم ، وحتى المصطفى ﷺ لم يشهد دفنه إلا علي وقيل معه العباس رضي الله عنهما ممن لا يستبعد عليهم العلم الخاص وكتمانه .

فكان هنا نهي موسى بلقاء الساعة تصريحا ، وبحق مُحَمَّد ﷺ تلميحا حين قال بذلك ونهاه على سبيل طلب الإيمان بالآيات ومما لا شك فيه ان رجعة الانبياء للإشهاد من آيات المولى عز وجل ، فكان نهاه وقبله نص على أنه سيرجع للميعاد ويعني بذلك ما قدر من رجعته مع أولئك الرسل للإشهاد ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ . ويقول النبي ارميا : ﴿ إِنَّهَا خُطَطُ سَلاَمٍ لاَ شَرٍّ لأَمْنَحَكُمْ مُسْتَقْبَلاً وَرَجَاءً فَتَدْعُونَنِي وَتُقْبِلُونَ ، وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ

فَأَسْتَجِيبُ لَكُمْ ، وَتَلْتَمِسُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ وَحِينَ تَجِدُونَنِي أَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الأُمَمِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي شَتَّتُّكُمْ إِلَيْهَا ﴾ .

إنها عقيدة حق عظيمة كما ترون وسيبارك من يؤمن بها ويلعن من سيلعنها ويكفر بها .

وقال : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ أي يؤمنوا بالوعد وصدقه وهو المتلو هنا لا القرآن ، وإنما القرآن نزل بعدهم وفيه تفصيل هذا الوعد ، وهم يعرفونه حق المعرفة ، قال تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ يعرفون خبر هذا الوعد المفصل أمره عند علماء بني إسرائيل وكانوا يتكاتمونه بينهم ويتواصون على ذلك حتى لا تعرف حقيقة هذا الوعد حسدا منهم أن يعرف أنه في بني إسماعيل في مُحَمَّد ﷺ وحفيده المهدي . قال تعالى : ﴿ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴾ .

وما زالوا يدعونه لأنفسهم وكانوا يستفتحون به على الناس قبل دعوة رسول الله فكشف القرآن كذبهم في ذلك ، ومع ذلك لم ينتهوا وما زالوا يتبجحون في أنه عهد وميثاق من الله قطعه في آبائهم أن يجعله في آخر ذريتهم ، قال تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ .

وقال : ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . يوم لا يغني مولا عن مولا شيئا ولا هم ينصرون ، إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم ﴾ إنما ينصر حين تحقق الوعد الأشهاد من الرسل ومن اتبعهم يومئذ من المؤمنين قال تعالى في ذلك : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون . فتول عنهم حتى حين ﴾ حتى يتحقق الوعد المنتظر ، وتكشف الحقائق وتزول الأكاذيب ، فبتأويل الكتاب يفصل بينهم ويقضى بالحق ويصيبهم العذاب اللازم ، وسماه عذاب يوم عقيم ، وأليم ، العذاب الذي جعل له المولى عز وجل موعدا مسمى وأجلا محتوما لا فكاك لهم منه وقد أكثر سبحانه في تفصيل خبره من ذلك قوله : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة ﴾ و (إما) هنا لتنوع الخطاب لا الشك ، لقوله سبحانه : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ قطع هنا بسبق الهزيمة والتعذيب قبل الساعة ، ويكون على هذا الوعيد بالأمرين بالعذاب والساعة ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ ﴿ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .

وقبل أن يأخذنا الحديث لعصا موسى كيف أنها ستنتهي ليمين المهدي بإذنه تعالى ، سأتطرق لتحريف عباد الصليب لنبوءة أيوب عليه الصلاة والسلام التي سبق ونقلتها وفيها الإشارة لعودته : ﴿ أعلم أن إلهي حي وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلصي ﴾ ، قلب معناها المحرفون الذي كتبوا العهد القديم للسذج والبسطاء من أتباع تلك الديانة الباطلة ، من أن يكون الراجع النبي أيوب نفسه عليه الصلاة والسلام ليكون بدلا منه الراجع ابن الله عليهم اللعن ما أكذبهم على الله تعالى ورسله ، ومعلوم أن أيوب قبل حياة المسيح ومع هذا جعلوا قوله ذاك في المسيح وأنه إلهه وفاديه أيضا ولم

يتساءل الأغبياء ممن اتبعهم كيف يفديه المسيح وأيوب قبله لم يعلم به بعد ؟! :

﴿ إني لأعلم بأن فادي حيٌ وسيقوم آخرا على التراب ، وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء بجلدي من جسدي أعاين الله .. قد فنيت كليتاي شوقا في داخلي ﴾ .

وانظروا لتقرير إلههم الباطل الحقيقي في عقيدة الفداء بولس ماذا يقول في ذلك : " الجميع قد خطئوا فيعوزهم مجد الله ، فيبررون مجانا بنعمته بالفداء الذي هو بالمسيح يسوع ، الذي جعله الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره بمغفرة الخطايا السالفة ، التي انما احتملها الله ليظهر بره في هذا الزمان حتى يكون هو بارا ومبررا من له الإيمان بيسوع المسيح ، فأين المفاخرة إنها قد ألغيت ، وبأي ناموس أبناموس الأعمال ! ، لا بل بناموس الإيمان ! ، لأنا نحسب أن الإنسان إنما يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس ، ألعل الله إله لليهود فقط أليس للأمم أيضا ، بلى هو للأمم أيضا ، فإن الله واحد ويبرر الختان بالإيمان والقلف بالإيمان ، أفنبطل الناموس بالإيمان حاشى بل نثبت الناموس". "

من رسالته لأهل رومية "

ثم هو مستمر بهذيانه لكن لهدف شيطاني بأن يدخلهم كلهم مع شركهم في جهنم ، لأن ناموسى موسى فرض الختان واعتبر المسيح من يرفض الختان غير مستحق لدخول الجنة ولن يدخلها بل سيدخل النار ، فأتى ابليس لهم على لسان ذلك الملعون ليتوج شركهم بيسوع دخولهم جهنم غير مختونين ، لقد عطل الشيطاني مع كل كذبه بدعوى الألوهية ليسوع ، التحاكم للناموس الموسوي والبر بالأعمال الصالحة على وفق تلك الشريعة ، فاختزل الصلاح الذي دل عليه ناموس موسى ﷺ وضبط على وفقه قوانين الأعمال فجعل الحكم بولس بدلا من ذلك لما أسماه بهذيانه بناموس الإيمان ، فمن يريد ينال البر والخلاص عليه بناموس الإيمان الذي زعم ولو عارض ناموس شريعة موسى وأعمالها ، وهو

يريد طبعا إيمانه الخاص بألوهية يسوع المسيح وتعطيل أكبر معضلة واجهته في تلك الشريعة وهي حكم الختان ولم ينفتح له الطريق بالدعوة للشرك والكفر إلا بإبطال حكم الختان حتى بلغنا الوقت بإحدى محاكم ألمانيا بتجريم الختان على المسلمين واليهود سواء ، وهي من آخر تقليعاتهم الكفرية واتماما لشيطنة بولس السابقة .

وتمعنوا كذلك في نتيجة هلوسات الشيطاني بولس هذا ماذا انتجت كمثال في الرعاع اليوم من أتباع أكاذيبه وهلوساته غير ما آل إليه الأمر بتلك المحكمة في ألمانيا مؤخرا ، وكل ذلك من تسويغ الشيطان على لسان بولس للاستهانة بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام التي لم يسع المسيح نفسه ولا يمكنه أن ينقض ولا حكما واحدا فيها أما ابليس فهو أجرأ وعلى النقض لها أقدم لأنه يقصد الكفر لا الإيمان الحق ، مع أنه وبالرغم من ذلك فبولس نفسه ذم اتيان النساء من أدبارهن أو بعضهن البعض ، أو الذكور حين يأتون بعضهم البعض وسمى ذلك فحشا كما ناموس موسى وشريعة كل الأنبياء ، لكن تمعنوا لما آلت إليه أمور من يدعي اتباع دينه اليوم ، فلا هم ليسوع ولا لشريعة موسى صلوات ربي وسلامه عليهم ولا حتى لبولس وإيمانه الشيطاني ، انسلاخ يتبعه انسلاخ حتى باتوا جردا من كل شيء من الإيمان الحق وأعمال الشريعة الحقة ، فلا هم لأنبياء الصدق ولا أنبياء الكذب ، لهذا تصفهم النبوءات بشر الخلق وأن عليهم اللعنات الكثيرة وسيدمرهم الله لعظيم كذبهم عليه وعلى رسله.

قال بولس الكافر بالله تعالى ونبيه يسوع عليه الصلاة والسلام : " أسلمهم الله إلى أهواء الفضيحة فإن إناثهم غيرن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكران أيضا تركوا استعمال الأنثى الطبيعي والتهبـــوا بعشق بعضهم بعضا ففعل الذكران بالذكران الفحشاء ونالوا في أنفسهم الجـــزاء اللائق بضلالهم *، ممتلئين من كل إثم وشر وزنى وبخل وخبث مفعمين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وإساءة نمامين .. وهم مع معرفتهم قضاء الله لم يفهموا أن الذين يفعلون مثل هذه يستوجبون الموت وليس الذين يعملونها فقط بل أيضا الذين يرضون عن فاعلها ". " المصدر السابق "

من هؤلاء يا بولس ؟!

قال هم الذين : " عرفوا الله ولم يمجدوه ولم يشكروه كإله بل استبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد بشبه صورة إنسان ذي فساد ، الذين أبدلوا حق الله بالباطل واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك مدى الدهور ". " المصدر السابق "

---

* نشر موقعنا المبارك عدة ملفات ومواضيع تتعلق بهذا والأمر وكلها تدل على مدى انغماس هؤلاء الكفرة الملاعين بتلك الشرور التي حكاها رسولهم الإبليسي بولس عن خصومه في وقته وها هي تنقلب على أتباعه وتصبح سمات بارزة فيهم جزاء وفاقا .

وها هي جملة منها ومن عناوينها تعرف :

- ايرلندا تشهد اول ارتباط لسحاقيات بالمملكة المتحدة
- عالم المخنثين عالمهم ! (ادخل وانظر بعينيك)
- التون جون تزوج صديقه
- كاليفورنيا ولاية الشيطان !
- اللهم رحماك لا ترحمنا معهم ، قسيس يفعل به على رأس كنيسة !!
- أوباما يستضيف حفل زواج لمثلى الجنس فى البيت الأبيض
- امرأة في الكونجرس الأمريكي راعية للشواذ جنسيا
- نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن يقول أن إجماع الأمة على زواج المثليين أمر لا مفر منه .

لكنا يا بولس الآن نشهد انقلاب على تأصيلك فهاهم أتباعك الكفرة الملعونين يتسابقون لما انكرت حتى أن أوباما المشؤوم ببيتهم الملعون يبارك نكاح الرجل للرجل ويعقد لهم قرانا في بيتهم الحاكم ، وفي بريطانيا وفرنسا كلهم يباركون ما ذميت وحاولت الصاقه بمن كفر بكفرك وادعائك الألوهية بإنسان لكن بان أخيرا من يستحق كلامك وبجدارة ، فهل ترى ينفعهم تعليق صليبك ولو فعلوا ما فعلوا ، خصوصا وقد نفيت استحقاقهم للعذر : (حتى إنهم لا معذرة لهم) . فأين الفداء أيها الكافر الملعون ؟!

﴿ العصا بيد المهدي ﴾

لا يعرف المجد في بني اسرائيل من غير وجود تابوت العهد وبه العصا ولوحي العهد ونسخة التوراة ، وحين سلب التابوت الفلسطينيون من اليهود صرخت زوجة أبن أحد الأنبياء القضاة من بينهم : (قَدْ زَالَ الْمَجْدُ مِنْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّ تَابُوتَ اللهِ قَدْ أُخِذَ) . " صموئيل الأول "

ولما كانت العصا وتابوت العهد ولوحي العهد مما اتخذ الرب شهادة من قبل على بني إسرائيل * صلح بتدبيره تبارك وتعالى أن يرجع بها مع التابوت لتمام الشهادة على اليهود خاصة وعلى الخلق كافة وليكون المجد ثانية في هذه الأمة ، خصوصا وأن سنة الله عز وجل أنه ما كان في بني إسرائيل شيء وإلا وسيكون نظيره في هذه الأمة ، والدليل عليه قوله عز وجل : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، وقد عُلم أن استخلاف من سبق كان بتعيين الخليفة اختيارا منه عز وجل ولم يترك ذلك لا لنبي ولا لغيره ، مع أن بني إسرائيل كان مبدأ طلبهم بأن يكون عليهم ملكا كما الشعوب من حولهم من نبيهم صموئيل عليه الصلاة والسلام ، لكن الله عز وجل هو من عين ذلك الملك عليهم وجعل علامة صدق ذلك الاختيار منه أن التابوت وما فيه تأتي به الملائكة محمولا إليهم لا يمسه بشر ، وسيكون في هذه الأمة مثل ذلك لقوله تبارك وتعالى : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ، ﴿

---

* ﴿ خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ ، ﴿ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ ، عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ ، فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا ﴾ ، وفي عصا الرب قال : ﴿ إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلاً : هَاتِيَا عَجِيبَةً ، تَقُولُ لِهَارُونَ : خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا ﴾ .

وَقَالَ لَهُـــمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ... إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . ويجب أن يعي من سيقف على كلامي هنا أن التابوت هو عند الله عز وجل وهو ليس مما يمكن لأي أحد من البشر الاستحواذ عليه وإلا حلت بمن يضع عليه يده مصائب وكـــوارث كما جرى للفلسطينيين في وقته ولا يمسه بشر غير مستوجب له ذلك شرعا إلا وهـلك ولو كان ابن نبي كما حصل لولدي هارون ﷺ ، وانقطاع ذكره من بني إسرائيل أظهر برهان على ما أقرر هنا ، ولأنه من الله عز وجل شهادة على البشر لا يمكن لأي كان أن يتملكه لا يهود ولا غير يهود ، وسيكون اتيان الله به لمن سيختاره ابلغ احراج لهم واقامة شهادة عليهم لا يسعهم انكار ذلك ، لدلالة اثر العصا بيد من سيختاره الله عز وجل كما كان حصل مع موسى وهو مطلبهم الأسمى أصلا ، وحين يجاب طلبهم ستنتهي كل دعوى كاذبة زائفة على أمر الله عز وجل هذا : ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ، قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . انهم ينتظرونه أن يؤتى مثل ما أوتي موسى تماما ولن يتزحزحوا من مقامهم ما لم يشاهدوا عصا موسى صلوات ربي وسلامه عليه ، وعصا موسى بالطريق عين الله عز وجل مكان تسليمها وتحديدا من أمام باب مقبرة الشهداء بالمدينة المنورة ، تم تعيين الحامل والمحمول ، وماذا قال في الزبور عن ذلك ؟ ، قال : ﴿ إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا ، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي ﴾ .

وقبل لا أسرد كلام كل الأنبياء في تلك العصا أحب أبين كيف عودهم المولى عز وجل على شهادة العصا فقد ورد ذكر عصا الشهادة تلك فيهم ونسبها لهارون وقد جاء في اخبارهم بمصر أن عصا الرب عز وجل كذلك كان حملها هارون ، ولا أدري العصا التالي ذكرها هي ذاتها أم عصا خاصة بهارون لذلك المقام ، وسنعرف بذكرها اتخاذ تلك العصا شهادة عليهم وان لم تكن هي عصا الله التي ضرب بها الفرعون ، فعصا الله عز وجل تلك احق بالشهادة عليهم على ما تقرر هنا وقد ثبت لديهم حمل عصا الرب بيد هارون عليه الصلاة والسلام أمام الفرعون وسأنقل النص لاحقا ، أما في ذكر العصا الأخرى فقال : ﴿ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ ، عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ ، فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا ﴾ .

وفي عصا الرب قال : ﴿ إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلاً : هَاتِيَا عَجِيبَةً ، تَقُولُ لِهَارُونَ : خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا ﴾ ، هنا تضاف عصا الله عز وجل لهارون والأمر بين من هذا النص فهي التي سعت كالحية فتلقفت ما يفترون من السحر .

وبإرجاعها ليد المهدي قال في الزبور : ﴿ أَنْتَ مَعِي عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي ﴾ تعزية وشهادة أيضا ستكون تلك العصا بيد المهدي ، والملائكة حضور : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً ، الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً ، وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً ، وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ ، فإذا لزم لأمره أن يحضروا التابوت لزم حضورهم وإنزالهم كما حضروا في زمان تعيين أول ملك على بني إسرائيل يحملون التابوت أمام أعين البشر . وهجران القوم للقرآن محقق اليوم بلا شك ، فهذه أحكام نبوءاته العظيمة تترك بل يطعن بها وتكذب ، وأي هجران أبلغ من هذا وأبينه ؟!

﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ ، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ، وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ، لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ .

وماذا يقول النبي ميخا عليه الصلاة والسلام عن تلك العصا ؟!

يقول : ﴿ اِرْعَ بِعَصَاكَ شَعْبَكَ غَنَمَ مِيرَاثِكَ ، سَاكِنَةً وَحْدَهَا فِي وَعْرٍ فِي وَسَطِ الْكَرْمَلِ ، لِتَرْعَ فِي بَاشَانَ وَجِلْعَادَ كَأَيَّامِ الْقِدَمِ ﴾ . وهنا زيادة على التأكيد على ارجاع تلك العصا آخر الزمان من هذا النبي ففي نبوءته تلك فضيحة على تحريف كتبتهم الذين أفسدوا تأريخ الأنبياء كله ، فالنبي يقرر هنا بنبوءته عودة العصا يرعاهم الله عز وجل من خلالها ولقبهم بغنم الميراث اشارة لتحقيق الوعد الذي وعده المولى عز وجل بأن يورثهم الأرض ، وهو يعين كذلك مكان الرعي أين يكون ، فهل ترون باشان وجلعاد في صحراء سيناء كما يدعون أن بتلك المتاهة ضاع بني إسرائيل مع أنبيائهم ؟!

إن الكذبة الكفرة كذبوا على الخلق بتزييفهم ذاك وافتروا كثيرا على تأريخ بني إسرائيل الحقيقي وسأبين لكم في هذا الموضع وأؤكد لكم على ما ذكرت من قبل أن حتى جغرافيا الأرض التي خلقها الله عز وجل تكذبهم ، وباشان تلك ما هي إلا المدينة المنورة وأنهم حين عبروا البحر الأحمر كان عبورهم لأرض الجزيرة العربية والتي يسمونها " البرية " فكانوا يضربون الشعوب التي تأبى مصالحتهم أو تحاربهم وتتعرض لهم ، فيسلبون أماكنهم وأملاكهم ويقضون على ملوكهم كما حصل مع ملك باشان تلك ، واثباتي هذا متضمن كذب دعواهم المتاهة بسيناء التي عينوها قريبا من مصر على حدود فلسطين ، فكيف تكون باشان المدينة المنورة وبها جبل الله عز وجل المقدس ، وهم بذات الوقت دخلوا لأرض سيناء بزعمهم ؟!

فتلك الأسماء للمناطق إما أنها أسماء حقيقية بزمانهم أو استبدلت بتلك الأسماء الحقيقية التي نطقت بها تلك النبوءة وتدل على الأمكنة التي سيستوطنها عباد الله آخر الزمان فيتم لهم بذلك التبديل تمويهها خداعا للناس حتى ما تعرف ، وحتى يتم لليهود ابعاد تأريخهم عن الجزيرة العربية فلا يكون لهم أي ارتباط بها ولا ببيت الله فيها لما يترتب على ذلك من تبعات تاريخية لا يريدون توريط تأريخهم بها .

وكيف تكون باشان في أرض سيناء كما زعموا على حدود مصر وبنفس الوقت فيها جبل الله الذي سيحل عليه تبارك وتعالى ويسكن فيه كما نصت على ذلك النبوءات الكثيرة ويتوافد إليه كل من تكتب له النجاة والخلاص آخر الزمان ، والذي سينشق وينبع منه نهر عظيم مصبه لجهة البحر الشرقي والمصب الآخر للبحر الغربي ؟!

ومن المعلوم جغرافيا أن من مشرق المدينة المنورة بحر الخليج ومن جهة مغربها البحر الأحمر ، أما تلك الناحية التي زعموا فلا بحر شرقها ولا بحر غربها وما أقصر حبل الكذب .

وحتى في هجوم جيش ماجوج على المدينة المباركة تمعنوا بذات الجغرافيا كيف تنطق بتكذيب هؤلاء المحرفة الملاعين الكفرة لتعين بصدق مكان مدينة السلام أورشليم وجبلها المقدس أحد ، فيقول النبي يوئيل عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَالشِّمَالِيُّ أُبْعِدُهُ عَنْكُمْ ، وَأَطْرُدُهُ إِلَى أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَمُقْفِرَةٍ ، مُقَدَّمَتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ ، وَسَاقَتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ فَيَصْعَدُ نَتَنُهُ وَتَطْلُعُ زُهْمَتُهُ ، لأَنَّهُ قَدْ تَصَلَّفَ فِي عَمَلِهِ .

لاَ تَخَافِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ ، ابْتَهِجِي وَافْرَحِي لأَنَّ الرَّبَّ يُعَظِّمُ عَمَلَهُ ، لاَ تَخَافِي يَا بَهَائِمَ الصَّحْرَاءِ ، فَإِنَّ مَرَاعِيَ الْبَرِّيَّةِ تَنْبُتُ، لأَنَّ الأَشْجَارَ تَحْمِلُ ثَمَرَهَا ، التِّينَةُ وَالْكَرْمَةُ تُعْطِيَانِ قُوَّتَهُمَا ، ابْتَهِجُوا وَافْرَحُوا بِالرَّبِّ إِلهِكُمْ ، لأَنَّهُ يُعْطِيكُمُ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ عَلَى حَقِّهِ ، وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مَطَرًا مُبَكِّرًا وَمُتَأَخِّرًا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ ، فَتُمْلأُ الْبَيَادِرُ حِنْطَةً ، وَتَفِيضُ

حِيَاضُ الْمَعَاصِرِ خَمْرًا وَزَيْتًا ، وَأُعَوِّضُ لَكُمْ عَنِ السِّنِينَ الَّتِي أَكَلَهَا الْجَرَادُ ، الْغَوْغَاءُ وَالطَّيَّارُ وَالْقَمَصُ ، فَتَأْكُلُونَ أَكْلاً وَتَشْبَعُونَ وَتُسَبِّحُونَ اسْمَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي صَنَعَ مَعَكُمْ عَجَبًا ، وَلاَ يَخْزَى شَعْبِي إِلَى الأَبَدِ ، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي وَسْطِكَمَ ، وَأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ وَلَيْسَ غَيْرِي . وَلاَ يَخْزَى شَعْبِي إِلَى الأَبَدِ ، وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو. لأَنَّهُ فِي جَبَلِ الرب تَكُونُ نَجَاةٌ ﴾ .

فهذه النبوءة تكشف أيضا عن مكنونات قلوبهم وعقولهم وأن بنيتهم ضرب المدينة المنورة ومكة مستقر الخلاص ومجمع عباد الله تعالى ليمكنهم الله عز وجل في الأرض ، فهؤلاء الكفرة الملاعين من زمن وهم يعدون العدة ويفبركون المؤامرات لتنفيذ تلك المخططات المعادية لتحقيق وعد الله عز وجل وهم يوقنون مكان التأويل لكنهم لا يستطيعون كشف نواياهم والرب عز وجل بعد لم يكشف عن مقاصده بكل جلاء ، وهم ينتظرون ذلك على أحر من الجمر ، وينسقون مع الفرس المجوس اليوم لتنفيذ تلك المخططات ، وما أسهل ذلك عليهم بأن يوقتوا اللحظة ثم يتخبون بسراديبهم ليقذفوا الأرض بغازاتهم السامة وهم يطمعون السلامة فيهلك عدوهم ويبقون هم ، لكن هيهات فاقرأوا ما قاله النبي حزقيال عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَجْعَلُكَ قُوتاً لِكُلِّ أَصْنَافِ الطُّيُورِ الْجَارِحَةِ وَلِوُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ ، فَتُصْرَعُ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ ، لأَنِّي قَضَيْتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ ، وَأَصُبُّ نَاراً عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى حُلَفَائِهِ السَّاكِنِينَ بِأَمَانٍ فِي الأَرْضِ السَّاحِلِيَّةِ ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ ﴾ .

وقال اشعيا النبي ﷺ:﴿ اكْشِفِي نِقَابَكِ ، وَشَمِّرِي عَنِ الذَّيْلِ ، وَاكْشِفِي عَنِ السَّاقِ ، وَاعْبُرِي الأَنْهَارَ ، فَيَظَلَّ عُرْيُكِ مَكْشُوفاً وَعَارُكِ ظَاهِراً ، فَإِنِّي أَنْتَقِمُ وَلاَ أَعْفُو عَنْ أَحَدٍ . إِنَّ فَادِينَا ، الرَّبَّ الْقَدِيرَ اسْمَهُ . اجْلِسِي صَامِتَةً وَأَوْغِلِي فِي الظَّلاَمِ ، لأَنَّكِ لَنْ تُدْعَيْ بَعْدُ سَيِّدَةَ الْمَمَالِكِ ﴾ .

يريد أنهار كوش فأرضهم عبر تلك المياه وهو الشمالي الذي سيطوح به المولى عز وجل بعيدا عن عباده بل يعقبه لمكانه فيدمر قومه هناك ويفرقهم مع رياح السماء الأربع ، وبقيتهم سيعطون الطاعة ويدفعون الهدايا للمدينة ، ورؤوسهم تكبل بالأغلال ويساقون للمذلة بين يدي الله عز وجل بالمدينة المنورة .

ويقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ لاَ يُخَالِفُ التَّوْفِيقُ أَيَّ سِلاَحٍ صُنِعَ لِمُهَاجَمَتِكِ ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَتَّهِمُكِ أَمَامَ الْقَضَاءِ تُفْحِمِينَهُ ، لأَنَّ هَذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ ، وَبِرُّهُمُ الَّذِي أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ ﴾ . فقوله (أي سلاح) منكر يريد به (سلاحهم النووي) وقد توعد منهم أكثر من رأس بضرب المدينة ومكة بالنووي . وبعد احداث سبتمبر 2001 أوّل ما اقترحه السيناتور اليهـــودي الأمريكي توم تانكريدو هو ضرب الكعبـــة بالنووي ، ثـــم جـــدد تهديداته لاحقا : بقصف الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة بالسلاح النووي . (13)

وما قاله المدعو جاك ويلر رجل سياسي واعلامي بارز بينهم : فعندئذ لا مفر أمام الأمريكيين من المطالبة بدكّ مكة بأسلحة نووية وعند ذلك لن يشعروا بالأسف أكثر من شعورهم بالأسف على ضرب هيروشيما بالسلاح النووي اهـ . (14)

وثبت على معهد امريكي في كلية الاركان في نورفولك بفيرجينيا تدريس الضباط الامريكيين على ضرب مكة المكرمة والمدينة المنورة بقنبلة نووية وذلك بهدف محو المدينتَيْن ، وقد اشتهر خبرها بعد ما عارض واستنكر أحد الطلبة بذلك المعهد ولما اشتهر الخبر اضطرت قيادات الجيش تدمدم الموضوع حتى لا تكون فضيحة .

(13) الراية القطرية 2007/8/7

(14) مجلة فرونت بيج ترجمة اسلام ديلي2007/7/15 عن جيمي جلازوف

وتحت هذا العنوان (الجيش الأمريكي يدرس الضباط : تكتيكات ' هيروشيما لحرب شاملة ضد الاسلام) . [15]

وهذه ادخنتهم ، فهل تروها من غير نار ؟! ، إن النبوءات تفضحهم .

قال اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَيَقُولُونَ : لِيُسْرِعْ وَلْيُعَجِّلْ بِعِقَابِهِ حَتَّى نَرَاهُ [16] ، لِيُنَفِّذْ القدوس مَأْرَبَهُ فِينَا فَنُدْرِكَ حَقِيقَةَ مَا يَفْعَلُهُ بِنَا . وَيْلٌ لِمَنْ يَدْعُونَ الشَّرَّ خَيْراً ، وَالْخَيْرَ شَرّاً ، الْجَاعِلِينَ الظُّلْمَةَ نُوراً وَالنُّورَ ظُلْمَةً وَالْمَرَارَةَ حَلاَوَةً وَالْحَلاَوَةَ مَرَارَةً وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ ، وَالأَذْكِيَاءِ فِي نَظَرِ ذَوَاتِهِمْ ، وَيْلٌ لِلْعُتَاةِ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ وَالْمُتَفَوِّقِينَ فِي مَزْجِ الْمُسْكِرِ، الَّذِينَ يُبَرِّئُونَ الْمُذْنِبَ بِفَضْلِ الرِّشْـــــوَةِ ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى الْبَرِيءِ حَقَّهُ ، لِهَذَا كَمَا تَلْتَهِمُ النَّارُ الْقَشَّ ، وَكَمَا يَفْنَى الْحَشِيشُ الْجَافُّ فِي اللَّهَبِ ، كَذَلِكَ يُصِيبُ أُصُولَهُمُ الْعَفَنُ ، وَيَتَنَاثَرُ زَهْرُهُمْ كَالتُّرَابِ ، لأَنَّهُمْ نَبَذُوا شَرِيعَةَ اللهِ وَاسْتَهَانُوا بِكَلِمَةِ الْقُدُّوسِ لِذَلِكَ احْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ فَمَدَّ يَدَهُ عَلَيْهِمْ وَضَرَبَهُمْ ، فَارْتَعَشَتِ الْجِبَالُ ، وَأَصْبَحَتْ جُثَثُ مَوْتَاهُمْ كَالْقَاذُورَاتِ فِي الشَّوَارِعِ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَرْتَدَّ غَضَبُهُ وَلَمْ تَبْرَحْ يَدُهُ مَمْدُودَةً بِالْعِقَابِ ﴾ .

ويقول : ﴿ تَذَكَّرُوا الأُمُورَ الْغَابِرَةَ الْقَدِيمَةَ لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ ، وَقَدْ أَنْبَأْتُ بِالنِّهَايَةِ مُنْذُ الْبَدْءِ ، وَأَخْبَرْتُ مِنَ الْقِدَمِ بِأُمُورٍ لَمْ تَكُنْ قَدْ حَدَثَتْ بَعْدُ ، قَائِلاً : مَقَاصِدِي لاَبُدَّ أَنْ تَتِمَّ ، وَمَشِيئَتِي لاَبُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ ، أَدْعُو مِنَ الْمَشْرِقِ الطَّائِرَ الْجَارِحَ وَمِنَ الأَرْضِ الْبَعِيدَةِ رَجُلَ مَشُورَتِي ، قَدْ نَطَقْتُ بِقَضَائِي وَلاَبُدَّ أَنْ أُجْرِيَهُ ، وَمَا رَسَمْتُهُ مِنْ خِطَّةٍ لاَبُدَّ أَنْ أُنَفِّذَهُ ﴾ .

---

[15] commondreams

([16])شاهده من القرآن قوله عز وجل : ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ، وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ، وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ .

ويقول حزقيال فيهم:﴿ أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي تَحَدَّثْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْغَابِرَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ بِأَنِّي سَآتِي بِكَ عَلَيْهِمْ﴾.

ويقول : ﴿ هَا أَنَا أَنْقَلِبُ عَلَيْكَ يَاجُوجُ فَأُحَوِّلُ طَرِيقَكَ وَأَقُودُكَ وَأُحْضِرُكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ وَآتِي بِكَ وَأُحَطِّمُ قَوْسَكَ فِي يَدِكَ الْيُسْرَى ، وَأُسْقِطُ سِهَامَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى ، وَأُعَرِّفُ اسْمِي الْقُدُّوسَ بَيْنَ شَعْبِي ، هَا إِنَّ الأَمْرَ قَدْ وَقَعَ وَتَمَّ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ . هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَخْبَرْتُ بِهِ ﴾ .

ويقول عنهم : ﴿ وَأَسْتَأْصِلُ الْكَرِيتِيِّينَ ، وَأُبِيدُ بَقِيَّةَ سُكَّانِ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَأُنَفِّذُ فِيهِمِ انْتِقَامِي الْعَظِيمَ بِتَأْدِيبٍ مُفْعَمٍ بِالسَّخَطِ ، فَيُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ ، إِذْ أَصُبُّ نِقْمَتِي عَلَيْهِمْ . أَلاَ تَرْتَعِدُ مُدُنُ السَّوَاحِلِ لِجَلَبَةِ سُقُوطِكِ ، وَلِصُرَاخِ الْجَرْحَى ، وَلِوُقُوعِ الْقَتْلِ فِيكِ ، فَيَنْزِلُ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْمُدُنِ السَّاحِلِيَّةِ عَنْ عُرُوشِهِمْ وَيَخْلَعُونَ جُبَبَهُمْ وَيَطْرَحُونَ عَنْهُمْ أَرْدِيَتَهُمُ الْمُزَرْكَشَةَ ، وَيَكْتَسُونَ الرُّعْبَ ثَوْباً ، وَيَجْلِسُونَ عَلَى الأَرْضِ مُرْتَجِفِينَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، مَذْعُورِينَ لِمَا أَصَابَكِ ﴾ .

ويقول : ﴿ قَدْ أَزِفَتِ الأَيَّامُ وَحَانَ تَحْقِيقُ كَلاَمِ كُلِّ رُؤْيَا ، إِذْ لَنْ تَكُونَ بَعْدُ رُؤْيَا بَاطِلَةٌ .. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ أَتَكَلَّمُ وَالْكَلِمَةُ الَّتِي أَقْضِي بِهَا تَتِمُّ ، مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ ، بَلْ هَا أَنَا أَنْطِقُ بِقَضَائِي فِي أَيَّامِكُمْ أَيُّهَا الشَّعْبُ الْمُتَمَرِّدُ وَأُنَفِّذُهُ فِي حِينِهِ .. لَنْ يَتَأَخَّرَ بَعْدُ تَنْفِيذُ كَلِمَةٍ مِنْ كَلاَمِي الَّذِي قَضَيْتُ بِهِ ، فَكُلُّ كَلِمَةٍ نَطَقْتُ بِهَا لاَبُدَّ أَنْ تَتِمَّ ﴾ .

وانظروا للكذبة اليهود الملاعين لما ادعوا استرجاع سيناء لأنها مستحقة لهم ثم سلموها لجيش مصر المنسق الأول معهم بتلك الأكاذيب ، ثم هو لم يرعاهم هناك الرب عز وجل لا بعصا موسى ولا من غير عصا موسى ، فكيف

يفرطوا فيها وبها جبل الله كما يدعون والمفديين سيحشرون إليه والرب سيتخذ منه مسكنا له ليتمم الله عز وجل لهم حوله الخلاص الذي وعد به ، فانظروا للكذب ما أقصر حبله ، لو ما الحمقى كثر والسفهاء الأخباث المتمردون كأذناب الكلاب معوجة .

وأزيد هنا في الكشف عن حقائق جغرافية تكذب اليهود وكتبتهم الذين عبثوا بالنبوءات وأرادوا طمسها عن الخلق ، كيف أن بتعيين الجبل المقدس أحد ومكانه من المدينة المقدسة أتت الموافقة تامة على لسان أحد الأنبياء وهو حزقيال عليه الصلاة والسلام ، وأين ذلك ؟!

وقع ذلك بما يسمونه رؤيا المجد أي مشاهدات النبي بمنامه لمجد الله عز وجل ، قاله " يشوع " أبرز كتاب العهد القديم : (ورأى حزقيال رؤيا المجد التي أراه إياها بمركبة الكروبين ، أنذر الاعداء بالمطر ووعد المستقيمين في طرقهم بالإحسان) .

فماذا رأي النبي بمنامه ذاك ؟!

لنقرأ : ﴿ فَارْتَفَعَ مَجْدُ الرَّبِّ عَنِ الْكَرُوبِ إِلَى عَتَبَةِ الْبَيْتِ فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنَ السَّحَابَةِ وَامْتَلأَتِ الدَّارُ مِنْ لَمَعَانِ مَجْدِ الرَّبِّ ... وَخَرَجَ مَجْدُ الرَّبِّ مِنْ عَلَى عَتَبَةِ الْبَيْتِ وَوَقَفَ عَلَى الْكَرُوبِيمِ فَرَفَعَتِ الْكَرُوبِيمُ أَجْنِحَتَهَا وَصَعِدَتْ عَنِ الأَرْضِ قُدَّامَ عَيْنَيَّ . عِنْدَ خُرُوجِهَا كَانَتِ الْبَكَرَاتُ مَعَهَا ، وَوَقَفَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ بَيْتِ الرَّبِّ الشَّرْقِيِّ ، وَمَجْدُ الإِلهِ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَصَعِدَ مَجْدُ الرَّبِّ مِنْ عَلَى وَسْطِ الْمَدِينَةِ وَوَقَفَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي عَلَى شَرْقِيِّ الْمَدِينَةِ ﴾ . وهنا الشاهد في تعيين مكان الجبل المقدس من المدينة ، وجبل أحد حقا يبدأ من ناحية المشرق من المدينة المنورة . وهذا تعريفهم لمكانه اليوم جغرافيا بالنسبة للمدينة : (يمتد أحد كسلسلة جبلية من الشرق إلى الغرب ، مع ميل نحو الشمال ، في الجهة الشمالية من المدينة) اهـ .

فانظروا كيف تكذبهم جغرافيا الجبل المقدس ومدينته على وفق رؤيا المجد لدى النبي حزقيا عليه الصلاة والسلام والتي تبشر بأن الله عز وجل سيحل فوق ذلك الجبل آخر الزمان لما يأتي لنصرة دينه شاهدا على الكافة ، وكما نرى جغرافيا التوافق التام ما بين مكان جبل أحد من مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم المباركة ، وما ورد بتلك النبوءة .

كذلك في نبوءة زكريا عليه الصلاة والسلام قال في ذلك : ﴿ فَيَخْرُجُ الرَّبُّ وَيُحَارِبُ تِلْكَ الأُمَمَ كَمَا فِي يَوْمِ حَرْبِهِ ، يَوْمَ الْقِتَالِ وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلَى الجَبَلِ .. الَّذِي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ ، فَيَنْشَقُّ الجَبَلُ مِنْ وَسَطِهِ نَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ الْغَرْبِ وَادِيًا عَظِيمًا جِدًّا ، وَيَنْتَقِلُ نِصْفُ الْجَبَلِ نَحْوَ الشِّمَالِ ، وَنِصْفُهُ نَحْوَ الْجَنُوبِ ..

وَيَأْتِي الرَّبُّ إِلهِي وَجَمِيعُ الْقِدِّيسِينَ ، وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ مِيَاهًا حَيَّةً تَخْرُجُ نِصْفُهَا إِلَى الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ ، وَنِصْفُهَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ فِي الصَّيْفِ وَفِي الْخَرِيفِ تَكُونُ وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى كُلِّ الأَرْضِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ ﴾ .

وكل هذا التواطؤ في تعيين المدينة المقدسة وجبلها المقدس وجغرافيته انما وافق المدينة وجبلها فيما كان الجهل والكذب مطبق على ما يزعمون ، فلا

خغرافيا ولا واقع حقيقي لما يفترون ، إنها صناعة للوهم ليغروا الناس ويبعدوهم عما يريد الله عز وجل وقدر أن يكون في آخر الأيام ، وكل عبثهم بما قاله الأنبياء سيزيله الله تبارك وتعالى بمجرد أن يكون تحقق النبوءات حقيقة واقعية لا مجرد أخبار .

إذا هو الجبل المقدس والواقف عليه المهدي خليفة الله تعالى ورسوله بعد أن يحل فوقه الرب عز وجل ويقول النبي اشعيا في ذلك : ﴿ مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَي الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ، الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ الْقَائِلِ : قَدْ مَلَكَ الرب . رُقَبَاؤُكِ قَدْ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ مَعاً وَشَدَوْا بِفَرَحٍ لأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ عِيَاناً رُجُوعَ الرَّبِّ﴾.

وقال في الزبور : ﴿ يَقُومُ اللهُ يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ كَمَا يُذْرَى الدُّخَانُ تُذْرِيهِمْ كَمَا يَذُوبُ الشَّمَعُ قُدَّامَ النَّارِ يَبِيدُ الأَشْرَارُ قُدَّامَ اللهِ وَالصِّدِّيقُونَ يَفْرَحُونَ يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحًا ... اَللهُ فِي مَسْكِنِ قُدْسِه اَللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ ، مُخْرِجُ الأَسْرَى إِلَى فَلاَحٍ ، إِنَّمَا الْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ الرَّمْضَاءَ . اَللَّهُمَّ عِنْدَ خُرُوجِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ عِنْدَ صُعُودِكَ فِي الْقَفْرِ الأَرْضُ ارْتَعَدَتِ السَّمَاوَاتُ أَيْضًا قَطَرَتْ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ سِينَا نَفْسُهُ مِنْ وَجْهِ اللهِ ، مَطَرًا غَزِيرًا نَضَحْتَ يَا اَللهُ مِيرَاثُكَ وَهُوَ مُعْيٍ أَنْتَ أَصْلَحْتَهُ قَطِيعُكَ سَكَنَ فِيهِ هَيَّأْتَ بِجُودِكَ لِلْمَسَاكِينِ يَا اَللهُ ، الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً ، الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ . جَبَلُ اللهِ جَبَلُ بَاشَانَ جَبَلُ أَسْنِمَةٍ جَبَلُ بَاشَانَ ، لِمَاذَا أَيَّتُهَا الْجِبَالُ الْمُسَنَّمَةُ تَرْصُدْنَ الْجَبَلَ الَّذِي اشْتَهَاهُ اللهُ لِسَكَنِهِ ، بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ . اَللهُ لَنَا إِلهُ خَلاَصٍ ، وَعِنْدَ الرَّبِّ السَّيِّدِ لِلْمَوْتِ مَخَارِجُ [17] .

[17] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدخِلْنِي مُدخَلَ صِدقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ ، تمعنوا جيدا كيف بهذه الآية القرآنية قدم المدخل وآخر المخرج ليطابق المعنى الذي رمز له بالزبور ويريد رجعته للإشهاد مع اخوته الأنبياء يرجع من الموت ، وداود في الزبور بتلك المخارج انما يعني نفسه أيضا وكل من كان من الأشهاد فيعيدهم الله عز وجل لتلك الغاية ، ولهذا سماه كما قلت قبل بمخرج الصدق ليوافيهم على تلك الشهادات بمقعد الصدق وقدم الصدق ﴾

قَالَ الرَّبُّ : مِنْ بَاشَانَ أُرْجِعُ [18] ، أُرْجِعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ .. مِنْ هَيْكَلِكَ فَوْقَ دار السلام لَكَ تُقَدِّمُ مُلُوكٌ هَدَايَا... يَأْتِي شُرَفَاءُ مِنْ مِصْرَ، كُوشُ تُسْرِعُ بِيَدَيْهَا إِلَى اللهِ . لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ الْقَدِيمَةِ . هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ صَوْتَ قُوَّةٍ . أَعْطُوا عِزًّا للهِ . عَلَيهم جَلاَلُهُ ، وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ ، مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اَللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ ، هُوَ الْمُعْطِي قُوَّةً وَشِدَّةً لِلشَّعْبِ ﴾ . كلها رمزت برجعة الأشهاد وحلول الله عز وجل فوق الجبل المقدس بالمدينة دار السلام ، وتجليات الخلاص كلها مثبتة في هذا الإصحاح من زبور النبي داود عليه الصلاة والسلام .

ويقول في الزبور عن تلك العصا بيد المهدي : ﴿ وباسمي قرنهُ يرتفع ، فأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه ﴾ .

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾ . والسلطان النصير له بحفيده المهدي بما يمكن له المولى عز وجل ويكون ذا سلطان في وسط أعدائه ولتلك نبوءة مستقلة في الزبور سبق واشرت لها بأكثر من مكان.

[18] بحال كان الضمير للرب المقصود به هنا مُحَمَّدا ﷺ ففي تلك انباء عظيمة ولا يستبعد ذلك أنه هو المقصود بالرب وسأبين وجه ذلك . وأما إن كان يعني بالرب إلهه الله عز وجل فأيضا يقال : (يُرجِع من الله من باشان ؟) فلم يدفن بالمدينة من الأشهاد إلا النبي ﷺ فيتعين أنه هو المقصود بالإرجاع وأن ذلك مخرج الصدق أي المخرج من الموت بحسب الزبور . وسأقول لكم لم الحق أن المقصود بالرب هنا النبي ﷺ وأن تلك النبوءة بالزبور ما هي إلا اخبار على لسان النبي داود عليه الصلاة والسلام أن النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام سيرجع من المدينة ، أي سيخرج من قبره ليقف على رجليه حيا ليتم الله عز وجل به الإشهاد مثل إخوانه الأنبياء المختارين . أولا : النبي إذا قال للنبي في عرف بني اسرائيل أو الرجل للرجل هو ربي ، فيعني هو حاكمي وهذا من داود لم يقله بحق المصطفى ﷺ إلا لأنه سيكون حاكما عليه ، ولن يكن هذا إلا برجعتهما ثانية للإشهاد .

ثانيا : قد قال هذا صريحا في النبي ﷺ في موضع آخر من الزبور ونصه بحسب انجيل المسيح الصحيح عليه الصلاة والسلام : ﴿ قال الله لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعدائك موطئاً لقدميك . يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك ﴾ . فهنا المخاطب النبي ﷺ وبذلك قال المسيح ﷺ ، والمرسل حفيده المهدي وسلطانه دعوة النبي : ﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ .

واشعيا : ﴿ وَعَصَاهُ عَلَى الْبَحْرِ ، وَيَرْفَعُهَا عَلَى أُسْلُوبِ مِصْرَ ﴾ ، ﴿ أَيْنَ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ رَاعِي غَنَمِهِ أَيْنَ الَّذِي جَعَلَ فِي وَسَطِهِمْ رُوحَ قُدْسِهِ الَّذِي سَيَّرَ لِيَمِينِ مُوسَى ذِرَاعَ مَجْدِهِ ، الَّذِي شَقَّ الْمِيَاهَ قُدَّامَهُمْ لِيَصْنَعَ لِنَفْسِهِ اسْمًا أَبَدِيًّا ، الَّذِي سَيَّرَهُمْ فِي اللُّجَجِ ، كَفَرَسٍ فِي الْبَرِّيَّةِ فَلَمْ يَعْثُرُوا كَبَهَائِمَ تَنْزِلُ إِلَى وَطَاءٍ ، رُوحُ الرَّبِّ أَرَاحَهُمْ هكَذَا قُدْتَ شَعْبَكَ لِتَصْنَعَ لِنَفْسِكَ اسْمَ مَجْدٍ ﴾ .

وحزقيال قال فيها : ﴿ وَأُمِرُّكُمْ تَحْتَ الْعَصَا ، وَأُدْخِلُكُمْ فِي رِبَاطِ الْعَهْدِ ﴾ .

وحتى سليمان عليه الصلاة والسلام بما نسب له ضرب مثلا حكيم في ذكرها فقال : ﴿ اَلسَّوْطُ لِلْفَرَسِ وَاللِّجَامُ لِلْحِمَارِ ، وَالْعَصَا لِظَهْرِ الْجُهَّالِ ﴾ .

وأيوب كذلك عليه الصلاة والسلام : ﴿ بُيُوتُهُمْ آمِنَةٌ مِنَ الْخَوْفِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ عَصَا اللهِ ﴾ .

لقد اتحد ذكر المهدي بالنبوءات مع تلك العصا حتى صار يعرف بها بالكثير منها كقول النبي ميخا عليه الصلاة والسلام : ﴿ اِسْمَعُوا لِلْقَضِيبِ وَمَنْ رَسَمَه ﴾ .

ومثله في نبوءة الزبور المؤكدة بالإنجيل قوله : ﴿ قال الله لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعدائك موطئاً لقدميك ، يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك ﴾ .

وفي الزبور أيضا : ﴿ كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ . قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ ﴾ .

وحتى في مناماتهم كانوا يرون فيه الرؤى كالنبي يعقوب وبلعام وارميا صلوات ربي وسلامه عليه ، قال ارميا بمنام له : ﴿ ثُمَّ صَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلاً : مَاذَا أَنْتَ رَاءٍ يَا إِرْمِيَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا رَاءٍ قَضِيبَ لَوْزٍ . فَقَالَ الرَّبُّ لِي : أَحْسَنْتَ الرُّؤْيَةَ ، لأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا ﴾ .

أما في رؤيا نبي الله تعالى حبقوق عليه الصلاة والسلام فهناك الإشارة التي افادت بأن الله عز وجل سيسلط بيديه على رؤوس الأعداء قوة البرق مثل ما سيسلط عليهم قوة عصا الرب ، فيقول النبي : ﴿ ارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ أُسُسُ السَّمَاوَاتِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ ، لأَنَّهُ غَضِبَ طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، جَعَلَ الظُّلْمَةَ حَوْلَهُ مِظَلاَّتٍ ، مِيَاهًا حَاشِكَةً وَظَلاَمَ الْغَمَامِ ، أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ ، أَرْسَلَ سِهَامًا فَشَتَّتَهُمْ بَرْقًا فَأَزْعَجَهُمْ ، أَخْرَجَنِي إِلَى الرُّحْبِ خَلَّصَنِي لأَنَّهُ سُرَّ بِي ، عَيْنَاكَ عَلَى الْمُتَرَفِّعِينَ فَتَضَعُهُمْ ، هُوَ الإِلهُ الَّذِي يُعَزِّزُنِي بِالْقُوَّةِ ، وَيُصَيِّرُ طَرِيقِي كَامِلاً الَّذِي يَجْعَلُ رِجْلَيَّ كَالإِيَّلِ ، وَعَلَى مُرْتَفَعَاتِي يُقِيمُنِي الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ ، فَتُحْنَى بِذِرَاعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحَاسٍ * ، يَحْفَظُنِي رَأْسًا لِلأُمَمِ ، شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي بَنُو الْغُرَبَاءِ يَتَذَلَّلُونَ لِي مِنْ سَمَاعِ الأُذُنِ يَسْمَعُونَ لِي بَنُو الْغُرَبَاءِ يَبْلَوْنَ وَيَزْحَفُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ الإِلهُ الْمُنْتَقِمُ لِي ، وَالْمُخْضِعُ شُعُوبًا تَحْتِي وَالَّذِي يُخْرِجُنِي مِنْ بَيْنِ أَعْدَائِي ، وَيَرْفَعُنِي فَوْقَ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ ﴾ . يشير لوقوفه على جبل أحد ليرفع ويعرف مجده .

* كاتب عهدهم القديم يقع بالاضطراب في هذا النص فتارة ينسبه للنبي حبقوق وتارة لداود عليه الصلاة والسلام كما ورد ذلك في سفر صموئيل الثاني حرفيا فقال : ﴿ الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ ، فَتُحْنَى بِذِرَاعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحَاسٍ ﴾ . وذلك اقتضى مني التنبيه على ذلك .

ويقول اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ مَنْ أَنْهَضَ مِنَ الْمَشْرِقِ الَّذِي يُلاَقِيهِ النَّصْرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ؟ دَفَعَ أَمَامَهُ أُمَمًا وَعَلَى مُلُوكٍ سَلَّطَهُ ، جَعَلَهُمْ كَالتُّرَابِ بِسَيْفِهِ ، وَكَالْقَشِّ الْمُنْذَرِي بِقَوْسِهِ ﴾ .

وقوس النحاس بمرائي الأنبياء المراد منه البرق وهو صريح في مثل قول حزقيال عليه الصلاة والسلام : ﴿ كَمَنْظَرِ الْقَوْسِ الَّتِي فِي السَّحَابِ يَوْمَ مَطَرٍ، هكَذَا مَنْظَرُ اللَّمَعَانِ مِنْ حَوْلِهِ هذَا مَنْظَرُ شِبْهِ مَجْدِ الرَّبِّ وَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَرَرْتُ عَلَى وَجْهِي ﴾ .

مع قول النبي هوشع عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلاَ أُخَلِّصُهُمْ بِقَوْسٍ وَبِسَيْفٍ وَبِحَرْبٍ وَبِخَيْل وَبِفُرْسَانٍ وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعَ حَيَوَانِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَدَبَّابَاتِ الأَرْضِ ، وَأَكْسِرُ الْقَوْسَ وَالسَّيْفَ وَالْحَرْبَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ ، مع أنه يثبت له القوس سلاحا بنبوءة حجي واشعيا ، دليل على أنه المراد بذلك قوس سماوي لا أرضي .

ويقول عاموس النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَمَاسِكُ الْقَوْسِ لاَ يَثْبُتُ ، وَسَرِيعُ الرِّجْلَيْنِ لاَ يَنْجُو، وَرَاكِبُ الْخَيْلِ لاَ يُنَجِّي نَفْسَهُ ﴾ .

تبطل اقواس البشر ولا يكون إلا قوس الرب بيد المهدي ، يقول حبقوق النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ عُرِّيَتْ قَوْسُكَ تَعْرِيَةً ﴾ ، ﴿ الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ ، فَتُحْنَى بِذِرَاعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحَاسٍ ﴾ .

﴿ عَظِيمٌ مَجْدُهُ بِخَلاَصِكَ جَلاَلاً وَبَهَاءً تَضَعُ عَلَيْهِ . لأَنَّكَ جَعَلْتَهُ بَرَكَاتٍ إِلَى الأَبَدِ. تُفَرِّحُهُ ابْتِهَاجًا أَمَامَكَ تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَار فِي زَمَانِ حُضُورِكَ الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ

الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا لأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ تُفَوِّقُ السِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ ﴾ . " الزبور"

ويقول أيوب عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَفِرُّ مِنْ سِلاَحِ حَدِيدٍ تَخْرِقُهُ قَوْسُ نُحَاسٍ ﴾ .

وعند زكريا عليه الصلاة والسلام : ﴿ عَلَى الرُّعَاةِ اشْتَعَلَ غَضَبِي فَعَاقَبْتُ الأَعْتِدَةَ ، لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ تَعَهَّدَ قَطِيعَهُ ، وَجَعَلَهُمْ كَفَرَسِ جَلاَلِهِ فِي الْقِتَالِ . مِنْهُ الزَّاوِيَةُ مِنْهُ الْوَتَدُ مِنْهُ قَوْسُ الْقِتَالِ وَيَكُونُونَ كَالْجَبَابِرَةِ الدَّائِسِينَ طِينَ الأَسْوَاقِ فِي الْقِتَالِ ، وَيُحَارِبُونَ لأَنَّ الرَّبَّ مَعَهُمْ ، وَالرَّاكِبُونَ الْخَيْلَ يَخْزَوْنَ . وَأُقَوِّيهِم وَأُخَلِّصُهُم وَأُرَجِّعُهُمْ ، لأَنِّي قَدْ رَحِمْتُهُمْ أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ فَأُجِيبُهُمْ . أَصْفِرُ لَهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ لأَنِّي قَدْ فَدَيْتُهُمْ ، وَيَكْثُرُونَ وَأَزْرَعُهُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ فَيَذْكُرُونَنِي فِي الأَرَاضِي الْبَعِيدَةِ ، وَيَحْيَوْنَ مَعَ بَنِيهِمْ وَيَرْجِعُونَ وَأُقَوِّيهِمْ فَيَسْلُكُونَ بِاسْمِي ، يَقُولُ الرَّبُّ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . لقد كتب ذلك وعدا عليه حقا أن يرجعهم وينصرهم ، وهم النزاع من القبائل .

وأختم الكتاب بتقرير التالي : لما كان حلول الرب عز وجل في المدينة فوق جبل أحد حق وجاءت كل تلك النبوءات بالنص عليه ، لزم عليه حق اسقاط أقمارهم الصناعية وتطهير وجه السماء منها كلها ، وإلا للزم منه مع

حلول الرب أنه تبارك وتعالى ليس العلي الأعلى ، وهذا باطل لا يمكن يكون ، لا يمكن يكون هناك مصنوعات بشرية تعلو الرب عز وجل اثناء حلوله بالمدينة ، فهل يمكن تصوير حلوله فوق المدينة على قمة جبل أحد واستتاره بالغمام كما فعل في زمان بني إسرائيل ، من أقمار الصين أو الهند أو أوروبا أو أمريكا !؟

ولما كان هذا باطلا لا يمكن يكون لزم عليه ما تقرر في هذا الكتاب أنه عز وجل وعد بتطهير وجه السماء من كل أباطيلهم تلك وسيرجعون من غير أي رسائل من السماء إلا رسائل الله تبارك وتعالى ، قال في الزبور : ﴿ حَدِّثُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِمَجْدِهِ ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ لأَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ وَحَمِيدٌ جِدًّا ، مَهُوبٌ هُوَ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ لأَنَّ كُلَّ آلِهَةِ الشُّعُوبِ أَصْنَامٌ ، أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ صَنَعَ السَّمَاوَاتِ. مَجْدٌ وَجَلاَلٌ قُدَّامَهُ. الْعِزُّ وَالْجَمَالُ فِي مَقْدِسِهِ ... اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ ارْتَعِدِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الأَرْضِ لأَنَّهُ جَاءَ ، جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ ، يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِأَمَانَتِهِ ﴾.

يشير الزبور في هذه النبوءة إلى أن التحدث بمجد الله من خلال أوليائه نقل مباشر من أفواههم للناس عن مشاهداتهم ورؤيتهم وليس من خلال النقل المباشر عبر تلك الوسائل التي تم طيها وازيلت عن وجه السماء .

﴿ بِمَجْدِ مُلْكِكَ يَنْطِقُونَ ، وَبِجَبَرُوتِكَ يَتَكَلَّمُونَ ، لِيُعَرِّفُوا بَنِي آدَمَ قُدْرَتَكَ وَمَجْدَ جَلاَلِ مُلْكِكَ ... يَحْفَظُ الرَّبُّ كُلَّ مُحِبِّيهِ ، وَيُهْلِكُ جَمِيعَ الأَشْرَارِ ﴾ ، ﴿ بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي ، وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي ﴾.

وقال النبي اشعيا عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يُطَالِبُ جُنْدَ الْعَلاَءِ فِي الْعَلاَءِ ، وَمُلُوكَ الأَرْضِ عَلَى الأَرْضِ وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ ﴾ . يريد بالجند أقمارهم الصناعية.

وينص النبي على ما يفيد كما في الزبور ان نقل الأخبار عن طرق أفواه المؤمنين : ﴿ حَدَثَ لِجَمْعِ كُلِّ الأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ فَيَأْتُونَ وَيَرَوْنَ مَجْدِي وَأَجْعَلُ فِيهِمْ آيَةً ، وَأُرْسِلُ مِنْهُمْ نَاجِينَ إِلَى الأُمَمِ إِلَى الْجَزَائِرِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ خَبَرِي وَلاَ رَأَتْ مَجْدِي فَيُخْبِرُونَ بِمَجْدِي بَيْنَ الأُمَمِ .. وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُثَثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ لأَنَّ دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ وَيَكُونُونَ رَذَالَةً لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ ﴾ .